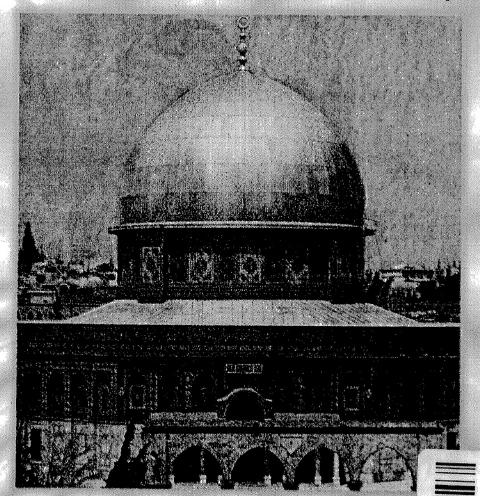
بنو إسرائيل

الجزء الخامس

النبـوة والأنبيــــاء

مع دراسة للنقاوة الجنسية عند اليهود ، وقصة أرض الميعاد بين الحقيقة والأسطورة



تاذ الدكتور

بيومى مهـران

ر والشرق الأدني القديم

جامعة الاسكندرية

دار المعرفة الجامعية

٤٠ ش سوتير - الأزاريطة - ت ٤٨٣٠١٦٣

٣٨٧ ش قنال السويس - الشاطبى - ت ٥٩٧٣١٤٦



بنو إسرائيل

الجزء الخامس

النبـــوة والأنبـــياء

مع دراسة للنقاوة الجنسية عند اليهود، وقصة أرض الميعاد بين الحقيقة والأسطورة

الأستاذ الدكتور
محمد بيومي مهران

أستاذ تاريخ مصر والشرق الأدنى القديم
كلية الآداب ـ جامعة الاسكندرية

١٩٩٩

دار المعرفة الجامعية
٤٠ شارع سوتير ـ الأزاريطة
الاسكندرية

بسم الله الرحمن الرحيم

والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين
سيدنا محمد وآله

الباب الأول
النبوة والأنبياء عند بنى إسرائيل

تقـــــــديم

ربما لا نبالغ كثيراً إن قلنا إن حركة النبوة الإسرائيلية، إنما قد أحدثت حركة من أعظم الحركات فى تاريخ البشرية الروحى، ويكفى أن نشير هنا إلى أن المسيح عليه السلام إنما قد بنى تعاليمه على أساس من التعاليم النبوية العبرانية، وأن محمداً ـ ﷺ ـ إنما قد أكمل البناء على هذا الأساس المشترك بين دعوات الأنبياء[1].

ومن هنا فإن نبوة القرآن إنما تؤمن بكل ما سبقها من نبوات، لأن الهدف واحد، والعقيدة واحدة، فالأنبياء ـ عليهم السلام ـ دينهم واحد، وإن تنوعت شرائعهم، يقول رسول الله ـ ﷺ ـ [2] «إنا معشر الأنبياء ديننا واحد[3]»، ويقول سبحانه وتعالى ﴿وإنَّ هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربُّكم فاتقون[4]﴾، ويقول ﴿شَرَعَ لكم مِنَ الدِّينِ ما وصَّى بِهِ نوحًا والذى أوحينا

(١) فيلب حتى، تاريخ سورية ولبنان وفلسطين،ترجمة جورج حداد، وعبد الكريم رافق، بيروت ١٩٥٨، ص ٢٣١-٢٣٢؛ وكذا:
J.A. Bewer, The Literature of the old Testment in its Historical Development, N.Y., 1926, p. 87.

(٢) مجموعة فتاوى ابن تيمية، ٣٥٧/١، الرياض، ١٣٨١هـ.

(٣) روى الحديث الشريف برواية أخرى ـ كما فى البخارى ومسلم ـ أنه ﷺ قال: «أنا أولى الناس بعيسى بن مريم فى الدنيا والآخرة والأنبياء أخوة من علات، أمهاتهم شتى ودينهم واحد»، وفى رواية أخرى «نحن معاشر الأنبياء أبناء علات، ديننا واحد، وشرايعنا مختلفة»، وأبناء العلات أبناء الضرائر يكون أبوهم رجلا واحداً، وأمهاتهم متعددات، فكذلك الرسل ربُّهم الذى أرسلهم إله واحد، ورسالاتهم متعددة بتعدد بلادهم أى أن الدين واحد وهو عبادة الله وحده لا شريك له، وإن تنوعت الشرائع التى هى بمنزلة الأمهات، ولذا يقول الإمام محمد عبده: إن الإسلام قد صرَّح تصريحًا لا يحتمل الريبة بأن دين الله فى جميع الأزمان وعلى ألسن جميع الأنبياء واحد. (محمد عبده، رسالة التوحيد، القاهرة ١٩٦٩، ص١٦٣؛ أحمد حسن الباقورى، مع القرآن، القاهرة ١٩٧٠، ص١٢٩؛ عبد الله محمود شحاته، تفسير سورة الإسراء، القاهرة ١٩٧٥، ص ١٠؛ عطية صقر، الدين العالمى، القاهرة ١٩٧٠، ص٣٣)؛ تفسير ابن كثير، ٣١٠/٣-٣١١.

(٤) سورة المؤمنون، آية : ٥٢؛ وانظر: تفسير القرطبى، ص ٤٥٢٠-٤٥٢١، (دار الشعب، القاهرة ١٩٧٠).

إليك وما وصّينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه كَبُرَ على المُشْرِكين ما تدعوهم إليه، الله يجتبى إليه مَنْ يشاء ويهدى إليه من ينيب﴾(١).

ومن هنا كان طلب القرآن الكريم الإيمان بكل الرسل، كما طلب كذلك الإيمان بما أنزل عليهم، وكان الإيمان بالبعض دون البعض الآخر خروجاً عن دين الله وهديه(٢)، يقول سبحانه وتعالى ﴿والَّذين آمنوا بالله ورسله ولم يفرقوا بين أحكد منهم أولئك سوف يؤتيهم أجرهم، وكان الله غفوراً رحيماً﴾(٣)، ويقول ﴿قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط، وما أوتى موسى وعيسى وما أوتى النبيون من ربهم، لا نفرق بين أحدٍ منهم ونحن له مسلمون﴾(٤).

(١) سورة الشورى، آية : ١٣؛ وانظر: تفسير الطبرى، ١٤/٢٥-١٦؛ تفسير القرطبى ٩/١٦-١٢ (دار الكاتب العربى، القاهرة ١٩٦٧)؛ تفسير البيضاوى ٣٥٤/٢-٣٥٥ (القاهرة ١٩٦٨)؛ تفسير روح المعانى ٢١/٢٥-٢٢ (إدارة الطباعة المنيرية ـ القاهرة)، تفسير الفخر الرازى، ١٥٤/٢٧؛ تفسير الكشاف ٤٦١/٢-٤٦٤، القاهرة ١٩٦٦؛ تفسير ابن كثير ١٨٣/٧ (دار الشعب، القاهرة ١٩٧٣).

(٢) محمد أبو زهرة، العقيدة الإسلامية كما جاء بها القرآن الكريم، القاهرة ١٩٦٩، ص ٨٥-٨٩.

(٣) سورة النساء، آية : ١٥٢؛ وانظر: تفسير الطبرى، ٣٥٥/٩ (دار المعارف، القاهرة ١٩٥٧)؛ تفسير الطبرسى، ٢٧٥/٥-٢٧٦ (بيروت ١٩٦١)؛ تفسير أبى السعود ٨٠٥/١-٨٠٦؛ السيوطى، الدر المنثور فى التفسير بالمأثور، الجزء الثانى، (طهران ١٣٧٧هـ)؛ تفسير روح المعانى ٥/٦-٧؛ تفسير وجدى، ص ١٢٩، (دار الشعب، القاهرة ١٩٧١)؛ تفسير الكشاف ٥٧٦/١؛ تفسير القرطبى، ص ٢٠٠٢؛ تفسير المنار، ٧/٦-١٠، (الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٧٣)؛ تفسير الفخر الرازى، ٩٣/١٠.

(٤) سورة البقرة، آية : ١٢٦ (وانظر سورة آل عمران، آية : ٨٤)؛ وانظر: تفسير الطبرى ١٠٩/٣-١١٣؛ ٥٦٩/١٦-٥٧٠؛ تفسير روح المعانى ٣٩٥/١-٣٩٦؛ ٢١٤/٣-٢١٥؛ تفسير الكشاف ٣٢٥/١، ٤٢٢؛ تفسير الفخر الرازى ٩١/٤-٩٢؛ ١٣١/٨-١٣٣؛ تفسير الطبرسى ٤٨٨/١-٤٩٠؛ ١٣٢/٣-١٣٣؛ تفسير القاسمى ٢٧١/٢، ٨٧٩/٤؛ تفسير المنار ٣٩٤/١-٤٠٠؛ ٢٥٣/٣-٢٩٤؛ تفسير القرطبى، ص ٥٢٤-٥٢٨، ١٣٦٩-١٣٧٠؛ تفسير ابن كثير ٢٧١/١-٢٧٢، ٥٧/٢-٥٨؛ تفسير وجدى، ص ٢٦، ٧٦-٧٧؛ فى ظل القرآن ٤٢٢/٢-٤٢٣، (بيروت ١٩٦٧)؛ الدر المنثور فى التفسير بالمأثور ٤٨/٢؛ عبد العظيم منصور، كلمة الله الأخيرة، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، القاهرة ١٩٧٤، ص ٢٥.

ومن هنا فإن القرآن الكريم إنما يعلمنا أن كل رسول يرسل، وكل كتاب ينزل، قد جاء مصدقًا ومؤكدًا لما قبله، فالإنجيل مصدق ومؤكد للتوراة، والقرآن مصدق ومؤيد للإنجيل والتوراة، ولكل ما بين يديه من الكتب[1]، يقول سبحانه وتعالى ﴿وقفّينا على آثارهم بعيسى بن مريم مُصَدِّقًا لمَا بين يديه من التوراة وآتيناه الإنجيل فيه هدًى ونور ومصدق لمَا بين يديه مَن التوراة وهدًى وموعظةً للمتقين، وليحكم أهل الإنجيل بما أنزل الله فيه، ومن لم يحكم بما أنزل فأولئك هم الفاسقون، وأنزلنا إليك الكتاب بالحق مصدقًا لما بين يديه من الكتب ومهيمنًا عليه فاحكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم عما جاءك من الحق لكل جعلنا منكم شِرْعَةً ومنهاجًا ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة، ولكن ليبلوكم في ما آتاكم فاستبقوا الخيرات إلى الله مرجعكم فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون﴾[2].

ويقول المسيح عليه السلام - كما جاء فى إنجيل متى - «لا تظنوا أنى جئت لأنقض الناموس والأنبياء ما جئت لأنقض بل لأكمل، فإنى الحق أقول لكم إلى أن تزول السماء والأرض لا يزول حرف واحد أو نقطة واحدة من الناموس حتى يكون الكل[3]».

وليس من شك فى أن هذا التصديق لا يعنى أن الكتب المتأخرة، إنما

---

(١) محمد عبد الله دراز، الدين، بحوث ممهدة لدراسة تاريخ الأديان، القاهرة ١٩٦٩، ص ١٨٥؛ محمد أبو زهرة، المرجع السابق، ص ٨٥-٨٦.

(٢) سورة المائدة، آية : ٤٦-٤٨؛ وانظر: تفسير القرطبى، ص ٢٢٠٥-٢٢٠٨؛ تفسير ابن كثير، ١١٨/٣-١٢٣؛ تفسير روح المعانى ، ١٤٩/٦-١٥٥؛ تيسير العلى القدير لاختصار تفسير ابن كثير، ٥٣٥/١-٥٣٨؛ تفيسر الكشاف، ٦١٦/١-٦١٧؛ تفسير أبى السعود ٣١/٢-٣٣؛ تفسير الطبرى، ٣٧٣/١٠-٣٩١؛ تفسير المنار ٣٩٤/٦-٤٠٠؛ وانظر : محمد السيد حسين الذهبى، الإسرائيليات فى التفسير والحديث، القاهرة ١٩٧١، ص ١٥-١٨؛ محمود أبو رية، دين الله واحد على ألسنة جميع الرسل، القاهرة ١٩٧٠، ص ٨٢-٨٤.

(١) إنجيل متى ٥: ١٧-١٨.

هى تجديد للمتقدمة وتذكير بها، فلا تبدل فيها معنى ولا تغيّر حكماً، وإنما الواقع غير ذلك، فقد جاء الإنجيل بتبديل بعض أحكام التوراة، كما جاء القرآن بتبديل بعض أحكام الإنجيل، ولكن يجب أن يفهم أن هذا وذاك لم يكن من المتأخر نقضاً للمتقدم، ولا إنكاراً لحكمة أحكامه فى إبانها، وإنما كان وقوفًا عند وقتها المناسب وأجلها المقدر[١]، ومن هنا كان قوله ﷺ : «إنما جئتُ لأُتَمِّم مكارِمَ الأخلاقِ»[٢]. وفى الموطأ: «بعثت لأتمّم حُسْنَ الأخلاق».

ولهذا فإن الله سبحانه وتعالى، بمقتضى حكمته فى رسالاته وإنما كان يجعل كل نبىّ يبشر بمن يجىء بعده، فالتوراة بشرت بالمسيح وبمحمد ـ عليهما الصلاة وأتم التسليم ـ والمسيح عليه السلام بشّر بمحمد ﷺ [٣]، وقد جاء ذلك فى قوله تعالى ﴿وإذ قال عيسى ابن مريم يا بنى إسرائيل إنّى رسول الله إليكم مصدقًا لما بين يدى من التوراة، ومبشراً برسولٍ يأتى مِن بعدى اسمه أحمد، فلما جاءهم بالبيانات قالوا هذا سحر مبين﴾[٤].

(١) انظر: سورة ال عمران، آية : ٥٠؛ سورة الأعراف، آية : ١٥٧؛ محمد عبد الله دراز، المرجع السابق، ص ١٨٥-١٨٦.

(٢) عبد الحليم محمود، دلائل النبوة ومعجزات الرسول، القاهرة ١٩٧٤، ص ٤٦٢؛ الرسول، لمحات من حياته ونفحات من هديه، القاهرة ١٩٦٩، ص ١٨١؛ محمد محمد أبو شهبه، السيرة النبوية، ٥٧٧/٢ (القاهرة ١٩٧٣)؛ موطأ الإمام مالك، ص ٥٦٤، (القاهرة ١٩٧٥).

(٣) عن إشارات التوراة (انظر: سفر التثنية ١٨ : ١٥، ١٨، ٢٣ :٣؛ أشعياء ٦٠ : ١-٧، ٤٢ : ١٠-١٢؛ حبقوق ٣ : ٣-٤) وعن بشارات الإنجيل (انظر: إنجيل متى ٧: ٢١-٢٣-١٥: ٨-٩، ٢١ : ٤٢-٤٣)؛ ثم انظر إبراهيم خليل، محمد فى التوراة والإنجيل والقرآن (القاهرة ـ مكتبة الوعى العربى)، ص ٣٥-٥١؛ ابن كثير، السيرة النبوية، ٢٨٦/١-٣٤٠، (القاهرة ١٩٦٤).

(٤) سورة الصف، آية : ٦؛ وانظر: تفسير الطبرى، ٧٨/٢٨؛ تفسير الطبرسى، ٦٠/٢٨-٦٢؛ تيسير العلى القدير ٢٢٩/٤-٢٣٠؛ تفسير الكشاف، ٩٨/٤-٩٩؛ تفسير البيضاوى، ٤٧٣/٢-٤٧٤؛ تفسير روح المعانى، ٨٥/٢٨-٨٧؛ تفسير ابن كثير، ١٣٤/٨-١٣٧؛ تفسير القرطبى، ص ٦٥٦٢-٦٥٦٣؛ الدر المنثور فى التفسير بالمأثور ٢١٣/٦-٢١٤؛ تفسير أبى السعود، ١٦١/٥.

ومن المعروف أن أحمداً من أسماء رسول الله - صلوات الله وسلامه عليه - ومن ثم فقد جاء في الحديث الشريف، قوله ﷺ «والذى نفسى بيده لا يسمع بى أحد من هذه الأمة، يهودى أو نصرانى، ولا يؤمن بى إلا دخل النار»[١] وأنه - ﷺ - وقف على «مِدْراس» اليهود فى المدينة المنورة، فقال: «يا معشر يهود أسلموا، فوا الذى لاَ إله إلا هو لتعلمون أنّى رسولَ الله إليكم، فقالوا: قد بلغت يا أبا القاسم: فقال: ذلك أريد[٢]». ومن ثم فالذى يقطع به فى كتاب الله وَسنّة رسوله، ومن حيث المعنى، أن رسول الله ﷺ قد بشرت به الأنبياء قبله، وأتباع الأنبياء يعلمون ذلك، ولكن أكثرهم يكتمونه ويخفونه[٣].

هذا وقد أخذ الله الميثاق على كل نبى، إذا جاءه برسول مصدقٌ لما معه أن يؤمن به وينصره[٤]، يقول سبحانه وتعالى ﴿وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لما أتيتكم من كتاب وحكمة، ثم جاءكم رسولٌ مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه، قال أأقررتم وأخذتم على ذَلِكم إِصْرِى قالوا أقررنا قال فاشهدوا وأنا معكم مِنَ الشَّاهِدِين﴾[٥].

---

(١) صحيح مسلم ٣٦٧/١، (دار الشعب، القاهرة ١٩٧١)؛ وانظر: ابن كثير، شمائل الرسول ودلائل نبوته وفضائله وخصائصه، القاهرة، ١٩٦٧، ص ٣٤٠.

(٢) ابن كثير، المرجع السابق، ص ٣٣٩، ثم قارن : أبو الفرج عبد الرحمن ابن الجوزى، الوفا بأحوال المصطفى، دار الكتب الحديثة، القاهرة ١٩٦٦، ص ٣٦-١٧٣؛ عماد الدين خليل، دراسة فى السيرة ، بيروت ١٩٧٤، ص ٣١٩-٣٢٢؛ مولانا محمد علي، حياة محمد ورسالته، بيروت ١٩٦٧، ص ٤١-٥٢.

(٣) ابن كثير، المرجع السابق، ص ٣٣٩؛ ابن الجوزى، المرجع السابق، الجزء الأول، ص ٣٧؛ (وانظر: أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقى، دلائل النبوة، الجزء الأول، ص ٣٢٩-٣٤٨، (القاهرة ١٩٧٠).

(٤) محمد عبد الله دراز، المرجع السابق، ص ١٨٥.

(٥) سورة آل عمران، آية : ٨١؛ وانظر: تفسير القرطبى، ص ١٣٦٦-١٣٦٨؛ تفسير ابن كثير، ٥٥/٢-٥٧؛ تفسير المنار ٢٨٧/٣-٢٩٠؛ الدر المنثور فى التفسير بالمأثور ٤٥/٢؛ تفسير الكشاف ٤٤٠/١-٤٤١؛ تفسير الطبرسى ١٣٠/٣-١٣١؛ تفسير الطبرى ٥٥٠/٦-٥٦١.

وصدق رسول الله - ﷺ - حين صوّر الرسالات السماوية فى جملتها أحسن تصوير فى قوله «مثلى ومثل الأنبياء من قبلى كمثل رجل بنى بيتاً فأحسنه وجمّله إلا موضع لبنة، فجعل الناس يطوفون به ويعجبون له ويقولون: هلا وضعت هذه اللبنة، فأنا اللبنة وأنا خاتم النبيين»[١].

وقريب من هذا ما يراه بعض الباحثين من أن صلاة المصطفى - ﷺ - بالأنبياء، ليلة أن أسرى به من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، إنما تشير إلى وحدة الرسالات والنبوات وأنها جميعاً من عند الله، وأن الأنبياء والمرسلين إنما أرسلوا من أجل هداية الناس ودعوتهم إلى التوحيد[٢].

وبدهى أن ذلك لأن دين جميع الأنبياء واحد فى التوحيد وروح العبادة، وتزكية النفس بالأعمال التى تقوّم الملكات وتهذب الأخلاق، وهكذا فالأنبياء فى الأساس العام دعاة إلى توحيد الله وهداة إلى الفضائل، ومكارم الأخلاق، ومن ثم ترى الديانات إنما تلتقى على فكرة التوحيد وحسن السلوك، وإن اختلفت الوسيلة لتهذيب هذا السلوك من نبىّ لآخر، ومن شعب لآخر، وهكذا رأينا من الأنبياء من حارب رذائل معينة انتشرت بين قومه، كتطفيف الكيل الذى حاربه شعيب، وكالإنحراف الجنسى الذى وقف أمامه لوط بكل إصرار وحزم[٣].

وهنا علينا أن نلاحظ أن هناك فرقاً بين الدين فى ثباته وعدم تبدله بتبدل الأنبياء، وبين تبدل الشرائع وتغيرها بتبدل الأنبياء وتغيّرهم، بل ينبغى

(١) انظر: صحيح البخارى، ٢٢٦/٤ ، (كتاب الشعب، القاهرة ١٣٧٨هـ)؛ محمد عبد الله دراز، المرجع السابق، ص ١٨٨؛ عطية صقر، المرجع السابق، ص ٢١؛ صحيح مسلم، ٥٠/١٥-٥٢، (بيروت ١٩٨١م).

(٢) عبد الله محمود شحاته، تفسير سورة الإسراء، ص ٨، (القاهرة ١٩٧٥)؛ وانظر: عماد الدين خليل، دراسة فى السيرة، بيروت ١٩٧٤م، ص ١١٥-١١٦؛ محمد بيومى مهران، السيرة النبوية الشريفة ، ٢٧٤/١-٢٧٧، (بيروت ١٩٩٠).

(٣) أبو الحسن الماوردى، أعلام النبوة، القاهر، ١٩٧١، ص ٢٢؛ محمود أو ريه، المرجع السابق، ص ١١٩؛ عبد الله محمود شحاته، المرجع السابق، ص ٨-٩.

أن يكون هذا الفرق واضحاً فى الذهن، سائغاً فى الفهم، وهو كذلك فيما يقرر القرآن الكريم، فأما من ناحية العقل والفكر، فإن الدين - أى دين - إنما هو قائم على أصول ثلاثة: أولها : الإيمان بأن لهذا الكون إلهاً خالقاً مدبراً، ومحيط العلم، بالغ القدرة، لا يعزب عن علمه شيء، ولا يعترض قدرته شيء، وثانى الأصول: الدعوة إلى العمل الصالح الذى يشيع على الإنسانية الأمن والسلام، وثالث الأصول: أن الله لم يخلق الناس عبثاً، ولن يتركهم سدى، وأنهم لابد راجعون إليه، ويحاسبون بين يديه، ومجازون على ما عملوا، إن خيراً فخيراً، وإن شراً فشراً.

هذا ما يتصل بالدين فى عدم قبوله التغيير والتبديل، وأما ما يتصل بالشرائع من حيث هى مجموعة قوانين تنظم السلوك فى المجتمع، فإنها قابلة للتغيير والتبديل، بمقتضى تغير البيئات واختلاف المصالح، وقد أشار إلى ذلك القرآن الكريم والحديث الشريف[1] .

والنبوة الإسرائيلية، لاشك أنها قد لعبت دوراً من أخطر الأدوار - بل ربما كان أهم الأدوار على الإطلاق - فى التاريخ الإسرائيلى، فضلا عن الديانة اليهودية نفسها، ذلك لأن هذه النبوة، إنما قد استطاعت بفضل الله وبدعوة موسى - أن توجد ما سمى بالأمة اليهودية، صحيح أن القبائل الإسرائيلية إنما كانت تدرك - حتى قبل ظهور موسى ودعوته - أنها تنتمى إلى أرومة واحدة، ولكنه صحيح كذلك أنها لم تؤلف شعباً واحداً حتى حدث الاستعباد المصرى لليهود، ونجح موسى فى أن يوحد بين هذه العشائر التى تراخت بينها أواصر القربى، ويجعلها أمة واحدة، وذلك بفضل نبوته، فقد كان الكليم عليه السلام يؤمن - الإيمان كل الإيمان - أن معه إلهاً

---

(١) مجموعة فتاوى ابن تيمية ٣٥٧/٣؛ وانظر: أحمد حسن الباقورى، مع القرآن، ص ١٣٧-١٣٩؛ خالد محمد خالد، كما تحدث القرآن، القاهرة ١٩٧٠، ص ١١٥؛ عبد الله محمود شحاته، المرجع السابق، ص ١٠؛ عطية صقر، المرجع السابق، ص ٣٣.

أكبر من كل آلهة مصر، معه «يهوه» الذى لا يريد تحرير القبائل العبرية فحسب، بل يريد كذلك أن يكوّنوا أمة واحدة، ومن ثم فقد كتب لموسى نجحا بعيد المدى فى تحقيق مهمته هذه بفضل إيمانه العميق بربّه وبنبوته، رغم كل المتاعب التى وقفت عقبة كؤود في طريقه، والتى لم تخفها أسفار التوراة أبداً(١).

وهكذا استطاع موسى عليه السلام أن ينشئ من الأسباط الاثنى عشر اتحاداً ـ أشبه بما نسميه الآن اتحاداً فيدراليًا ـ منذ أول خطوة من رحلة الخروج من مصر، محدداً لكل سبط مهمته ومسئوليته فى المجموعة، وكان لعشيرة موسى ـ سبط اللاويين ـ الزعامة الدينية والاجتماعية على سائر الأسباط، وكان لهذا المجتمع مجلس تشريعى يتكون من السبعين رجلا، الذين اختارهم موسى لميقات ربّه ـ والذين يرى فرويد أنهم من السحرة المصريين ـ وكان هو نفسه رئيس المجلس، وهذا التنظيم ما يزال يحاكى فى المجتمعات اليهودية، ويوكل إليه ـ كما كان قديمًا ـ أمر تطبيق الشريعة الموسوية وتنفيذها وتفسيرها، والإفتاء بمقتضاها فى الحالات المشكلة(٢).

ومع ذلك، فإن العمل السياسى الذى بدأه موسى، لا يكاد يذكر ـ فيما نعتقد ـ إلى جانب دعوته الدينية، والتغيير الاجتماعى الذى أحدثته هذه الدعوة بين العبرانيين، ذلك لأن موسى عليه السلام، لم يؤسس أمة فحسب، ولكنه أرسى كذلك قواعد دين، وكان كحامل لوحى دينى ـ على مثال جدنا ومولانا وسيدنا رسول الله ﷺ ، بعد ذلك بما يقرب من ثمانية عشر

---

(١) انظر: سفر الخروج (١٥: ٢٣-٢٥؛ ١٦: ٢-٣؛ ١٧: ١-٧؛ ٣٢: ٦-٢٥؛ ٣٣: ٧-٢٨)؛ سفر العدد (١٣: ١-٢٩؛ ١٤: ٢٨-٣٥؛ ١٦: ١١-٤١؛ ٢١: ١-٣٥)؛ سفر التثنية (٢: ٢٦-٣: ٢٧)؛ وانظر: تيودور روبنسون، إسرائيل فى ضوء التاريخ، ترجمة عبد الحميد يونس، ص ١٠٥؛ وكذا:
Adolphe Lods, Israel, from its beginning to the middle of the eighth century, Translated into English by: S.H. Hooke, London, 1962, p. 175-310.

(٢) حسن ظاظا، الساميون ولغاتهم، الإسكندرية ١٩٧١، ص ٧٦-٧٧.

قرناً ـ استطاع أن ينهض بتحويل بعيد المدى فى عادات البدو الساميين القبلية، التى لولا ذلك لظلت باقية على ما هى عليه، وقد ثبت عبادة ربّه «يهوه» لتكو ن عبادة شعب، وبهذا أتى بأمة إلى حيز الوجود[١].

ومن هنا نرى «هو سمر» يقرر أن مكانة موسى النبىّ فى التاريخ اليهودى، إنما جاءت من كفاءته التى استطاع بها أن يقود بنى إسرائيل، وأن يخرجهم من مصر، ثم من مقدرته على إملاء التوراة، التى كانت قانون هذه الجماعة، بعد أن لم يكن لها قانون، كما كانت القاعدة التى قام عليها بناء الدولة من الناحية السياسية[٢].

وهكذا تجمع الآراء على أنه لولا موسى النبىّ لما كان لبنى إسرائيل تاريخ، أو لعقيدتهم وجود، حتى أنه ليقال فى الأساطير اليهودية نفسها، أنه لو لم يوجد موسى، لاضطروا إلى ابتداع شخصيته بخيال، فإن ذكراها الحيّة هى التى تتأمهم إلى وجود[٣]، ومن ثم نستطيع تفسير وجود الشعب العبرانى بآرائه وشريعته وفلسفته ودينه[٤].

وعلى أى حال، فإن النبوة الإسرائيلية قد عرفت ـ إلى جانب موسى نبيّها الأعظم ـ نبوات أخرى من قبل ومن بعد، فهناك إسحاق ويعقوب ويوسف، وهناك صموئيل وداود وسليمان وإليا ويونان وعاموس وحزقيال وإرميا وغيرهم، من هؤلاء العظام الذين قاموا بدورهم تجاه يهود خير قيام.

وبعد، فهذا بحث مختصر فى «النبّوة والأنبياء عند بنى إسرائيل» أقدمه

---

(١) و.ح. دى بورج، تراث العالم القديم، الجزء الأول، ترجمة: زكى سوسن، القاهرة ١٩٦٥، ص٦٦.

(٢) أحمد شلبى، اليهودية، القاهرة ١٩٦٧، ص ٤٦؛ وكذا: J. Hosmer, The Jews, p. 14.

(٣) حسين ذو الفقار صبرى، إنما الأمور بأصولها، المجلة، العدد ١٥١، القاهرة ١٩٦٩، ص ١٨؛ وكذا: A.L. Sachar, A History of the Jews, N.Y., 1945, p. 16F.

(٤) C.Roth, A Short History of the Jewish People, London, 1969, p. 7.

للذين يرضيهم البحث عن الحقيقة - أيًا كانت - وأملى فى الله كبير فى أن ينال بعض الرضى.

﴿وما توفيقى إلا باللهِ عليه توكلتُ وإليه أنيبُ﴾؛

بولكلى - رمل الإسكندرية فى الأول من ربيع الأول عام ١٣٩٨هـ
الثامن من فبراير ١٩٧٨م.

دكتور

محمد بيومى مهران

(١) النبيُّ والنبوة

النبيُّ: لغة قيل المنبأ المأخوذ من النبأ، أى الخبر المفيد لما له شأن، ويصح فيه معنى الفاعل والمفعول لأنه منبئ عن الله ومنبأ عنه، وإن كان الإمام ابن تيمية يفضل أن يكون بمعنى مفعول، فإنه إذا أنبأه الله، فهو نبيُّ الله[١]، والنبيُّ بالتشديد أكثر استعمالا، أبدلت الهمزة فيه ياء، لأنه من أنبأ عن الله فهو ينبئ عنه، والاسم منه منبئ، أو هو من النبوة، وهى من الرفعة والشرف[٢].

وتجمع كلمة «نبىّ» على نبّيين وأنبياء[٣]، وقد حكى سماعًا من العرب فى جمع «النبى» النبآء، وذلك من لغة الذين يهمزون «النبىء» ثم يجمعونه على «النباء»، ومن ذلك قول عباس بن مرداس فى مدح النبى ﷺ:

يا خاتم النبآء إنّك مرسلٌ   بالخير كل هدى السبيل هداك[٤]

والنبوة فضل يسبغه الله على من يشاء من عباده، وهبة ربانية يمنحها الله لمن يريد من خلقه، وهى لا تدرك بالجدّ والتعب، ولا تنال بكثرة الطاعة

---

(١) الإمام تقى الدين أبو العباس أحمد بن تيمية، النبوات، القاهرة ١٣٤٦هـ، ص ١٦٦؛ وانظر: ابن حزم، الفصل فى الملل والأهواء والنحل، القاهرة ١٩٦٤، الجزء الخامس، ص ٨٧.

(٢) محمد رشيد رضا، الوحى المحمدى، القاهرة ١٩٥٥، ص ٣٧؛ تفسير الطبرى، ٢/١٤٠-١٤١ (دار المعارف)؛ ياقوت الحموى، معجم البلدان، بيروت، ١٩٥٧، ٥/٢٥٩-٢٦٠؛ محمود الشرقاوى، الأنبياء فى القرآن الكريم، القاهرة ١٩٧٠، ص ٩.

(٣) انظر: سورة البقرة، آية: ٦١؛ سورة آل عمران، آية: ١١٢؛ تفسير الطبرى، ٢/١٣٩-١٤١، ٧/١١٦-١١٨، (دار المعارف)؛ تفسير القرطبى، ص ١٤١٦-١٤١٧ (دار الشعب)؛ تفسير المنار، ٤/٤٧-٥٨؛ تفسير وجدى، ص ٨١ (دار الشعب، ١٩٧١)؛ تفسير ابن كثير، ٢/٧٧-٨٦، القاهرة، ١٩٧١.

(٤) انظر: تفسير الطبرى، ٢/١٤١؛ ابن هشام، سيرة النبىّ ﷺ، ٤/١٠٣؛ ثم قارن: تفسير البحر المحيط، ١/٢٢٠؛ ياقوت، ٥/٢٥٩-٢٦٠.

والعبادة، ولا يتوسل إليها بسبب ولا نسب، وإنما هي بمحض الفضل الإلهي فالله يختص برحمته من يشاء، وهي تأتي إلى النبيّ من تلقاء نفسها، وعلى غير توقع منه، فهي إذن اصطفاء واختيار من الله سبحانه وتعالى، للمصطفين الأخيار من عباده[١]، و﴿اللهُ أعلمُ حيثُ يجعل رسالته﴾[٢].

ومن ثم فإن الله سبحانه وتعالى إنما يختص بهذه الرحمة العظيمة، والمنقبة الكريمة، من كان أهلا لها بما أهله هو - جل شأنه - من سلامة الفطرة، وعلو الهمة، وزكاء النفس وطهارة القلب، وحب الخير والحق، وكان أذكياء العرب في الجاهلية - على شركهم بالله تعالى - يعلمون أن الصادقين محبي الحق، وفاعلي الخير من الفضلاء، أهل لكرامته تعالى وعنايته، كما يؤخذ من استنباط أم المؤمنين خديجة في حديث أم المؤمنين عائشة - رضي الله عنهما - في بدء الوحي، فإنه - ﷺ - لما قال لخديجة - رضوان الله عليها - «لقد خشيت علي نفسي» قالت له : «كلا فو الله لا يخزيك اللهُ أبداً، إنَّك لتصِلُ الرَّحِم وتَصْدُقُ الحديثَ، وتحمل الكَلَّ وتُكْسب المعدوم، وتَقْرِى الضيفَ، وتعينَ على نوائِبَ الحقِّ»[٣].

ويفرق بعض العلماء بين النبيّ والرسول فيقولون: أن النبيَّ هو من أوحى إليه بشرع، سواء أمر بتبليغه أو لم يؤمر، والرسول هو من أوحى إليه

(١) تفسير المنار، ٣٢/٨-٣٤؛ محمد علي الصابون، النبوة والأنبياء، بيروت، ١٩٧٠، ص ١٠.

(٢) سورة الأنعام، آية : ١٢٤؛ وانظر : تفسير الطبرى ٩٥/١٢-٩٦؛ تفسير أبى السعود، ٢٨٠/٢؛ تفسير روح المعانى ٢١/٨-٢٣؛ تفسير الكشاف ٤٨/٢-٤٩؛ تفسير الفخر الرازى، ١٧٥/١٣-١٧٦؛ تفسير مجمع البيان، ١٨٥/٧-١٨٨؛ تفسير المنار ٣٢/٨-٣٥؛ تفسير القرطبى، ص ٢٥١٥-٢٥١٦؛ تفسير ابن كثير، ٣٢٣/٣-٣٢٦؛ تفسير وجدى ، ص ١٨٣.

(٣) انظر: صحيح مسلم، ٣٧٩/١-٣٨٠، (دار الشعب، القاهرة ١٩٧١)؛ ابن كثير، السيرة النبوية، ٣٩٤/١-٩٣٥، (طبعة الحلبى، القاهرة ١٩٦٤)؛ إيتين دينيه وسليمان إبراهيم ، محمد رسول الله ، ترجمة الدكتور عبد الحليم محمود ومحمد عبد الحليم محمود، القاهرة، ١٩٥٨، ص ١٠٥؛ عبد الحليم محمود، دلائل النبوة ومعجزات الرسول ، القاهرة ١٩٧٤، ص ٣٥٤؛ تفسير المنار، ٣٤/٨؛ محمد بيومى مهران، السيرة النبوية الشريفة، ١٦٦/١-١٦٨.

بشرع وأمر بتبليغه[١]، يقول الله سبحانه وتعالى ﴿وما أرسلنا من قبلك من رسولٍ ولا نبيٍّ إلا إذا تمنّى ألقى الشّيطانُ في أمنيّته فينسخُ اللهُ ما يُلْقِي الشيطانُ ثمّ يحكِمُ اللهُ آياته واللهُ عليمٌ حكيمٌ﴾[٢].

ويرى الإمام ابن تيمية أن الله في قوله ﴿مِنْ رسولٍ ولا نبيٍّ﴾ قد ذكر إرسالا يعم النوعين،، وقد خصّ أحدهما بأنه رسول، فإن هذا هو الرسول المطلق الذى أمر بتبليغ رسالته إلى من خالف الله، كنوح عليه السلام، والذى ثبت في الصحيح أنه أول رسول بعث إلى أهل الأرض[٣]، وقد كان قبله أنبياء كشعيب وإدريس، وقبلهما آدم كان نبياً مُكلماً[٤]، على أن العقل ـ فيما يرى الأستاذ الشرقاوى ـ لا يستسيغ أن يوحى الله العليُّ القدير إلى نبيٍّ بشرع ثم لا يأمره بتبليغه، لأن الشرع أمانةٌ وعلم وأداء واجب، وكتمان العلم نقص ورذيلة[٥].

ويتجه بعض العلماء إلى أن الرسول من أوحى إليه بشرع، وأنزل عليه كتاب، كإبراهيم وداود وموسى وعيسى ومحمد ـ عليهم الصلاة والسلام ـ والنبيُّ الذى ليس برسول هو من أوحى إليه بشرع، ولم ينزل عليه كتاب كإسماعيل وشعيب ويونس ولوط وزكريا وغيرهم من الأنبياء، وهذا التعريف لا يستقيم أيضًا لأن الله سبحانه وتعالى قد وصف بعض الأنبياء الذين لم

(١) تفسير القرطبى، ، ص ٤٤٧٣؛ الديار بكرى، تاريخ الخميس، ص ١٧؛ الإمام الطحاوى، شرح العقيدة الطحاوية، بيروت ١٩٣١، ص ١٦٧؛ محمود الشرقاوى، المرجع السابق، ص ٩.

(٢) سورة الحج، آية : ٥٢؛ وانظر: تفسير البيضاوى، ٢/٩٥-٩٦؛ تفسير روح المعانى ١٧/١٧٣-١٧٤؛ تفسير الفخر الرازى، ٢٣/٤٨-٥٥؛ تفسير الطبرى ١٧/١٨٦-١٩٠؛ تفسير مجمع البيان ١٧/١١٨-١٢٢؛ تفسير الكشاف، ٣/١٨-١٩؛ تفسير الجلالين، ص ٣٠٠؛ تفسير القرطبى، ص ٤٤٧١-٤٤٧٨؛ تفسير وجدى ، ص ٤٤١؛ أبو الحسن الماوردى، أعلام النبوة ، القاهرة، ١٩٧١، ص ٣٨.

(٣) صحيح البخارى، ٦/١٠٦.

(٤) ابن تيمية، المرجع السابق، ص ١٧٣؛ وانظر: تفسير المنار، ٨/٤٣٦؛ محمد بيومى مهران، قصة الطوفان بين الآثار والكتب السماوية، ص ٤٤١، (الرياض ١٩٧٦).

(٥) محمود الشرقاوى، المرجع السابق، ص ٩-١٠.

تنزل عليهم كتب بالرسالة[1]، فقال عن إسماعيل، عليه السلام: ﴿واذكر في الكتاب إسماعيل إنّه كان صادقَ الوعد وكان رسولاً نبيًّا﴾[2] وقال عن لوط عليه السلام ﴿وإنَّ لوطًا لَمنَ المُرْسَلِين﴾[3]، وقال عن يونس عليه السلام ﴿وإنَّ يونسَ لَمنَ المُرسلين﴾[4].

ويذهب فريق ثالث من العلماء إلى أن الرسول من الأنبياء إنما هو من بعثه الله بشرع جديد يدعو الناس إليه، أما النبيُّ الذى ليس برسول، فهو من بعث لتقرير شرع سابق كأنبياء بنى إسرائيل الذين كانوا بين موسى وعيسى، عليهما السلام، ومن ثم فقد قيل أن كل رسول نبىّ، وليس كل نبىّ رسول[5].

غير أن الإمام ابن تيمية[6] إنما يرى أنه ليس من شرط الرسول أن يأتى بشريعة جديدة، فإن يوسف كان رسولا وكان على ملة إبراهيم، يقول الله تعالى عن مؤمن آل فرعون ﴿ولقد جاءكم يوسفُ مِنْ قبلُ بالبيِّناتِ، فما

(١) نفس المرجع السابق، ص ١٠.

(٢) سورة مريم، آية : ٥٤ ؛ وانظر: تفسير البيضاوى، ٣٦/٢، (طبعة الحلبى، القاهرة ١٩٦٨) ؛ تفسير روح المعانى، ١٠٤/١٦-١٠٦ ؛ تفسير الفخر الرازى، ٢٣١/٢١-٢٣٢ ؛ تفسير الطبرى، ٩٥/١٦ ؛ مجمع البيان ٤٤/١٦-٤٩ ؛ تفسير القاسمى، ٤١٥٠/١١ ؛ تفسير وجدى، ص ٤٠١.

(٣) سورة الصافات، آية : ١٣٣ ؛ وانظر: تفسير ابن كثير، ٣٢/٧-٣٣، (دار الشعب، القاهرة، ١٩٧٢) ؛ تفسير القرطبى ص ٥٦٦٤-٥٥٦٥، (دار الشعب ١٩٧١).

(٤) سرة الصافات، آية : ١٣٩ ؛ وانظر : تفسير القرطبى، ١٢١/١٥-١٢٢، (دار الكاتب العربى، القاهرة ١٩٦٧) ؛ تفسير الفخر الرازى ١٦٢/٢٦ ؛ تفسير البيضاوى ٢٩٩/٢-٣٠٠ ؛ تفسير الطبرى ٩٨/٢٣ ؛ تفسير روح المعانى ١٤٢/٢٣ ؛ مجمع البيان ١٤٢/٢٣ ؛ مجمع البيان، ٨٣/٢٣-٨٦ ؛ تفسير ابن كثير ٣٣٣/٧ ؛ قصص الأنبياء لابن كثير ٣٨٦/١-٣٩٨ ؛ تفسير وجدى ص ٥٩٥.

(٥) تفسير البيضاوى ٩٥/٢-٩٦ ؛ تفسير الكشاف ١٨/٣-١٩ ؛ تفسير القرطبى ص ٤٤٧٢ ؛ تفسير وجدى ص ٤٤٥ ؛ عبد الحليم محمود ، فى رحاب الأنبياء والرسل، القاهرة ١٩٧٧، ص ٤٢ ؛ الإمام الطحاوى، المرجع السابق، ص ١٦٧ ؛ تفسير المنار ١٩٤/٩-١٩٥.

(٦) ابن تيمية ، المرجع السابق، ص ١٧٣ ؛ ثم قارن : تفسير البيضاوى، ٩٥/٢-٩٦.

زلْتم فى شكٍ مِمَّا جاءَكُم بِهِ حتَّى إذا هَلَكَ قُلْتم لَنْ يبعثَ اللهُ مِنْ بعدِهِ رسولا﴾[١]، كما أن داود وسليمان كان رسولين، وكانا على شريعة التوراة.

ويذهب فريق رابع إلى أن الرسول إنما يختلف عن النبى، لأن اختلاف الأسماء إنما يدل على اختلاف المسميات، والرسول أعلى منزلة من النبىّ، ولذلك سميت الملائكة رسلا، ولم يسموا أنبياء، هذا وقد اختلف من قال بهذا فى الفرق بينهما على ثلاثة أقاويل، أحدهما أن الرسول هو الذى تنزل عليه الملائكة بالوحى، والنبى هو الذى يوحى إليه فى نومه، والثانى أن الرسول هو المبعوث إلى أمة، والنبى هو المحدث الذى لا يبعث إلى أمة، والثالث أن الرسول هو المبتدئ بوضع الشرائع والأحكام، والنبىّ هو الذى يحفظ شريعة غيره[٢].

ومن هنا يذهب الإمام الطحاوى فى «العقيدة»[٣] إلى أن الرسول أخص من النبىّ، وأن الرسالة أعم من جهة نفسها، فالنبوة جزء من الرسالة، إذ الرسالة تتناول النبوة وغيرها، بخلاف الرسل، فإنهم لا يتناولون الأنبياء وغيرهم، بل الأمر بالعكس، فالرسالة أعم من جهة نفسها، وأخص من جهة أهلها.

وأما عدد أنبياء الله ورسله، فعلم ذلك عند ربى ـ جل جلاله ـ ولكننا نعرف من القرآن الكريم أسماء خمسة وعشرين من هؤلاء المصطفين

---

(١) سورة غافر، آية : ٣٤؛ وانظر: تفسير الطبرى، ٦٣/٢٤؛ تفسير القرطبى ٣٠٢/١٥-٣١٣؛ تفسير الفخر الرازى ٦١/٢٧-٦٢؛ تفسير روح المعانى ٦٧/٢٤-٦٨؛ تفسير البيضاوى ٣٣٦/٢؛ تفسير الجلالين (نسخة على هامش البيضاوى) ٣٣٦/٢؛ تفسير مجمع البيان ١٩٦/٢٤-١٩٨؛ تفسير الكشاف ٤٢٦/٣-٤٢٧؛ تفسير القاسمى ٥١٦٦/١٤؛ تفسير وجدى ص ٦٢٢؛ تفسير ابن كثير ١٣٢/٧-١٣٣، (دار الشعب ١٩٧٢).

(٢) أبو الحسن الماوردى، أعلام النبوة، ص ٣٨.

(٣) انظر، شرح العقيدة الطحاوية، بيروت ١٣٩٢هـ، ص ١٦٧-١٦٨.

الأخيار[١]، ونعلم كذلك أنه ما من أمة إلا وجاءها رسول من عند الله العليّ القدير، يقول الله سبحانه وتعالى ﴿وإنْ منْ أمةٍ إلا خلا فيها نذيرٌ﴾[٢] ويقول ﴿وكمْ أرسلنا مِنْ نبيٍّ في الأولين﴾[٣]، ﴿مِنْهُم مَنْ قصصْنَا عليك ومِنْهم مَنْ لمْ نَقْصص عليك﴾[٤]، ﴿ورسلا قد قصصناهم عليك من قبل ورسلا لم نقصصهم عليك﴾[٥]

ومن هنا كان الخلاف على عدد الأنبياء، عليهم السلام، فمن قائل أنهم مائة ألف وأربعة وعشرون ألفاً، ومن قائل أنهم ثمانية آلاف، منهم أربعة آلاف من بنى إسرائيل، وأربعة آلاف من سائر الناس، ومن قائل أنهم أربعة آلاف ومن قائل أنهم ثلاثة آلاف، وأن الرسل من الأنبياء ثلاثمائة وثلاثة عشر، أولهم آدم وآخرهم محمد ﷺ[٦].

(١) هم آدم وإدريس ونوح وهود وصالح وإبراهيم ولوط وإسماعيل وإسحاق ويعقوب ويوسف وأيوب وشعيب وموسى وهارون ويونس وداود وسليمان وإلياس واليسع وزكريا ويحيى وعيسى، وكذا ذو الكفل عند كثير من المفسرين، وسيدهم محمد ﷺ (انظر: تفسير ابن كثير ٤٣٢/٢، (دار الشعب ١٩٧١)؛ تفسير البيضاوى ٣١٢/٢؛ تفسير الجلالين ٣١٢/٢).

(٢) سورة فاطر، آية : ٢٤؛ وانظر: تفسير الفخر الرازى ١٨/٢٦؛ تفسير الطبرى ١٣٠/٢٢، (طبعة الحلبى ١٩٥٤)؛ تفسير روح المعانى ١٨٨/٢٢؛ تفسير مجمع البيان ٢٣٠/٢٢-٢٣٨؛ تفسير البيضاوى ٢٧١/٢؛ تفسير وجدى ص ٥٧٤-٥٧٥).

(٣) سورة الزخرف، آية : ٦؛ وانظر: تفسير القرطبى ٦٣/١٦-٦٤؛ تفسير الطبرى ٥١/٢٥؛ تفسير روح المعانى ٦٥/٢٥-٦٦؛ تفسير البيضاوى ٢٦٣/٢؛ تفسير الفخر الارازى ١٩٢/٢٧-١٩٣؛ الكشاف ٤٧٨/٣؛ تفسير القاسمى ٥٢٥٩/١٤؛ مجمع البيان ٧١/٢٥-٧٢؛ تفسير ابن كثير ٥٢٠٥/٨ ؛ تفسير وجدى ص ٦٤٧.

(٤) سورة غافر، آية : ٧٨؛ وانظر: تفسير القرطبى، ٣٣١/١٥-٣٣٤؛ تفسير البيضاوى ٤٧٢/٢؛ تفسير الطبرى ٨٦/٢٤-٨٧؛ تفسير روح المعانى ٨١/٢٤؛ تفسير الفخر الرازى ٨٨/٢٧؛ مجمع البيان ٢١٦/٢٤-١١٨؛ تفسير الكشاف ٤٣٨/٣؛ تفسير القاسمى ٥١٨٢/١٤؛ تفسير ابن كثير ١٤٨/٧-١٤٨.

(٥) سورة النساء، آية : ١٦٤؛ وانظر : تفسير الطبرى ٤٠٢/٩-٤٠٧؛ تفسير أبى السعود ٨١٦/١-٨١٧؛ تفسير روح المعانى ١٧/٦-١٨؛ الكشاف ٥٨٢/١؛ تفسير المنار ٥٥/٦-٦٣؛ تفسير الفخر الرازى ١٠٧/١٠-١٠٨؛ مجموع البيان ٢٩٣/٥-٢٩٥.

(٦) تفسير ابن كثير ٤٢٢/٢-٤٢٨؛ تفسير القرطبى، ص ٢٠١٤-٢٠١٥، (دار الشعب ١٩٧٠)؛

=

وعلى أى حال ـ فليس من المستحب ـ فيما أعتقد ـ الخوض في إحصاء الرسل والأنبياء، فإنه لا يعلم إلا بوحى من الله تعالى، ولم يبين الله تعالى ذلك في كتابه[1]، غير أن هناك حديث أبى ذر المشهور، والذى جاء فيه أنه دخل المسجد النبوىّ الشريف، فإذا رسول الله ـ ﷺ ـ جالس وحده، فسأله عن أشياء كثيرة، منها الصلاة والهجرة والصيام والصدقة، ثم سأله: كم الأنبياء؟ فقال: مائة ألف وأربعة وعشرون ألفًا، قال: قلت يا رسول الله: كم الرسل من ذلك؟ قال ثلاثمائة وثلاثة عشر، جمٌّ غفيرٌ، كثير طيب، قال: قلت: فمن كان أولهم؟ قال: آدم، قلت: أنبىٌّ مرسل؟ قال: نعم، خلقه الله بيده، ونفخ فيه من روحه، وسوّاه قبيلا»[2].

وأما النبىُّ عند بنى إسرائيل، فيسمى «نابى» Nabi، وجمعها نبئيم Nabi' im وقد اختلفت الآراء حول هذه الكلمة، فهى ـ فيما يرى وليم أولبرايت[3] ـ بمعنى الشخص الذى ناداه الله، أو الذى له دعوة عند الله، ويقرنها بالفعل الأكادى Nabu الذى له نفس المعنى، وكذا الفعل الوصفى Nabi في قوانين حمورابى (١٧٢٨-١٦٨٦ق.م)[4]، والذى معناه

=

الكشاف ١٨/١٣-١٩؛ تفسير المنار ٥٠٠/٧-٥٠٧؛ تفسير روح المعانى ٨٨/٢٤-٨٩؛ مجمع الزوائد ٢١٠/٨؛ أعلام النبوة للماوردى، ص ٥٢؛ المعارف لابن قتيبة، ص ٢٦، (القاهرة ١٩٠٤)

(١) محمود الشرقاوى، المرجع السابق، ص ٢٤.

(٢) تفسير ابن كثير، ٤٢٢/٢-٤٢٦، ط. الشعب، قارن: مسند الإمام أحمد، ٢٦٥/٥-٢٦٦؛ تفسير روح المعانى ٨٨/٢٤؛ مجمع الزوائد ٢١٠/٨.

(٣) W.F. Albright, Archaeology and the Religion of Israel, London, 1953;
وكذا: W.F. Albright, JNES, 6, 1947, p. 16.

(٤) انظر عن قوانين حمورابى: نجيب ميخائيل، مصر والشرق الأدنى القديم، ٥٩/٦-٨١؛ عبد العزيز صالح، الشرق الأدنى القديم، ص ٤٥٩-٤٦٨؛ وكذا: محمد بيومى مهران، العراق القديم، الإسكندرية ١٩٩٠م، ص ٢٣٨-٢٨٣؛

T.J. Meek, The Code of Hammarbi, ANET, 1966, p. 163-180.

«المنادى» وقد كان النبيُّ هو الشخص الذى شعر بأن الله يناديه من أجل دعوة قومه إلى الهدى.

والنبيّ _ فيما يرى دى بورج [١] _ هو الشخص الذى يتحدث عن «يهوه» فى اعتراض مدرك لعالم الحكام الدنيويين والكهنة الرسميين والرأى الشعبى، بل وحتى نقابات التنبؤ، وهو _ فى رأى سيسل روث [٢] _ مبعوث أو متنبىء أو مذيع، وهو فيما يرى سبتينو موسكاتى _ من يدعوه الله، ذلك لأن الله يختار النبى ويوحى إليه ليحمل رسالته إلى الناس، والنبى يكرس نفسه كلها لله، ومن هنا كان يسمى فى كثير من الأحيان، «رجل الله»[٣]، وكلمة النبى _ فيما يروى فيلب حتى _ لا تفيد معنى التنبؤ عن حوادث المستقبل، وإنما تعنى الذى يتكلم نيابة عن يهوه[٤].

على أن الدكتور هانى رزق إنما يذهب إلى أن كلمة النبى إنما تعنى التنبؤ، وهو الإعلان عن أحداث ماضية خفية ومستترة أو أحداث مستقبلة، ويتحقق صدق نبوءته من كذبها، بتحقيق هذه النبوءة وحدوثها من عدمه[٥]، وقد أشار إلى هذا المعنى سفر التثنية فى التوراة فى قول الربّ لموسى عن النبيّ الصادق والنبيّ الكاذب، وإن قلت فى قلبك كيف نعرف الكلام الذى لم يتكلم به الربُّ، فما تكلم به النبيّ باسم الربّ ولم يحدث ولم يصير، فهو الكلام الذى لم يتكلم به الربُّ، بل بطغيان تكلم به النبيُّ، فلا تخف منه»[٦].

(١) W.G. De Burgh, The Legacy of the Ancient World.

وفى الترجمة العربية تحت عنوان «تراث العالم القديم»، ص ٧٤.

(٢) C. Roth , A Short History of the Jewish People, London, 1969, p. 41.

(٣) Sabatino Moscati, Ancient Semitic Civilization, London, 1957.

وفى الترجمة العربية تحت عنوان «الحضارات السامية القديمة»، ص ١٥٠.

(٤) فيلب حتى، تاريخ سورية ولبنان وفلسطين، ص ٢٣١؛ وكذا:

P.K. Hitti, The Near East in the History, Princeton, 1961, p. 107.

(٥) هانى رزق، يسوع المسيح، القاهرة ١٩٧١، ص ٢٠.

(٦) تثنية ١٨: ٢١-٢٢.

والنبىُّ ـ فى رأى هيتون ـ ذلك الإنسان الذى يتحدث نيابة عن الله، وقد استخدم هذا الاصطلاح فى التوراة كذلك بحرية مع أولئك الذين زعموا أنهم يتحدثون باسم سلطة الآلهة الوثنية مثل جماعة إيزابيل التى كانت تتكون من أربعمائة وخمسين نبيًا للبعل، وأربعمائة نبىّ لـ «عشيرة»، والذين جلسوا مع إيليا فوق جبل الكرمل، كذلك استخدام اصطلاح «نبى» فى التوراة ليصف «أنبياء إسرائيل المحترفين» فى القرنين الثامن والسابع قبل الميلاد[١].

وكلمة النبىّ ـ فيما يذكر قاموس الكتاب المقدس ـ إنما تعنى ذلك الشخص الذى يتكلم أو يكتب عما يجول فى خاطره دون أن يكون ذلك الشىء من بنات أفكاره، بل هو من قوة خارقة عنه[٢]، وأما «ميك» الذى بحث عن تصريفالكلمة، فقد ذهب إلى أنها بمعنى «مذيع»، وإن كان علينا أن نتذكر أن «علم الصرف» غير قادر على القطع بتحديد المعنى الأخير، واستعمال الكلمة، ذلك لأن الكلمة إنما تصبح أحيانًا منفصلة عن معناها الأصلى[٣]، ويذهب «سيجال» فى بحث «حول تاريخ الأنبياء عند بنى إسرائيل»[٤]، إلى أن النبىّ إنما هو فم الله الذى يتحدث ويسمع الشعب كلام الله الذى سمعه هو فى رؤيا النبوة[٥].

والرأى ـ عند كلود سور برى[٦] ـ أن الكلمة إنما تعنى «رجل

(١) E.W. Heaton, The Old Testment Prophets, 1969, p. 34-36.

(٢) قاموس الكتاب المقدس، بيروت ١٩٦٧، ٩٤٩/٢.

(٣) J. Meek, Hebrew Origins, N.Y., 1950, p. 228.

(٤) ظهر هذا البحث باللغة العبرية تحت عنوان «التولدوت هبيئيم بيسرائيل» وقد ترجمه إلى اللغة العربية وعلق عليه أستاذنا الدكتور حسن ظاظا، الأستاذ بجامعة الإسكندرية.

(٥) م.ص. سيجال، حول تاريخ الأنبياء عند بنى إسرائيل، بيروت ١٩٦٧، ص١٩، (منشورات جامعة بيروت العربية).

(٦) Claude Sauerbrei, The Holy Man in Israel, JNES, 6, 1947, p. 215-216.

مقدس، وربما لم يستعمل الإسرائيليون هذا المعنى قديماً، وربما قصر استخدامها على أشخاص معينين، فضلا عن أن المعنى إنما يأتى مع موقع الكلمة فى النص وطريقة استعمالها، هذا وقد استعملت الكلمة لبعض الشخصيات العظيمة فى العصر المبكر من التاريخ الإسرائيلى، مثل إبراهيم[١] وموسى[٢] وهارون[٣] وصموئيل[٤]. كما استعملت كذلك لبعض أنبياء الكتاب الكبار مثل أشعياء[٥] وإرمياء[٦] وحزقيال[٧] وحبقوق[٨] وزكريا[٩]، ولكن ربما كان استعمال كلمة «نبى» مع هؤلاء الأشخاص تفسيراً ناقصاً جاء به المؤرخون المتأخرون، وإن كان يبدو أن مفهوم الكلمة قد تحدد منذ عصر الملكية الإسرائيلية، ذلك لأن أسفار الملوك وأخبار الأيام قد حدثتنا عن الكثير من المنازعات بين الأنبياء وملوك إسرائيل ويهوذا، وليس من المقبول أن هذه الأحداث قد اخترعت فى الكتاب المقدس، ومن ثم فهى تبين أن كلمة «نبى» أصبحت منذ تلك الفترة تستعمل لتصف هؤلاء الرجال المقدسين والموالين لـ «يهوه» رب إسرائيل.

وكلمة النبىّ ـ فيما يرى حبيب سعيد ـ تحمل إلى الذهن معنيين، أولهما الإنباء بالمستقبل، وهو المعنى الذى قد يتسرب إلى الأفكار قبل سواه من المعانى، وإن يكن أقلها شأناً فى معنى النبوة قد يعيش ويموت دون أن ينبئ عن المستقبل شيئاً، وأما المعنى الآخر: فهو الإفضاء بالشىء والإفصاح عنه،وهذا هو معنى الكلمة فى أصلها المأخوذ عن اليونانية، فالنبىُّ هو النذير، وهو المذيع، هو الذى يعلن للملأ رسالة، ويفضى إلى الناس بما يتلقى من

---

(١) تكوين ٢٠: ٧.
(٢) هوشع ١٢: ١٣.
(٣) خروج ٧: ١.
(٤) صموئيل أول ١٨: ١٥ وما بعدها، ١٣: ١ وما بعدها.
(٥) أشعياء ٣٧: ٢.
(٦) إرمياء ١: ٥.
(٧) حزقيال ٢: ٥.
(٨) حبقوق ١: ١.
(٩) زكريا ١٠: ١.

إلهام ونور، وقد تتضمن هذه الرسالة عرضاً أنباء عن المستقبل[١].

وهكذا تختلف الآراء فى تفسير كلمة «النبى» حتى بات من الصعب علينا أن نقف بدقة على المفهوم الأساسى للفظ «النبىّ» كما فهمها الإسرائيليون[٢]. ولكننا نستطيع ـ كما يقول سيجال[٣] ـ أن نتبين مدلول هذا الاسم من وظيفة النبى فى حياة بنى إسرائل، ويبدو لنا هذا المدلول بوضوح فى التوراة، حيث نقرأ فى سفر الخروج [٤] أن الربّ يقول لموسى «انظر أنا جعلتك ربّاً لفرعون، وهارون أخوك يكون نبيك»[٥]. ووظيفة هارون إلى جانب موسى مشروحة فى مكان آخر من سفر الخروج، حيث نقرأ: «وهو يكلم الشعب عنك، وهو يكون لك فماً، وأنت تكون له ربّاً»[٦]، ومن ذلك نعلم أن النبىّ هو فم ربّه الذى يتحدث به إلى الشعب، فيسمعه كلام هذا الربّ، كما أن هارون بمثابة «نبىّ» لموسى، عليه السلام أن يبلغ كلام موسى إلى الشعب وإلى فرعون.

وأما النبوة، فلفظة تفيد معنى الإخبار عن الله وعن الأمور الدينية، ولاسيما عما سيحدث فيما بعد بشأن مصير الشعوب والمدن والأقدار بوحى

---

(١) حبيب سعيد، الأنبياء الأقدمون يتكلمون، ص ٦٠٥.

(٢) The Oxford Hebrew Lxicon, 1906, p. 611;

وكذا: J. Hastings, A Dictionary of the Bible, IV, p. 108.

(٣) م.ص. سيجال، المرجع السابق، ص ١٩.

(٤) خروج ٧ : ١.

(٥) أرجو ألا ينزعج القارئ الكريم كثيراً. فمثل هذا كثير فى توراة اليهود، حتى أن صفات الألوهية ـ على ما يبدو ـ لم تكن مقصورة على الله وحده، وإنما شاركه فيها ـ والعياذ بالله ـ غيره (راجع أمثلة فى كتابنا «إسرائيل»، ص ٥٧-٦٩) أما الوحدانية الحقة ـ كما نعرفها نحن المسلمين ـ فلا توجد أبداً فى غير الإسلام، وفى غير كتاب الإسلام، وسنة نبيه العظيم، ولعمرى فإن مسئوليتنا عن إظهار تلك الحقائق للبشرية عامة عن طريق الدراسات المقارنة، وهذا واجب العلماء فى كل التخصصات.

(٦) خروج ٤ : ١٦.

خاص منزل من الله على أنبيائه المصطفين الأخيار[١].

وفى الواقع أن كلمة «نبى» ليست عبرية الأصل[٢]، وليس من الضرورى أن نفترض ـ كما يرى البعض[٣] ـ أن عباءة النبىّ ذات الشعر هى دليل على الأصل العبرى، ذلك لأن البدو لم يرتدوا الجلود أبداً، وربما كانت عباءة النبى هذه من جلد حيوان ضحى به، ثم ارتداها ذلك الإنسان الذى يرغب فى الإلهام، حتى يكون فى حاله هذا على اتصال قريب بالربّ[٤].

ومع ذلك فإن «سيجال» إنما يذهب إلى أن لفظ النبىّ إنما كان خاصًا ببنى إسرائيل، ذلك لأنه ـ فيما يرى ـ ليست هناك نقوش تثبت وجوده فى الكنعانية والفينيقية، ثم إن الفعل «نبأ» الذى اشتق منه الاسم «نبى» لا يوجد فى عبرية العهد القديم فى صورته الأساسية ـ أى فى الثلاثى المجرد ـ وأن الفعل الذى جاء للدلالة على عمل النبىّ فى العهد القديم (التوراة) ، إنما جاء فى الصيغ المزيدة على وزن «فعل» و«تفعل»، وهى فى الحقيقة صيغ مشتقة من الاسم «نبى» نفسه، وهذه الحقيقة تدعونا إلى الاعتقاد بأن الاسم «نبى» قديم جداً فى العبرية الإسرائيلية، وأنه يصعد إلى ما قبل التاريخ من حياة بنى إسرائيل، ولما كان هذا الاسم يميز عماداً حيًا وفعالا فى حياة الأمة، فإنه حفظ منذ تلك الحقب السحيقة بعد أن نسى الفعل المجرد «نبأ» الذى اشتق منه، مع توالى العصور، وانتهى أمره واختفى من اللغة[٥].

(١) قاموس الكتاب المقدس ٩٤٩/٢، وكذا: جورج يوسف، قاموس الكتاب المقدس، تفسير المنار ١٢٢/١٠-١٢٣، (الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٧٤).

(٢) A. Lods, Israel from its beginning to the middle of the Eight century, p. 445, London, 1962.

(٣) B.Satde, Bibisch Iheologie des Alten Testaments, 1905, p. 67.

(٤) Gustav Holscher, Die Proften, Untersuchung Zur Religion Geschiehte Israel, Leipzig, 1914, p. 145-46.

(٥) م.ص. سيجال، المرجع السابق، ص ١٧-١٨.

وعلى أى حال، فإن العلماء الأوربيين أنفسهم ـ ومنهم جوستاف هولشر[1] وشميدث وأدولف لوذر[2] وكلود سور برى[3] ـ يتفقون على أن كلمة «نبى» عربية ـ وليست عبرية ـ فى شكلها ومعناها، وأن أصل الكلمة سامى قديم موجود فى الأكدية بمعنى «يدعو Nabu»[4].

غير أن الأمر ـ كما يقول الأستاذ العقاد ـ غنى عن الخبط فيه بالظنون مع المستشرقين، من يفقه منهم اللغة العربية، ومن لا يفقه منها غير الأشباح والخيالات، فإن وفرة الكلمات التى لا تلتبس بمعنى «النبوة» فى اللغة العربية كالعرافة والكهانة والعيافة والزجر والرؤية، تغنيها عن اتخاذ كلمة واحدة للرائى والنبىّ، وتاريخ النبوات العربية التى وردت فى التوراة سابق لاتخاذ العبريين كلمة النبى بدلا من كلمة الرائى والناظر، وتلمذة موسى لنبىّ مدين مذكورة فى التوراة قبل سائر النبوات الإسرائيلية، وموسى الكليم ـ ولا ريب ـ رائد النبوة الكبرى بين بنى إسرائيل.

ثم إن كلمة «النبى» عربية لفظًا ومعنى، عربية لفظة: لأن المعنى الذى تؤديه لا تجمعه كلمة واحدة فى اللغات الأخرى فهى تجمع معانى الكشف والوحى والإنباء بالغيب والإنذار بالتبشير، وهى معان متفرقة تؤديها اللغات الحديثة بكلمات متعددة، فالكشف مثلا تؤديه فى اللغة الإنجليزية Revela-tion والوحى تؤديه كلمة Inspiration واستطلاع الغيب تؤديه كلمة Divi-nation أو Oracle ولا تجتمع كلها فى معنى «النبوة» كما تجتمع فى هذه الكلمة باللغة العربية.

---

(١) G.Holscher, op.cit., p. 146.

(٢) A. Lods, The Prophets and the Rise of Judaism, London, 1937.

(٣) Claude Sauerbrei, The Holy many in Israel, A Study in the Development of Prophecy, in JNES, b, 1947, p. 216.

(٤) فيلب حتى، المرجع السابق، ص ٢٣١. وكذا:
P.K. Hitti, The Near East in the History, Princeton, 1961, p. 107.

وقد وجدت كلمة «النبوة» فى اللغة العربية غير مستعارة من معنى آخر، لأن اللغة العربية غنية بكلمات العرافة والعيافة والكهانة وما إليها من الكلمات التى لا تلتبس فى اللسان العربى بمعنى النبوة، كما تلتبس فى الألسنة الأخرى عن أصل التسمية واشتقاق المعانى الجديدة عن الألفاظ القديمة، فكلمة «النبى» تدل على معنى[١] واحد لا تدل على غيره، خلافًا لأمثالها من الكلمات فى كثير من اللغات.

وقد استعار العبريون كلمة «النبى» من العرب فى شمال شبه الجزيرة العربية بعد اتصالهم بهم، لأنهم كانوا يسمون الأنبياء الأقدمين بالآباء، وكانوا يسمون المطلع على الغيب بعد ذلك باسم الرائى أو الناظر، ولم يفهموا من كلمة «النبوة» فى مبدأ الأمر إلا معنى الإنذار[٢].

وأما كلمة Prophet الإنجليزية وكلمة Prophéte الفرنسية وكلمة Profeten الألمانية وغيرها، فإنها منقولة عن اليونانية القديمة، ذلك أن الأمم التى كان تشيع فيها نبوءة الجذب، يكثر أن يكون مع المجذوب مفسر يدعى العلم بمغزى كلامه ولحن رموزه وإشاراته، وقد كانوا فى اليونان يسمون المجذوب مانتى Manti ويسمون المفسر بروفيت Prphet أى المتكلم عن غيره، ومن هذه الكلمة نقل الأوربيون كلمة «النبوءة» بجميع معانيها[٣].

---

(١) عباس العقاد، حقائق الإسلام وأباطيل خصومه، بيروت ١٩٦٦، ص ٩١-٩٢.

(٢) عباس العقاد، إبراهيم أبو الأنبياء، ص ١٥٩.

(١) عباس العقاد، حقائق الإسلام وأباطيل خصومه، ص ٩٠.

(٣) تاريخ النبوة وتطورها عند بنى إسرائيل

كان لقب «النبوة» عند اليهود، أقل خطراً مما يدل عليه فى أذهان المسلمين - وربما المسيحيين كذلك - ذلك أن اللاويين - عشيرة موسى الأقربين - كانوا يحتكرون الزعامة الروحية ويتوارثونها فى بنى إسرائيل، فلا يكون كاهن إلا منهم ومن نسلهم، وكان يحدث - حسب سنة الطبيعة - أن ينبغ من غير عشيرة اللاويين رجل يمارس سلطة روحية وزعامة اجتماعية بين العبريين، وكان العرف يمنعه أن يكون كاهناً، فكان يسمى «عرافاً» أو «شيخاً» أو «رائياً»[١].

ولكن يبدو أنه منذ قبيل القرن السابع قبل الميلاد، أصبح ليس من الضرورى أن يكون نسل لاوى هم الذين يمارسون الكهانة دون سواهم من نسل إسرائيل، لأن أولاد داود والعازار وابن أبينا داب، والأفراميان صموئيل ويشوع وعير البائيرى، كانوا يمارسون وظائف الكهانة، وقد استمر هذا الأمر فى المملكة الشمالية (إسرائيل) حتى نهايتها على يد سرجون الأشورى فى عام ٧٢٢ق.م[٢].

ومع ذلك فقد كان للكهنة اللاويين امتياز خاص، فلقد اعتبر الأفرامى «ميخا» نفسه محظوظاً، لأنه كان يحتفظ بأحد هؤلاء اللاويين ليقوم بتقديم طقوس معبده الخاص، حيث أنه كان من نسل جرشوم بن موسى عليه السلام، أى أنه من أصلاب أسرة الكهنة ذات المكانة العالية فى «دان»[٣]، ويرجح أن يكون كهنة «شيلوه»[٤] من اللاويين كذلك، فقد كان أحدهم

---

(١) حسن ظاظا، الساميون ولغاتهم، ص ٨٠-٨١.

(٢) خروج ٣٢: ١١؛ صموئيل أول ٧: ٤؛ صموئيل ثان ٨: ١٨، ٢٣: ٢٦؛ ملوك أول ١٢: ٣١، وكذا: A. Lods, op.cit., p. 412-416, 440.

(٣) دان : مدينة تقع فى طرف إسرائيل الشمالى وقت ذاك، وهى عند سفح جبل حرمون عند تل القاضى حيث منابع الأردن.

(٤) شيلوه: مدينة تقع شمال بيت إيل فى منتصف المسافة بين بيتين وشكيم، ويرجح أنها سيلون الحديثة على مبعدة ١٧ ميلا شمالى القدس.

يدعى «فينحاس» من أحفاد هارون عليه السلام[(١)].

غير أنه ـ على ما يبدو ـ أن رياسة الكهنوت الإسرائيلى قد أصبحت مقصورة على اللاويين منذ القرن التاسع قبل الميلاد، وهناك ما يشير إلى أن رجال قبيلة موسى الذين دعوا فى هذه الفترة باسم «رجال الإله المخلص يهوه» كان لهم الامتياز الوحيد لممارسة الكهانة[(٢)].

وأيًا ماكان الأمر، فإن العرف إنما كان يمنع غير اللاوى من أن يكون كاهنًا، ومن ثم فقد كان يدعى «عرافًا» أو «شيخًا» أو «رائيًا» وأخيرًا اجتمعت كل هذه المواهب فيمن كان يسمى «نبيًا» وكان صموئيل أول من حمل هذا اللقب من الرجال فى إسرائيل، كما كانت «دبورة» أول من حمله من نسائهم[(٣)]، فإذا كان ذلك، كذلك، فإن كلمة «نبى» إنما حملتها النساء فى فلسطين قبل أن يحملها الرجال من بنى إسرائيل، ذلك لأن عصر «دبورة» إنما كان سابقًا لعصر صموئيل النبىّ، حيث عاشت هذه المرأة ـ كقاضية ونبية لإسرائيل ـ فى عصر القضاة، بينما عاش صموئيل فى أخريات هذا العصر وفى أوائل عصر الملكية، بل إنه هو الذى أعلن الملكية الإسرائيلية، عندما اختار شاؤل أول ملك لإسرائيل[(٤)]، وهذا يعنى ببساطة أن القوم إنما كانوا يعتقدون أن نبوة المرأة إنما كانت أسبق من نبوة الرجل فى فترة الاستقرار فى فلسطين على الأقل.

وعلى أى حال فإن العلماء ـ ومنهم هولشر[(٥)] وكيتل[(٦)] وروبنسون[(٧)]

---

(١) خروج ٦ : ٢٥؛ عدد ٢٥ : ٧، ١١؛ صموئيل أول ١ : ٣، ٢ : ٣٤؛ قاموس الكتاب المقدس ٣٥٧/١ : ٥٣٤؛ وكذا: A. Lods, op.cit., p. 440.

(٢) A. Lods, op.cit., p. 440-441.

(٣) حسن ظاظا، المرجع السابق، ص ٨١.

(٤) انظر: كتابنا «إسرائيل»، ص ٣٨٠-٣٨١؛ ٣٩١-٣٩٧، القاهرة، ١٩٧٣.

(٥) G. Holscher, op.cit., p. 125 FF.

(٦) R. Kittel, Geschichte des Volkes Israel, II, 1922, p. 95F.

(٧) T.H.Robinson, A History of Israel, I, 1932, p. 179F.

ولودز[1] ويونكر[2] _ إنما يعتمدون فى تأريخ تطور النبوة الإسرائيلية على ما جاء فى التوراة، حيث جاء فى سفر صموئيل الأول : «قديماً فى إسرائيل، هكذا كان الرجل يقول عند ذهابه ليسأل الله، هلم نذهب إلى الرائي، لأن النبيّ اليوم كان يدعى سابقاً الرائى[3]»، وهذه الآية ليست من صميم سياق النص، ولكنها حاشية من يد ناسخ أراد أن يفسر لفظة الرائى، التى وردت فى الآيات ١١، ١٨، ١٩، من الإصحاح التاسع من سفر صموئيل الأول، وهى فى مكانها الحالى تقطع الحوار بين الغلام وبين شاؤل.

وهكذا أحل الكاتب اسم «نبى» مكان اسم «رائي» ومنه استنتج العلماء أن الاسم «نبى» مستحدث فى حقبة من الحقب التى سبقت عصر الكاتب لهذه الحاشية، وأن التسمية «نبى» لم تكن قبل ذلك معروفة فى إسرائيل، وأن «رجل الله»، إنما كان يدعى ويوصف بلفظة «الرائى»، وأن صموئيل نفسه، كان يدعى _ ويدعو نفسه كذلك _ «الرائى» لا«النبيّ»[4].

أما التحول الذى حدث فى تسمية «رجل الله» من «الرائى» إلى النبيّ فقد حدث بعد صموئيل، ومن ثم فإن هذا التحول يحدد نهاية عصر وبداية عصر آخر جديد فى تاريخ النبوة الإسرائيلية، ففى هذا العصر الجديد تغيرت صفات «رجل الله» ووظائفه، ومن ثم فقد تغير اسمه من الرائى إلى النبى[5]، وانطلاقاً من هذا فإن صموئيل لم يكن نبياً، بل رائياً، وإن صفة النبى التى أعطيت له فى التوراة[6]، إنما استعملت لغير زمانها.

---

(١) A. Lods, op.cit., p. 513F.

(٢) Herbert Junker, Prophet and Seher in Israel, Treves, 1927, p. 126F.

(٣) صموئيل أول ٩ : ٩ .

(٤) صموئيل أول ٩ : ١١، ١٨، ١٩؛ م.ص. سيجال، المرجع السابق، ص ٩-١٠ .

(٥) م.ص. سيجال، المرجع السابق، ص ١٠ .

(٦) صموئيل أول ٣ : ٢٠ .

ويتجه الأستاذ «سيجال»[١] إلى أن هذه النظرية كلها إنما تقوم على أساس مزعزع، ذلك لأن صفة «النبى» قد أعطيت لـ «ناثان» فى فقرة اتفق الجميع على إيغالها فى القدم ـ وهى الفقرة الخاصة بتولى سليمان الملك[٢] ـ إذ يرى كل الباحثين أنها كتبت في أوائل حكم سليمان، وبيد معاصره «ناثان» وليس من الجائز القول بأن جملة «ناثان النبىّ» كانت فى الأصل «ناثان الرائى»، وإذا كان وصف ناثان بأنه نبىٌّ أصيلا فى الفقرة، فإنه أصيل كذلك فى سفر صموئيل الثانى (٧: ٢، ١٢: ٢٥).

وقياسا على «ناثان» يمكن القول بأن وصف «جاد» بأنه نبى أصيل كذلك فى الملوك الأول[٣]، وكذا الحال بالنسبة لـ «أخيا» فى الملوك الثانى[٤]، فضلا عن صموئيل وموسى، أضف إلى ذلك أن نفس الكاتب الذى سمى صموئيل بالرائى، إنما يتكلم فى سياق القصة نفسها عن «الأنبياء»[٥]، كذلك ورد فى قصة قديمة أن «شاؤل» طلب فى معركة «جبل جلبوع» الأنبياء، لا الرؤاة[٦].

وإذن فقد اتضح أنه كان هناك أنبياء فى أيام صموئيل، وأنه من غير الممكن القول بأن الحاشية الواردة فى سفر صموئيل (٩: ٩) تفيد أن لفظ «النبى» لم يكن قد وجد بعد على أيام صموئيل، أو أن اللفظ قد استحدث على أيامه حتى، وذلك لنوع معين من «رجال الله»، من ذوى «الشطحات»، ذلك لأن النص لا يقول أكثر من أن النبى والرائى بمعنى واحد، وأنهم على أيام كاتب هذه الحاشية، لم يكونوا يستعملون بعد لفظ «الرائي» فى الكلام العادى، وكانوا يقولون «النبى» بدلا منها[٧].

---

(١) م.ص. سيجال، المرجع السابق، ص ١٢-١٤.
(٢) ملوك أول ١: ٨، ٢٢، ٣٢، ٣٨، ٤٤.
(٣) ملوك أول ٢٢: ٥، ٢٤، ١١.
(٤) ملوك ثانى ١١: ٢٩، ١٤، ٢، ٨.
(٥) صموئيل أول ١٠: ٥-٧.
(٦) م.ص. سيجال، المرجع السابق، ص ١٥.
(٧)

ورغم أن ما أراد «سيجال» إثباته، ربما كان صحيحًا، وربما عرف الإسرائليون لفظ النبىّ قبل أيام صموئيل، إلا أن الدليل الذى قدمه لنا لإثبات وجهة نظره ليس دليلا مقنعًا، ذلك أن صموئيل ـ كما هو معروف ـ قد عاصر شاؤل أول ملوك إسرائيل، وإذا كان شاؤل قد ولى الأمر فى إسرائيل فى الفترة (١٠٢٠-١٠٠٠ق.م)، وأن سليمان عليه السلام، قد وليها فى الفترة (٩٦٠-٩٢٢ق.م)[١]، فالفترة بين تولية كل منها تقارب الستين عامًا.

ومن ثم فإن استعمال كلمة «نبى» صحيح بالنسبة لأيام سليمان، غير أنه ليس من المنطق إثبات استعمال «لفظ»، استعمل فى منتصف القرن العاشر ق.م، لإثبات أنه نفسه قد استعمل فى القرن الثانى عشر ـ إن لم يكن السادس عشر ـ وهى الفترة التى يقترحها المؤرخون على أن الكليم عليه السلام، قد عاش فيها[٢]، ومن ثم فإن إثبات استعمال لفظة «نبى» على أيام سليمان عليه السلام لا يمكننا بحال من الأحوال من إثبات استعمالها على أيام صموئيل، فضلا عن أيام كليم الله، موسى عليه السلام.

(١) اختلف المؤرخون فى فترة حكم سليمان وغيره من ملوك إسرائيل، ومن ثم فهناك من يحدد الفترة (٩٧٠-٩٣٣ق.م)؛ ومن يحدد الفترة (٩٦٣-٩٢٩ق.م) ومن يحدد الفترة (٩٦١-٩٢٢ق.م) ومن يحدد الفترة (٩٦٠-٩٢٥ق.م) والأمر كذلك بالنسبة إلى فترة حكم شاؤل، فهناك من يحدد الفترة (١٠٢٠-١٠٠٠ق.م) ومن يحدد الفترة (١٠٢٠-١٠٠٤ق.م)، ومن يحدد الفترة (١٠٣٠-١٠٠٤ق.م) ومن يحدد الفترة (١٠٢٥-١٠١٣ق.م)، ومن يحدد الفترة (١٠٠٠-٩٨٥ق.م) انظر فى ذلك: كتابنا «إسرائيل» ، ص ٢٧٦، ٣٩٧، ٤١٧-٤١٨؛ فيلب حتى، المرجع السابق، ص ٢٠٢-٢٠٣؛ وكذا: I. Epstein, Judaism, p. 35.
وكذا: Hahl, P. 80-81;
W. Albright, The Archaeology of Plastine, p. 125-122,
وكذا: W. Keller, The Bible as History , p. 181F;
وكذا: G. Roux, Ancient Iraq, p. 454.

(٢) انظر عن عصر موسى عليه السلام والنظريات التى دارت حول تاريخ خروج بنى إسرائيل من مصر (كتابنا «إسرائيل» ، ص ٢٥٤-٣٠٣)، (ط ١٩٧٣م).

أضف إلى ذلك أن سفر الملوك الأول، الذى اعتمد عليه الأستاذ سيجال ـ وهو أستاذ كرسى دراسات العهد القديم فى الجامعة العبرية بالقدس ـ يعرف أنه ـ أى سفر الملوك الأول، وكذا الثانى ـ قد كتبهما، كما يقول التلمود[1] ، إرميا، وإرميا هذا إنما عاش فى أخريات القرن السابع وأوائل القرن السادس قبل الميلاد (٦٢٦-٥٨٠ق.م). وليس فى القرن العاشر قبل الميلاد، بل إن علماء اللاهوت يرون أن سفر الملوك الثانى تمتد حوادثه إلى ما بعد عصر إرمياء، ومن ثم فإن الذى كتبها إنما هو «باروخ» أو «عزرا»،

---

(١) التلمود، كلمة عبرانية تعني التعليم أو المعرفة، وهو التوراة الشفهية، التى قام أحبار اليهود بتسجيلها كتابة فيما بعد، ومن هنا كان التلمود ـ ولا يزال موضع التبجيل، كتاب مقدس على قدم المساواة فى نظر الكثير من اليهود مع التوراة ، بالإضافة إلى أنهم يعدونه موسوعة تتضمن الدين والشريعة والتاريخ والتأملات الميتافيزيقية والعلوم الطبيعية والفلك والقصص الشعبى، ممتزجة جميعًا بألوان من الفكر الخرافى، ومن المعروف أن التلمود تلمودان: أورشليمى وبابلى، والأورشليمى ما وضعه أحبار أورشليم، ويحتوى على ٣٩ بحثًا بالعبرية وقد بدئ فى كتاباته حوالى عام ١٨٩م (فى قرية صبورة على بحيرة طبرية) وحتى القرن الرابع الميلادى، أما التلمود البابلى: فقد بدئ فى كتاباته فى بغداد فى أخريات القرن الخامس ويشمل ٣٦ بحثًا بالآرامية وبعض الشروخ بالعبرانية.

وينقسم التلمود إلى قسمين رئيسيين هما : المشنا: ومعناها التكرار أو الشريعة المكررة لأن شريعة موسى المعروفة فى الكتب الخمسة وردت مكررة فى هذا الكتاب، مع تفسير وتوضيح ما التبس منها، وأما القسم الثانى فهو: «الجمارة» ومعناها الاستكمال أو الشروح، وهو ما أضيف إلى هذه الشريعة فيما بعد، ونلاحظ أن «المشنا» فى التلمودين واحدة، ولا يختلف التلمودان إلا فى «الجمارة» فهى فى التلمود البابلى أربعة أمثالها فى التلمود الفلسطينى (انظر: مقالنا «التلمود» مجلة الأسطول، العدد ٢٩ فبراير، ١٩٧٢؛ ول ديورانت ، قصة الحضارة ١١/١٤-١٥؛ نجيب ميخائيل، المرجع السابق، ٢٢٩/٣؛ ابن حزم، المرجع السابق، ١٧/٢-١٨؛ صبرى جرجس، التراث اليهودى الصهيونى، ص ٨٩؛ وكذا:

M. Noth, The History of Israel, London, 1932;

وكذا:

C.F. Moore, Judaism in The First Centuries of the Christian Era, Cambridge, 1932.

وكذا: I.Fpstein, Judaism, 1975.

أى فيما بين الفترة التى تلت العودة من السبى البابلى فى عام ٥٣٩ق.م، وبين أخريات القرن الخامس قبل الميلاد، ومن ثم فإن نصوص سفر الملوك متأخرة زمنيًا فى كتابتها عن استعمال كلمة «نبى»، وبالتالى لا تصلح كحجة يعتمد عليها فى التأريخ لهذه الكلمة.

هذا فضلا عن أن سفر صموئيل الأول ـ وكذا الثانى ـ وإن نسبهما التلمود إلى صموئيل، فالاتفاق على أن كابتهما غير معروف، وربما كان جاد وناثان، وهما النبيان اللذان يحتج بهما الأستاذ سيجال، بل إن هناك من يرجح أن المراجعة النهائية للسفرين إنما تمت على يد أحد تلاميذ هذين النبيين[١].

ومع ذلك كله، فإننى من المقتنعين بنبوة صموئيل ـ فضلا عن نبوة كليم الله موسى وأخيه هارون، عليهما السلام، ذلك لأن شاؤل، إن كان حقًا هو طالوت ـ وهذا ما نميل إليه ونرجحه ـ فإن صموئيل هو النبىّ الذى اختاره ملكًا على إسرائيل[٢].

ولنقرأ هذه الآيات من سورة البقرة، يقول سبحانه وتعالى : ﴿ألم ترَ إلى الملأ من بنى إسرائيلَ من بعد موسى إذ قالوا لنبىٍّ لهم ابعث لنا ملكًا نقاتل فى سبيلِ الله، قالَ هل عسيتم إنْ كُتبَ عليكم القتالُ ألا تقاتلوا قالوا وما لنا ألاّ نقاتلَ فى سبيلِ الله وقد أُخرجنا من ديارنا وأبنائنا فلما كُتبَ عليهم القتالُ تولَّوا إلا قليلا منهم والله عليمٌ بالظالمين، وقالَ لهم نبيُّهم إنَّ الله قد بعث لكم طالوتَ ملكًا قالوا أنّى يكونُ له الملكُ علينا ونحنُ أحق بالملك منه ولم يؤتَ سعةً من المالِ قالَ إنَّ الله اصطفاه عليكم وزاده بسطةً فى العلمِ

(١) انظر: كتابنا «إسرائيل» ، ص ٣٢-٣٣؛ مراد كامل، إسرائيل فى التوراة والإنجيل، ص ٧٠؛ قاموس الكتاب المقدس، ٢٩١/١، ٩٢٠/٢؛ وكذا:
M.F. Unger , Unger's Bible Dictionary, p. 633.

(٢) صموئيل أول ٩: ١-١٠: ٢٧؛ وانظر كتابنا «إسرائيل» ، ص ٣٩٥-٣٩٧، القاهرة ١٩٧٣م.

والجسم والله يؤتى ملكه من يشاء والله واسع عليم، وقال لهم نبيهم إن آية ملكه أن يأتيكم التابوت فيه سكينة من ربكم وبقية مما ترك آل موسى وآل هارون تحمله الملائكة إن فى ذلك لآية لكم إن كنتم مؤمنين﴾[1]

وهكذا تشير الآيات الكريمة بوضوح إلى أن الذى اختار «طالوت» (شاؤل فى التوراة) ملكًا، إنما كان نبيًا، ومن ثم فإن نبوة صموئيل[2]

---

(١) سورة البقرة، آية : ٢٤٦–٢٤٨؛ وانظر: تفسير الطبرى ٢٩١/٥–٣٣٨؛ تفسير روح المعانى ١٦٦/٣–١٦٨؛ فى ظلال القرآن ٢٦٦/٢–٢٦٩، (بيروت ١٩٧٣)؛ تفسير الكشاف، ٣٧٨/١–٣٧٩؛ تفسير الفخر الرازى ١٨١/٦–١٩٣؛ (المطبعة البهية المصرية ، القاهرة ١٩٣٨)؛ تفسير الطبرسى، ٢٧٥/٣–٣٨٤ (بيروت ١٩٦١)؛ تفسير القاسمى ٦٤١/٣–٦٤٧، (طبعة الحلبى ١٩٥٧)؛ تفسير المنار ٣٧٢/٢–٣٨٧؛ تفسير الجلالين ، ص ٤٣–٤٤؛ تفسير القرطبى، ص ١٠٥١–١٠٥٨ ، (دار الشعب، القاهرة ١٩٦٩)؛ تفسير ابن كثير ٤٤٣/١–٤٤٦، (القاهرة ١٩٧١)؛ تفسير وجدى، (دار الشعب، ١٩٧١).

(٢) صموئيل النبى: يحتل صموئيل مكانة ممتازة فى تاريخ النبوات الإسرائيلية ـ فضلا عن التاريخ الإسرائيلى ـ حتى اشتهر بين القوم بإحياء الشريعة وقرن اسمه باسم موسى وهارون فى مواضع كثيرة من التوراة (تفسير المنار، ١٢٣/١٠؛ كتابنا إسرائيل، ص ٣٩١–٤٠٧)؛ وينظر إليه على أنه أول أنبياء العبرانيين بعد عهد موسى، وآخر القضاة، وكان أبوه «القانة» لاويا ينتسب إلى صوفاى أو صوف (صموئيل أول ١ : ١؛ أخبار أيام أول ٦ : ٢٦؛ ٣٥)؛ وإلى عشيرة «قهات»، وكان إفرايميا لأن عشيرته قد أعطيت الحق ـ عن طريق القرعة ـ فى السكن فى منطقة أفرايم (يشوع ٢١ : ٥؛ أخبار الأيام الأول ٦ : ٦٦)؛ وقد عاش أبوه القانة فى «الرامة»، وكانت له امرأتان «حنة» و«فننة» ، ولم يكن لحنة أولاد، فصلت للربّ وطلبت ابنًا نذرته للربّ، فاستجيب دعاؤها وسمت الولد صموئيل (اسم الله، أو اسمه إيل)، ثم عهدت به إلى الكاهن «عالى» ليدربه على خدمة الربّ (صموئيل أول ١ : ٢ : ١–١١)؛ وكبر صموئيل واختير نبيا للربّ (صموئيل أول ٣ : ٢٠–٢١) ثم صاحب السلطان الدينى غير المنازع فى إسرائيل بعد موت عالى الكاهن، ثم قاضيا لبنى إسرائيل، وعندما شاخ اختار ولديه قاضيين لإسرائيل، غير أنهما لم يكونا جديرين بثقته لأنهما اختار الرشوة وعوجا القضاء»، فضلا عن سوء السيرة الشخصية، مما اضطر بنو إسرائيل إلى أن يطلبوا منه أن يقيم عليهم ملكا، فأمره ربّه أن يمسح شاؤل ملكا، ثم داود من بعده، ومات صموئيل ودفن فى بيته فى الرامة فى الوقت الذى كان فيه شاؤل يطارد داود فى برية «عين جدى» (انظر: قاموس الكتاب المقدس، الجزء الأول، بيروت ١٩٦٤، ص ٥٥٣).

صحيحة ـ على ما أعتقد ـ غير أن صحة نبوة موسى وهارون ـ ثم صموئيل من بعد ـ شيء، ومعرفة كاتب نص التوراة (في سفر صموئيل الأول ٩ : ٩) باستعمال كلمة «نبي» شيء آخر، هذا فضلا عن أن كاتب النص التوراتي، إنما يرى أنها استعملت منذ أيام صموئيل فحسب، وأخيراً ما أكثر الحقائق ـ والدينية بالذات ـ التي جهلها بنو إسرائيل، أو على الأقل تجاهلوها.

وعلى أي حال، فإن بني إسرائيل سرعان ما عرفوا بعد ذلك أنواعًا مختلفة من النبوة، ولعل من الأهمية بمكان أن نناقش الفرق بين النبي والرائي من ناحية، وبين النبي والكاهن من ناحية أخرى، قبل أن نناقش أنواع النبوات الإسرائيلية.

(٣) الفرق بين النبيّ والرائى

يرى «هو لشر[١]» أن الفرق بين النبيّ والرائى يكمن فى أن النبيّ هو المذهل أو المعجز وصاحب الرؤيا، بينما الرائى يحصل على معلوماته الخارقة للطبيعة بدون «دروشة»، وبالتطلع إلى الظواهر الخارجية، وبخاصة الخيالات المتولدة من ظلام الليل والحلم وما بين اليقظة والنوم، ويفسر العلامات والبشائر مثل شبيهه البابلى بارو PARU والذى يعنى اسمه كذلك «عراف» أو «رائى» Scer، ولم يكن العراف فى الأصل على اتصال بالآلهة العظيمة للقبيلة أو العشيرة، لأنه ـ شأنه فى ذلك شأن الكاهن أو الرائى العربى [٢] ـ كان يحصل على معلوماته من روح أو شيطان.

وفى الواقع، فقد كان «هولشر» مبالغًا فى التفرقة بين النبى والرائى، حينما جعل «الدروشة» من صفات النبى العبرانى، ذلك لأنه ليس من المحتمل ألا يكون العبرانيون والعرب القدامى على علم بظواهر «الدروشة»، ومن ناحية أخرى نجد حالات بين العرب من العرافين الذين لديهم الإلهام من الآلهة العظيمة مثلهم فى ذلك مثل العبرانيين الذين يصورون كما لو كان إلههم «يهوه» هو الذى يوجههم، كما فى سفر صموئيل الأول (٩: ١٥)[٣].

ويبدو ـ فيما يرى هربرت يونكر[٤] ـ أنه وفقًا للوصف الذى يستخدم فيه الاصطلاحان جنبًا إلى جنب (كما فى سفر صموئيل الأول ٩: ١ـ١٠، ١٦) أن الاصطلاح الأول، ونعنى به الرائى، يشير إلى شخص

(١) G. Holscher, op.cit., p. 127F.

(٢) المعروف من معتقدات العرب فى الجاهلية أن «الرائى» لم يكن من الإنس، بل من الجن، وكان يعتاد الرجل فيخبره بالغيب ويمنحه الطب والعرافة والكهانة، كما أنهم استعملوا التعبير «رئى القوم» أى صاحب الرأى فيهم (لسان العرب، جـ١٤، مادة «رأى»).

(٣) A. Lods, op.cit., p. 443.

(٤) H. Junkler, op.cit., p. 126.

ملهم يعيش في مدينة ويعطي معلومات لمن يستشيره مقابل مبلغ صغير في مشاكل تافهة عن حياته اليومية، وهكذا كانت صفة صموئيل، بينما كان إلهام النبيّ قوياً وعنيفًا ومعدياً، يبدو ذلك بوضوح في قصة شاؤل، حينما ترك الرائي وقابل مجموعة من هؤلاء الأنبياء تتقدمهم أصوات الدفوف والمزامير والأعواد، وتأثير هذه الموسيقى الصاخبة، ومنظر الرقص، وحركات الأنبياء العنيفة، حلت الروح في شاؤل، وبدأ يتنبأ معهم، أي أنه انهزم أمام الدروشة المقدسة(١).

وهناك قصة لاحقة - وأسطورية كذلك - ولكنها بدون قيمة إلا كصورة لعادات الإسرائيليين في ذلك الوقت، والقصة تبين مبعوث الملك - ثم الملك شاؤل نفسه - كما لو أن الروح كانت تحل بهم عند وصولهم إلى جماعة الأنبياء مباشرة، ومن ثم فقد جردوا أنفسهم من ملابسهم، وبقوا ساجدين على الأرض طول الليل(٢).

وهكذا نرى أن الإلهام الشائع وقت ذاك - والمعبر عن نفسه بالرقص والهتاف (٣) - وإن لم يكن معروفًا من قبل بين البدو الساميين من العبرانيين، فقد كان مع هذا شائعاً بينهم، بينما كان هذا النوع من الطقوس الدينية قد تبنته عبادات فينيقيا وسورية وآسيا الصغرى(٤).

وانطلاقًا من هذا يمكننا القول أن مجموعات الأنبياء القديمة، ربما نشأت بين الإسرائيليين، نتيجة اتصالهم بالكنعانيين وتقليدهم لهم، وأن هذا الجنون المقدس كان له أثره في الوافدين الجدد من العبرانيين على أرض

---

(١) صموئيل أول ١٠ : ١-١١، وكذا: A. Lods, op.cit., p. 443-4.

(٢) صموئيل أول ١٩ : ١٨-٢٤، وكذا:

A. Lods, The Prophets and the Rise of Judaism, 1937.

(٣) H. Junkler, op.cit., p. 122.

(٤) ملوك أول ١٨، وكذا: H. Junkler, op.cit., p. 132-139.

كنعان، كتأييد لسلطة إلههم «يهوه»، ومن ثم فعلى يهوه أن يظهر ككفؤ لآلهة البعل الكنعانية، وأن يظهر أثره على الإسرائيليين وفى حياتهم[١].

وهناك كذلك من الفروق بين الرائى والنبى، أن الرائى كان يخبر بما سيكون، حسب علامات معروفة تلقى دلالاتها وتأويلاتها نقلا عن سابقيه، كان حكيماً وساحراً وعرّافاً، مثل الكاهن العربى و«بارو» البابلى، ومثل رؤاة آخرين لدى الأمم السامية كانوا يفحصون فى أكباد القرابين أو فى الأزلام والأقداح أو الأنصاب، أو يبحثون فى الأحلام وغيرها من الإشارات ونحوها، وكانوا يفسرون هذه الإشارات، وينبئون ـ وفقًا لها ـ بما سيكون، ويكشفون المغيبات[٢].

أما النبى، فكان شخصًا مختلفًا تمام الاختلاف، كان «ذا شطحات» صاحب جرأة ووجد ربانى، تصل به إلى حد التجرد عن المادة، والانطلاق ـ لوقت ما ـ من مجال الحواس العادى، كان «الروح» يستولى عليه، ويملأ نفسه، وجسده كما فى حالة «المس»[٣]، وإذا هو ـ تحت سلطان الروح ـ قد رأى ما رأى، وفعل ما فعل، وقال ما قال[٤].

---

(١) A. Lods, op.cit., p. 444-445.

(٢) م.سيجال، المرجع السابق، ص ١٠-١١.

(٣) حال المس: يسميها اليهود «دبوق» وهى روح هائمة مؤذية تمس البعض فيتخبطون وتصبح أحوالهم غير عادية.

(٤) م.ص. سيجال: المرجع السابق، ص ١١.

(٤) الفرق بنى النبىّ والكاهن

يقول الأستاذ العقاد[1] - طيّب الله ثراه - إن الحد الفاصل بين النبوة والكهانة فى السلالة العربية مرسوم، أو كأنه مرسوم، فكان الأنبياء هم أول من تولى أمر الدين فى السلالة العربية، وكانوا يسوسون أمر الدنيا فيما تتطا هذه الرئاسة، ثم افترق عمل النبىّ وعمل الكاهن، ووقع العداء بينهما أحياناً، فأصبحت الكهانة وظيفة تعارض النبوة فى كثير من الأوقات، وهنا الفارق العظيم بين النبوة والكهانة، فالكهانة وظيفة، ولكن النبوة ليست بوظيفة، ولم يحدث قط أن أحداً عين نبياً، كما حدث كثيراً تعيين الكهان لعمل الكهانة.

إنّ النبوة التى تنفصل عن الكهانة خاصة لم تتكرر فى غير السلالة العربية، فمّا من ديانة كبرى أو صغرى فى أنحاء العالم، إلا ويستطيع المؤرخ أن يحيلها كلها من مبدأ التاريخ إلى عمل الكهان، وما من كهانة إلا وهى وظيفة قابلة للتعيين، والاختلاف بين ديانات الأنبياء والديانات الأخرى، أن النبى لا يعينه أحد، ولا ينبعث بأمر أحد، ولكنه ينبعث بباعث واحد من وحى ضميره ووحى خالقه، وقد يأتى ليصدم العبادات والشعائر والمراسيم التى يقوم الكهان على الحفاظ عليها.

والفرق بين النبى والكاهن فى جوهر العمل أوسع جداً من الفرق بينهما فى التعيين والاختيار، فالكاهن موكل بالشعائر والمراسيم والأشكال، يحرص عليها ويأبى أن يشاركه أحد فيها، ولكن النبى تعنيه روح الدين وحقيقته فى الضمير، قبل هذه الشعائر والمراسيم والأشكال، سريرة الإنسان هى وجهة النبى وغايته من التبشير والإنذار، وأما الكاهن فوجهته نظام المجتمع وتقاليد الدولة وما إليها من الظواهر أو الواجبات العامة.

---

(١) عباس العقاد، إبراهيم أبو الأنبياء، ص ١٥٧.

ولكن الأمر بالنسبة إلى النبوة الإسرائيلية جد مختلف، فهناك ازدواج بين وظيفة الأنبياء ووظيفة الكهنة فى الطقوس الدينية التى كانت تقوم فى المعابد والهياكل، ويبدو هذا الازدواج فى أسفار الأنبياء من التوراة، كما فى سفر أشعياء حيث يربط بين «الكاهن والنبى»[١]، وكما فى سفر أرمياء حيث يربط بين «الكهنة والأنبياء»[٢].

ولعل من الجدير بالملاحظة أن الكهنة إنما يذكرون دائمًا قبل الأنبياء فى نصوص التوراة، فيما عدا المواضع التى يدور السياق فيها عن النبوة لأن الحديث فيها أكثر اتصالا بالنبىّ عنه بالكاهن[٣]، وذلك لأن الكهنة كانوا أكثر أهمية فى المعبد، وكان الأنبياء تبعًا لهم وملحقين بهم، ومن أجل هذا تقول التوراة، أنه عندما يتعثر الكاهن يتعثر النبىّ تبعًا له[٤]، وتتهم الأنبياء الذين تبنأوا كـذبًا بأنهم آلة فى أيدى الكهنة ليـمـدوا سلطانهم على الشعب[٥]، كما أن تبعية النبى للكاهن وكونه دونه منزلة، يظهران فى نص سفر إرمياء، جاء فيه «لأنهم من صغيرهم إلى كبيرهم، كل منهم مولع بالربح، ومن النبىّ إلى الكاهن كل منهم يعمل بالكذب»[٦]، فجاء بالنبى فى مقابل «صغيرهم» وبالكاهن فى مقابل «كبيرهم»[٧].

هذا ونحن نعلم أن بعض الأنبيـاء Nebi'im كـانوا فى بادئ أمـرهـم كهانًا Kohanim[٨]، بل إن الارتباط الوثيق بين الكاهن والنبىّ فى معـابد

---

(١) أشعياء ٢٨ : ٧.

(٢) إرمياء ٢٦ : ٧.

(٣) إرمياء ٢٣ : ٣٣-٣٤.

(٤) هوشع ٤ : ٥.

(٥) إرمياء ٥ : ٣١.

(٦) إرمياء ٦ : ١٣؛ ثم قارن أشعياء ٩، ١٤.

(٧) م.ص. سيجال، المرجع السابق، ص ٣٦.

(٨) C. Saurbrei, op.cit., p. 217.

إسرائيل معناه أن الأنبياء الكهنة لم يوجهوا أى نقد للعقيدة الكهنوتية[١]، كما أن التوراة كثيراً ما ترتبط بينهما فى الانحراف، ولنقرأ ما جاء فى سفر أشعياء بهذا الصدد «هؤلاء ضلوا بالخمر وتاهوا بالمسكر، الكاهن والنبىّ ترنحا بالمسكر، ابتلعتهما الخمر، تاها من المسكر، ضلا فى الرؤيا، قلقا فى القضاء، فإن جميع الموائد قد امتلأت قيئًا وقذراً، ليس مكان، لمن يعلم معرفة ولمن يفهم تعليماً»[٢].

أضف إلى ذلك أن واحداً من كبار أنبياء إسرائيل ـ وأعنى به حزقيال ـ كان كاهناً قبل أن يكون نبيًا، ومن ثم فقد اهتم بمراسيم الدين وطقوسه دون الروح، ولكن البعض إنما يرى أن حزقيال ـ الكاهن النبى ـ قد جمع بين الأمور الطقسية والروحية معاً، وأن العنصر الطقسى فى العبادة لا يقل فى أهميته عن العنصر الروحى الصوفى، وأن الكاهن والنبى يكمل أحدهما الآخر فى الحياة الدينية[٣].

وأخيراً فهناك فرق كبير بين الكاهن والنبىّ عند إسرائيل، ذلك أن الكاهن يجب أن يكون من طبقة معينة ومن سلالة خاصة، من أسرة هارون بالذات، ومن اللاويين بصفة عامة[٤]، بينما الأمر غير ذلك بالنسبة للنبى، إذ يمكن أن يكون من أية طبقة من طبقات المجتمع، ومن كل أسباط إسرائيل.

---

(١) E.W. Weaton, op.cit., p. 40.

(٢) أشعياء ٢٨ : ٧-٩.

(٣) حبيب سعيد، المرجع السابق، ص ١٤٠-١٤١.

(٤) خروج ٢٨ : ١، عدد ١٦ : ٤٠؛ قارن: خروج ٣٢ : ١١؛ صموئيل أول ٧ : ١؛ صموئيل ثان ٨ : ١٨، ٢٢، ٢٦.

أنواع النبوات الإسرائيلية

من عجيب الاستقصاء أن القرآن الكريم قد أحصى النبوات الغابرة بأنواعها، فلم يدع منها نوعاً واحداً يعرفه اليوم أصحاب المقارنة بين الأديان، ومن تلك الأنواع نبوءة السحر ونبوءة الرؤيا والأحلام، ونبوءة الكهانة ونبوءة الجذب أو الجنون المقدس ونبوءة التنجيم وطوالع الأفلاك، وكلها مما يدعيه المتنبؤن ويدعون معه العلم بالغيب والقدرة على تسخير نواميس الطبيعة ولكنها على اتفاقها فى هذه الدعوة تختلف بمصادرها ونظرة الناس إليها أيما اختلاف[1].

فنبوءة السحر يغلب عليها أنها موكلة بالأرواح الخبيثة تسخرها للاطلاع على المجهول أو السيطرة على الحوادث والأشياء، ونبوءة الكهانة يغلب عليها أنها موكلة بالأرباب، لا تطيع الكاهن، ولكنها تلبى دعواته وصلواته وتفتح لها مغالق المجهول فى يقظته أو فى منامه، وترشده بالعلامات والأحلام، ولا تلبى سائر الدعوات والصلوات.

ولكنهما ـ أى نبوءة السحر ونبوءة الكهانة ـ تخالفان نبوءة الجذب والجنون المقدس، لأن الساحر والكاهن يدريان بما يطلبان، ويريدان قصداً ما يطلبانه بالعزائم والصلوات، ولكن المصاب بالجذب أو الجنون المقدس مغلوب على أمره ينطلق لسانه بالعبارات المبهمة وهو لا يدريها، ولعله لا يعنيها[2].

وفى الواقع أن العبريين ـ فيما عدا الزعم باحتكار النعمة الإلهية، وعزلة العصبية فى أضيق حدودها ـ لم يبتكروا شيئًا فى ثقافة الدين، وأخذوا كل ما أخذوه من حولهم، غير منصرفين فى عقيدة من عقائده الكبرى، إلا ما تصرفوا فيه بالخرافة والأحجبة والطلسم والشعوذة والسحر على سذجاته الأولى بين القبائل البادية[3].

(١) عباس العقاد، حقائق الإسلام وأباطيل خصومه، ص ٨٩.

(٢) نفس المرجع السابق، ص ٨٩-٩٠.

(٣) عباس العقاد، الثقافة العربية أسبق من ثقافة اليونان والعبريين، ص ٧٠.

وسنحاول هنا أن نقدم نوعين من النبوءة الإسرائيلية، وهما : الأنبياء القانونيون، والأنبياء المحترفون.

أولا ـ الأنبياء القانونيون:

وهم الذين يطلق عليهم أحيانا «أنبياء إسرائيل العظام، رجال الله» وليس من شك فى أنه على رأس هذا الفريق من الأنبياء العظام، كليم الله موسى عليه السلام، وهناك فقرة مشهورة فى التوراة تصور نموذجين متناقضين من الأنبياء جاء فيها: «قفا اسمعا كلامى، إن كان منكم نبىّ للربّ، فبالرؤيا استعلن له فمى الحكم أكلمه، وأما عبدى موسى، فليس هكذا، بل هو أمين فى كل بيتى، فما إلى فم وعيانا أتكلم معه لا بالألغاز، وشبه الربّ يعاين»[1].

هذا فضلا عن تشبيه آخر من هذه التشبيهات العبرية الإخبارية، جاء فى التوراة كذلك، حيث نقرأ «ويكلم الربُّ موسى وجهًا لوجه، كما يكلم الرجل صاحبه»[2]، وهكذا لم يعرف بنو إسرائيل من نبوة الكليم ـ عليه السلام ـ وهى أكمل وأتم ما عرفوه من النبوات، كما أن صاحبها، ولا ريب، رائد النبوة الإسرائيلية، إلا أن الربّ كان يخاطبه فمًا إلى فم، وعيانًا بغير حجاب.

وعلى أى حال، فإن أنبياء إسرائيل القانونيين يقفون شامخين فى تقاليد

---

(١) عدد ١٢ : ٦-٨؛ ثم قارن: سورة الأعراف، آية : ١٤٢-١٤٤؛ وانظر: تفسير الطبرى ١٣/٨٦-١٥٠ (دار المعارف، القاهرة ١٩٥٨)؛ تفسير ابن كثير ٣/٤٦٥-٤٧١، (دار الشعب ، القاهرة ١٩٥٨)؛ تفسير ابن كثير ٣/٤٦٥-٤٧١ (دار الشعب، القاهرة ١٩٧١)؛ تفسير المنار، ٩/١٠٤-١٦٨؛ تفسير القرطبى، ص ٢٧١٠-٢٧٢٦، (دار الشعب، القاهرة ١٩٧١)؛ تفسير المنار ٩/١٠٤-١٦٨؛ تفسير القرطبى، ص ٢٧١٠-٢٧١٦، (دار الشعب، القاهرة ١٩٧٠).

(٢) خروج ٣٣: ١١.

موسى، وعلينا أن نتتبع ماضيهم الروحي، وحتى المجموعة المتجهمة في الصحراء فقد كانوا ـ كموسى ـ سمح لهم بأن يكونوا من مجموعة «أصدقاء الله»[١] ويعتبر «إرميا» من أوضح الأنبياء في أن هذه المعرفة الشخصية المباشرة بالله تعتبر أساساً جوهرياً في قوة النبوة[٢].

وتتميز نبوة هؤلاء الأنبياء بمميزات، منها (أولا) أنها لم تكن بإذن من ذوى السلطان ـ أمراء كانوا أم ملوكاً، كهاناً أو شيوخاً – وإنما كان يمتلئ يقين النبيُّ بالإيحاء إليه، فيمضى في تبليغ وحيه، ولا يقوى أحياناً على كف لسانه، كما قال إرمياء[٣]، وكثيراً ما كان النبيُّ ينحى على زملائه في عصره ويخالفهم في تفسير النذر من ربّه، تقول التوراة ـ على لسان إرميا ـ «من عند أنبياء أورشليم[٤] خرج نفاق في كل الأرض، فكذا قال ربُّ

(١) هوشع ١٢ : ١٣.
(٢) E.W. Heaton, op.cit., p. 40.
(٣) إرمياء ٢٠ : ٧-٩.
(٤) أورشليم: وتعني مدينة السلام، أو مدينة إله السلام، وتقع على مبعدة ١٤ ميلا إلى الغرب من البحر الميت، ٣٣ ميلا إلى الشرق من البحر المتوسط، وخمسة أميال إلى الشمال الشرقى من «بيت لحم»، والاشتقاق الأصلي لاسم المدينة غير مؤكد، وإن كان من الواضح أنه سامي، وأقدم النقوش التي ورد فيها ذكر المدينة هو نقش مصرى يرجع إلى القرن التاسع عشر ق.م. حيث ذكرت تحت اسم «أور ـ ساليموم»، ثم ظلت تحت الحكم المصرى حتى أيام العمارنة في القرن الرابع عشر ق.م، ثم استقل اليبوسيون بها وسموها «يبوس» حتى احتلها داود عليه السلام (١٠٠٠-٩٦٠ق.م)، وأطلق عليها «مدينة داود»، ربما لأن اسمها القديم كان غريباً على اليهود، وربما لأن فيه تخليداً للاهوت أجنبي، وربما ـ وهو الأرجح ـ أنه أراد تخليد اسمه بإطلاقه على المدينة القديمة أو على جزء منها، ذلك لأن اليهود أطلقوا على المدينة كذلك اسم «يورشالايم» أو «أورشالم» بإضافة لاحقة عبرية كي تصبح عبرية النطق، وقد سميت المدينة في النصوص الآشورية «أورساليمو» ، وفي النصوص اليونانية الرومانية «هيروسوليما» وأما أسماؤها العربية فهى بيت المقدس والمقدس والقدس الشريف، أما الاسم الثابت فهو القدس، والذى يبدو أنه رافق المدينة منذ بداية تاريخها، وفي عام ١٣٥م دعاها الرومان «إيليا» وقد استمر هذا الاسم حتى الفتح العربى عام ١٥هـ، فأعاد المسلمون إليها اسمها القديم «القدس» (انظر كتابنا «إسرائيل» ، ص ٤٥٥-٤٧٢؛ عبد الحميد زايد، القدس، القاهرة ١٩٧٤؛ حسن ظاظا، القدس، الإسكندرية ١٩٧٠؛ قاموس الكتاب المقدس ، ١٢٩/١-١٣٥؛ وكذا: Yeivin, JNES, 7, p. 40.
R. J. Finegan, op.cit., p. 198F; ANET, p. 487-9; M.Unger, op.cit., p. 576; Macalister, CAH, 3, p. 332-333.

الجنود: لا تسمعوا لكلام الأنبياء الذين يتنبأون لكم، فإنهم يجعلونكم باطلا، يتكلمون برؤيا قلوبهم، لا عن فم الرب[١]»، وتقول التوراة كذلك - على لسان ميخا مخاطبًا آخاب ملك إسرائيل - «قد جعل الربُّ روح كذب في أفواه جميع أنبيائك هؤلاء، والربُّ تكلم عليك بشر»، ويتصدى له «صدقيا بن كنعنة»، ويضرب ميخا على الفك، ويقول: من أين عبر روح الربِّ مني ليكلمك»[٢].

ومنها (ثانيًا) أن واحدًا من هؤلاء الأنبياء العظام لم يأخذ أجرًا على رسالته، ويروى الكتاب المقدس أن عاموس النبي قد عارض بشدة ادعاء «إمصيا» بأنه قد حصل على قوته عن طريق التنبوءات، وأن إرمياء قد رفض هدية نعمان[٣]، ومنها (ثالثًا) أن هؤلاء الأنبياء - رغم صلة بعضهم بالملوك - فإنهم ظلوا دائمًا أحرارًا غير مقيدين بحزب معين يخضع لهذا أو ذاك.

ومنها (رابعًا) أن التوراة تصفهم في بعض أسفارها كصموئيل الأول وأخبار الأيام الثاني وعاموس وإرميا - بأنهم مقامون من عند الله[٤]، ومعينون منه[٥]، ومرسلون من عنده[٦].

ومنها (خامسًا) أن هؤلاء الرجال من الأنبياء لم يشغلوا وظائف قط، ولم يمروا بدورة تلمذة، ولم يشتركوا في أية حلقة من حلقات الأنبياء، ولم يتلقوا علم اللاهوت عن أحد، فالنبي عاموس - شأنه في ذلك شأن اليشع -

---

(١) إرمياء ٢٣: ١٥-١٦.

(٢) ملوك أول ٢٢: ٢٣-٢٤.

(٣) ملوك ثان ٥: ١٩-٢٧ وكذا:

E.W. Heaton, The Old Testament Prophets, 1968, p. 39.

Ibid, p. 39.

(٤) عاموس ٢: ١١.

(٥) صموئيل أول ٣: ٢٠؛ إرمياء ١: ٥.

(٦) أخبار أيام ثان ٣٦: ١٥؛ إرمياء ٧: ٢٥.

كان فلاحًا يعمل فى الحقول حين هبطت عليه الدعوة «فأخذنى الربُّ من وراء الضأن، وقال لى الربُّ: اذهب تنبأ لشعبى إسرائيل[١]» وبساطة تقرير عاموس هذا إنما يؤكد أن الأنبياء اليهود الصادقين لم تكن لهم صلة بالديانات قبل هبوط الرسالة إليهم.

والأمر كذلك بالنسبة إلى الكليم موسى عليه السلام، فقد كان يرعى غنم حميه «يثرون»[٢] حين رأى الرؤيا داخل شجرة مشتعلة بالنار[٣]، وخلاصة هذه الفكرة تتفق من ناحية الشكل مع قصة أشعياء مع أن الأخير كان فى المعبد حين تلقى الدعوة[٤].

وأما إرمياء فقد عبَّر عن الضرورة التى أحس بها تجاه رسالته، حين وصفها بأنها بعثة أو مهمة قدرت له، وهو ما يزال فى بطن أمه جنينًا «فكانت كلمة الربُّ إلىَّ، قبلما صورتك فى البطن عرفتك، وقبلما خرجت من الرحم قدستك، جعلتك نبيًا للشعوب»[٥].

ومنها (سادسًا) أن هؤلاء الأنبياء كانوا يتشككون فى قدرتهم على حمل هذه الرسالة العظيمة، ذات المسئوليات الجسام، ويتخوفون من ضعف

---

(١) عاموس ٧: ١٥؛ ملوك أول ١٩: ١٩-٢١؛ صموئيل ثان ٧: ٨-٩.

(٢) من عجب أن نصوص التوراة تتناقض فى صهر موسى هذا ، فهو فى سفر الخروج (٣: ١) يثرون كاهن مديان، وهو فى العدد (١٠: ٢٩) حوباب بن رعوئيل، وهو مرة ثالثة فى الخروج (٢: ١٦-١٨) رعوئيل نفسه كاهن مديان حينذاك، بل إن التوراة لا تستقر على رأى واحد بشأن تلك القبيلة التى صاهرها موسى، فهى مرة قبيلة مديانية، وهى مرة أخرى، كما فى سفر القضاة (١: ١٦) قينية. ثم تعود مرة ثالثة لتؤكد ذلك فى القضاة (١٤: ١١)ك؛ وذلك فى ثنايا قصة دبورة النبية، حين تتعرض لنسب «جابر القينى» ، فتقرر أنه من بنى حوباب، حمى موسى (انظر كتابنا «إسرائيل»، ص ١٠٠-١٠١).

(٣) خروج ٣: ١-٦؛ ثم قارن: سورة القصص، آية: ٢٩-٣٢؛ وانظر: تفسير القرطبى، ص ٤٩٩٦-٥٠٠٠، (دار الشعب، القاهرة ١٩٦٩).

(٤) أشعياء ، الإصحاح السادس.

(٥) إرمياء ١: ٥؛ وانظر: E.W. Heaton, op.cit., p. 52.

الإنسان المادى، وحاجته إلى عون ربّه لأداء مهمته، فيعترف إرمياء «إنّى لا أعرف أن أتكلم لأننى ولد»، فيجيبه ربّه «لا تقل إنّى ولد، لأنك إلى كل من أرسلك إليه تذهب وتتكلم بكل ما آمرك به، لا تخف من وجوههم لأنى أنا معك لأنقذك يقول الربُّ، ومدَّ الربُّ يده ولمس فمى وقال الربُّ لى: ها قد جعلت كلامى فى فمك، قد وكلتك هذا اليوم على الشعوب وعلى الممالك لتقطع وتهدم، وتهلك وتنقض، وتبنى وتغرس»[1].

ويتردد صدى هذه الكلمات نفسها فى قول موسى عليه السلام «استمع أيها السيد، لست أنا صاحب كلام، منذ أمس، ولا أول من أمس، ولا من حين كلمت عبدك، بل أنا ثقيل الفم واللسان»، ويأتيه الجواب من ربّه الكريم «من صنع فمًا أو من يصنع أخرسًا أو أصمًا أو بصيرًا أو أعمى، أما هو أنا الربُّ فالآن اذهب وأنا أكون مع فمك، وأعلمك ما تتكلم به»[2]، ومرة أخرى يتخوف الكليم عليه السلام من مهمته «فقال موسى لله من أنا حتى أذهب إلى فرعون وحتى أخرج بنى إسرائيل من مصر، قال الله إنّى معك»[3].

ولعل من الواضح هنا أن الفرق جد كبير بين هذا الكلام، وبين الثقة الشديدة فى الذات، التى كان يبديها الأنبياء المحترفون ـ إن لم يكن الغرور الشديد ـ فالنبىُّ هنا دائمًا يتخوف من مهمته العظيمة، ويطلب عون ربّه على آدائها، ودائمًا إنما كان ربُّه يعينه على آدائها «فالآن اذهب، وأنا أكون مع فمك وأعلمك ما تتكلم به»[4].

(١) إرمياء ١ : ٤ـ١٠.

(٢) خروج ٤ : ١٠-١١؛ وانظر كذلك: خروج ٦ : ١٢؛ قضاة ٦ : ١٥؛ ثم قارن : سورة القصص، آية : ٣٣-٣٤؛ سورة طه، آية : ٢٤-٣٦.

(٣) خروج ٣ : ١١-١٥؛ ثم قارن: سورة طه، آية : ٤٢-٤٧.

(٤) خروج ٤ : ١٢؛ وانظر: أرمياء ١٥ : ١٩؛ قضاة ٦ : ١٦، ٢٢؛ ثم قارن: سورة الشعراء، آية : ١٢-١٧؛ سورة القصص، آية : ٢٥؛ وانظر: تفسير القرطبى، ص ٤٨٠٧-٤٨١٠، ٤٩١٩؛ تفسير الجلالين، ص ٣٢٦-٣٢٧، ٣٤٧؛ تفسير وجدى، ص ٤٨٠، ٥١١-٥١٣.

ومنها (سابعًا) أن هؤلاء الأنبياء كان حتمًا لزامًا عليهم، الإعلان عن رسالتهم، سواء استمع الإسرائيليون إليها أم لم يستمعوا، وأن مهمة النبيّ هنا، إنما هي تثبيت الأمة على ثباتها الخلقي والروحي «اذهب وقل لهذا الشعب اسمعوا سمعًا ولا تفهموا، وأبصروا إبصارًا ولا تعرفوا، غلظ قلب هذا الشعب، وثقل أذنيه وطمس عينيه، لئلا يبصر بعينيه ويسمع بأذنيه ويفهم بقلبه، ويرجع فيشفى»[1].

وهكذا ـ مرة أخرى ـ نلاحظ أن هناك فارقًا بين الجدية الخلقية، وبين تفاؤل النبيّ المحترف السهل، وكيف كانت معرفة الأنبياء العظام لله ـ جل وعلا ـ معرفة عميقة وشخصية، وهي أكبر من أن تقارن بأى نوع من العقائد السائدة وقت ذاك، لقد كان كافيًا لهم أن الله قد تحدث إليهم من خلال الحياة التى يعيشونها وذلك باعطائها قدرًا من ذاته ومن حبه، وأن هذا القدر ليكشف لنا عن الهدف السامي الذى من أجله قد أرسلوا لهداية الناس، الأمر الذى ألقى عليهم عبء بلوغ الكمال، ولعل هذا هو السبب فى أن الواحد من هؤلاء الأنبياء العظام كان يسعى إلى أن يحقق فى نفسه النقاء وطهر العيش اللذين كان يدعو غيره إليهما فى قوة وإلحاح[2].

ومنها (ثامنًا) أن كثيرًا ما اعتزل هؤلاء الأنبياء العظام فى الصحراء يحيون فيها حياة النسّاك، أو عاشوا على نحو آخر عيشة تقشف وزهد، وكان يسود تفكيرهم كله شوق إلى بساطة العيش القديمة، ذلك المثل الأعلى البدوى الذى ظل قوة حية فى كثير من الشعوب السامية، وإن كان من

---

(١) أشعياء ٦: ٩–١٠.

(٢) E. W. Heaton, op.cit., p. 53-54;

وكذا:

H.W. Robnson, Inspiration and Revelation in the Old Testament, Oxford, 1946;

وكذا: H.H. Rowley, The Servant of the Lord, p. 38F.

الجلى أن ظاهرة كالنبوة لها طبيعتها الشخصية القوية، لا يكفى تفسيرها على نحو كاف بالشوق والنزوع إلى أحوال الماضى، فالأفكار والأعمال التى صدرت عن هؤلاء الأنبياء، دخل فى صنعها قدر كبير من العبقرية الأصيلة ـ التى لعبت فيه قدرة الله الدور الأساسى ـ لا يكفى معه مثل هذا التفسير[١].

وأما أهم هؤلاء الأنبياء الذين اعتبرتهم التوراة قانونيين (شرعيين)، فربما أمكن تقسيمهم إلى أربعة مجموعات طبقاً للتسلسل التاريخى:

(١) **أنبياء ما قبل الملكية الإسرائيلية**: وأهمهم، إبراهيم[٢] وإسحاق[٣] وموسى (وهو عندهم أبو الأنبياء)[٤]، ثم هارون[٥] ويشوع[٦].

(٢) **أنبياء عصر الملكية**: وأهمهم : إيليا (حوالى عام ٨٥٠ق.م) ويونان (٧٨٥-٧٤٥ق.م)[٧] وعاموس (٧٦٠-٧٤٦ق.م)، وهوشع (٧٥٠-٧٢٢ق.م) وأشعياء الأول (٧٣٤-٦٨٠ق.م) وميخا (٧٤٠-٧٠١ق.م) وناحوم (٦٥٠-٦٢٥ق.م) وصفنيا (حوالى ٦٣٠ق.م) وإرمياء (٦٢٦-٥٨٠ق.م).

(٣) **أنبياء فترة السبى البابلى** : (٥٨٧-٥٣٩ق.م) : وأهمهم: حزقيال (٥٩٣-٥٧٢ق.م) ودانيال (٦٠٥-٥٢٧ق.م)

---

(١) موسكاتى، المرجع السابق، ص ١٥١ وكذا:
H.H. Rowley, Studies in The Old Testament Prophecy, Clork, 1950.

(٢) تكوين ٢٠ : ٧؛ وانظر : كتابنا «إسرائيل»، ص ١٦٠-٢١٤، القاهرة ١٩٧٣.

(٣) تكوين ٢٦ : ٢، ٢٤. وانظر كتابنا «إسرائيل»، ص ٢١٤-٢١٦.

(٤) هوشع١٢ : ١٣ وانظر: م.ص. سيجال، المرجع السابق، ص ٢٠، ٤٠ وكتابنا إسرائيل، ص ٢٥٤-٣٢٩، القاهرة ١٩٧٣.

(٥) خروج ٧ : ١.

(٦) صموئيل أول ١٨ : ١٥ وما بعدها ١٣ : ١ وما بعدها.

(٧) «إيليا» هو «إلياس» ـ كما سوف نشير فيما بعد ـ وأما «يونان» فربما كان (وهو الأرجح) نبى الله، يونس، عليه السلام.

(٤) **أنبياء ما بعد السبي البابلي:** وأهمهم : حجي (حوالى ٥٢٠ق.م) وزكريا[1] (٥٢٠-٥١٨ق.م)، وعوبديا (حوالى ٤٥٠ق.م) وملاخي (حوالى ٤٥٠ق.م) ويوئيل (حوالى ٤٠٠ق.م)[2].

ولعل من الجدير بالملاحظة أن جميع هؤلاء الأنبياء ـ باستثناء إبراهيم وإسحاق وهارون وإيليا ـ لهم أسفار تحمل أسماءهم في التوراة ـ أو العهد القديم، كما يسمونها - وأن موسى ـ وإن لم تكن هناك أسفار باسمه ـ إلا أن الأسفار الخمسة الأولى من التوراة (التكوين والخروج واللاويين والعدد والتثنية)، إنما تنسب إليه عليه السلام، بل إن اسم التوراة إنما يقصد به في الأصل هذه الأسفار الخمسة الأولى، ثم أطلق اسم التوراة تجاوزاً على بقية أسفار «العهد القديم» من باب إطلاق الجزء على الكل، أو لأهمية التوراة ونسبتها إلى موسى عليها السلام[3].

---

(١) بدهي أن زكريا التوراة هذا ، غير زكريا القرآن ، والد يحيى عليهما السلام، واللذين عاصر السيد المسيح عليه السلام (انظر عن زكريا، القرآن، سورة آل عمران، آية : ٣٣-٥٩؛ وكذا: تفسير الطبري ٢٢٦/٦-٤٧٢؛ الدر المنثور في التفسير بالمأثور ١٩/٢-٤٠؛ تفسير أبي السعود، ٤٦٦/١-٤٩٦؛ تفسير الطبرسي ٦١/٣-٩٨؛ تفسير الفخر الرازي، ٢٠/٨-٦٤؛ تفسير ابن كثير ٢٦/٢-٣٩؛ تفسير القرطبي، ص ١٣٠٤-١٣٤٤؛ تفسير المنار، ٢٣٦/٣-٢٦٢؛ تفسير الجلالين، ص ٥٧-٦٠؛ تفسير وجدي، ص ٦٨-٧٢؛ قصص الأنبياء لابن كثير، ٣٤٧/٢-٣٦٦، (القاهرة ١٩٦٨)؛ عبد الوهاب النجار، قصص الأنبياء، ص ٣٦٨-٣٧٠؛ (القاهرة ١٩٦٦).

(٢) قاموس الكتاب المقدس ، ٩٥١/٢، ٨٤١؛ وكذا: E.W. Heaton, op.cit., p. 172-172.
وكذا: H.Knight , The Hebrew Prophetic Consciousnes, Lutterworth, 1947;
وكذا:

Lucien Gautier, Introduction a l'Aneien Testament, Payot, Suisse, 2 Vols., 1939.

(٣) انظر: كتابنا «إسرائيل» ، ص ١٩ ، ط ١٩٧٣.

ثانياً ـ الأنبياء المحترفون:

لم يكن كل أولئك الذين أطلق عليهم لفظ «نبي» أول الأمر، من طبقة الأنبياء القانونيين الجديرين باحترامنا من أمثال الأنبياء الكبار ـ كإبراهيم وموسى عليهما السلام، فضلا عن إيليا ويونان، إلى جانب عاموس وأشعياء ـ وإنما كان بعضهم من المتنبئين الذين يستطيعون قراءة قلوب الناس وماضيهم، ويخبرونهم بمستقبلهم، حسبما يتقاضون منهم من أجور[1].

وقد أدى هذا النوع من الأنبياء إلى تدهور جلال النبوة وضعف أثرها القيادي في بني إسرائيل، ومن ثم فسرعان ما نزلت النبوة إلى مستوى الصناعة أو المهنة، ذات القواعد المقررة التي يستطيع الإنسان أن يتعلمها وأن يتدرب عليها، ومن ثم فلا عجب ـ والحال هذه ـ أن يدخل في فئة النبوة أناس لم يحل عليهم الروح القدس، وإن لم تكن لهم تلك المواهب النفسانية والروحانية التي كانت للنبي الحق، المرسل من لدن الله، حتى لقد كان بينهم أناس أقبلوا على الكسب الحرام، ونبأوا واشتغلوا بالعرافة لحساب من يدفع الثمن، ومنهم كان الأنبياء الكذبة الذين أضلوا الإسرائيليين[2].

وفي أخريات القرن الحادي عشر قبل الميلاد، زاد عدد هؤلاء الأنبياء ـ وخاصة في الرامة، والتي ربما كانت رام الله الحالية [3] ـ فاجتمعوا معاً وافتتحوا «مدرسة الأنبياء»[4]، أو أن السبب ربما كان لأن الكهنة قل اهتمامهم بالتعليم والتعلم في أيام صموئيل، ومن ثم فقد أقاموا هذه المدرسة التي أطلق على تلامذتها اسم «بني الأنبياء»[5]، وعلى أي حال، فلقد كانوا

(١) ول ديورانت، قصة الحضارة، ٤٤٩/٢.
(٢) م.ص. سيجال، المرجع السابق، ص ٤١.
(٣) قاموس الكتاب المقدس، ٣٩٣/١.
(٤) عاموس عبد المسيح، دراسة في عاموس، ترجمة حارث قريصة، ص ٣٠.
(٥) تفسير المنار، ١٢٢/١٠

جميعاً يعملون من أجل الملك، وفى معرفتهم لإرادة الله استخدموا حركات غير طبيعية، فكانوا يغنون ويرقصون ويحركون أجسامهم بعنف إلى درجة يفقدون فيها وعيهم، وبهذه الطريقة كانوا يكشفون الرؤيا للشعب[١].

وما أن يمضى حين من الدهر حتى يؤسس القوم لبنى الأنبياء مدارس أخرى فى بيت إيل وأريحا والجلجال وغيرها[٢]، وكان رئيس المدرسة يدعى «أباً» أو «سيداً»[٣]، وكانت مناهج الدراسة تشمل تفسير التوراة وتعليم الموسيقى والشعر، ولذلك نمت فى تلك المدارس موجة من الشعر والغناء، واللعب على آلات الطرب عند التلاميذ[٤].

ومن ثم فإن هذا النوع من النبوة، إنما هى صناعة تعلم موادها فى المدارسة ويستعان على الإقناع بها بالتخيلات الشعرية والإلهامات الكلامية، والمؤثرات الغنائية والموسيقية والمعلومات المكتسبة، وكان من نتيجة ذلك كله أن كثيرين ممن تعلموا فى مدارس الأنبياء هذه لم يعطوا قوة على الإنباء بما سيأتى، وأن الذين اختصوا بهذه الخصوصية، إنما هم أناس كان الله ـ جل وعلا ـ يقيمهم وقتاً دون آخر، حسب مشيئته، ويعدّهم بتربية فوق العادة لواجباتهم الخطيرة[٥].

هذا وقد انتظمت جماعات الأنبياء على أيام «اليشع» (النصف الثانى من القرن التاسع قبل الميلاد)، فى مجموعات دائمة، سرعان ما كونت لها مستعمرات صغيرة بالقرب من مدن معينة (مقدسة عادة) كالجلجال وأريحا

---

(١) عاموس عبد المسيح، المرجع السابق، ص ٣٠-٣١.

(٢) ملوك ثان ٢ : ٣-٥، ٤ : ٣٨ : ١.

(٣) صموئيل أول ١٠ : ١٢؛ ملوك ثان ٢ : ٣.

(٤) قاموس الكتاب المقدس ٢/٩٤٩؛ وانظر: تفسير المنار ١٠/١٢٢؛ خروج ١٥ : ٢؛ قضاة ٤ : ٤، ٥ : ١؛ صموئيل أول ١٠ : ٥؛ ملوك ثان ٣ : ١٥؛ أخبار أيام أول ٢٥ : ٦.

(٥) تفسير المنار، ١٠/١٢٢-١٢٣، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٧٤

وبيت إيل، وربما كانت هذه المستعمرات بجوار مدارس الأنبياء نفسها، ثم سرعان ما أطلق على أصحاب هذه الجاليات «أبناء الأنبياء» - Bene Han nebi' im وإن كانت هذه التسمية لا تعنى بحال من الأحوال أنهم أنجال أو حواريو الأنبياء، وإنما تعنى أنهم ينتمون إلى جماعة الأنبياء[1].

وكان أعضاء جاليات الأنبياء، هؤلاء يأكلون من مائدة واحدة[2]، ويخضعون لأوامر رؤسائهم الذين كانوا يسمون «السادة»[3] كما كانوا يسجدون أمامهم[4] ويؤدون لهم أجل الخدمات[5]، وكان يسمح لهم بالزواج، ولا يوجد أى سبب لافتراض أنهم مارسوا أى نوع من التقشف[6]، وإن كانت هناك نصوص فى التوراة ـ والإنجيل من بعدها ـ تذهب إلى أنهم إنما كانوا يتعودون على التقشف والاكتفاء بالقليل والتنسك وقبول الإحسان البسيط[7]، بل إن الواقع إنما يشير إلى أن كثيراً من هؤلاء الأنبياء وأولادهم، إنما كانوا طوافين على الناس، يعيشون ضيوفاً عند الأتقياء المحبين لرجال الدين، كما هو المعهود من بعض دراويش المتصوفة أهل الطرق من المسلمين[8].

وهناك نصوص توراتية منحتهم لقب «رجل الله المقدس»[9] ـ مثلهم فى ذلك مثل الأنبياء القانونيين ـ ومن ثم فقد ذهب فريق من الباحثين فى اللاهوت إلى أن ربَّ إسرائيل، إنما كان يختار من بين هؤلاء التلاميذ عدداً

(١) ملوك ثان ٤ : ٣٨-٤٤ .

(٢) نفس المرجع السابق.

(٣) ملوك ثان ٢ : ٣، ٦ : ٥.

(٤) ملوك ثان ٢ : ١٥.

(٥) ملوك ثان ٣ : ١١.

(٦) ملوك أول ١٧ : ٥-٨؛ ملوك ثان ٤ : ١١؛ وانظر كذلك: A. Lods, op.cit., p. 446.

(٧) ملوك ثان ٤ : ٨-١٠، ١٨؛ متى ٣ : ٤؛ قاموس الكتاب المقدس ٢/٩٤٩

(٨) تفسير المنار ١٠/١٢٣-١٢٤.

(٩) ملوك ثان ٤ : ٩

ويقبلهم أنبياء له ليعلموا شعب إسرائيل، وإن كان من بين الأنبياء من لم يدخل هذه المدارس أبداً[١]، كالأنبياء القانونيين، من أمثال «عاموس» الذى يقول لأمصيا النبى «لست نبياً ولا أنا ابن نبى»[٢].

على أن معنى هذا النص الأخير، إنما كان موضع خلاف بين العلماء فذهب فريق إلى أن عاموس، إنما يوجه سؤالاً غاضباً لأمصيا، وكأنه يقول له : كيف تتجرأ وتقول أننى لست نبيًا، لأننى أرعى الأغنام وأشذب شجر الجميز، ألا تثق أن الربَّ قد دعانى إلى ذلك، بينما يفضل فريق آخر من العلماء قراءة النص بالفعل الماضى «لم أكن نبيًا، أو واحداً من الأنبياء، بل أنا راع وجانى جميز، وأن الربَّ قال لى : اذهب تنبأ لشعبى إسرائيل»، وحسب وجهة النظر الأخيرة هذه، فإن عاموس إنما يزعم أن مكانته الجديدة كنبى، إنما تعتمد على دعوة إلهية، وليس على اختيار الحرفة أو الاحتراف، فهو لم يكن نبياً، لأنه لم يترب فى أية مدرسة أنبياء[٣].

وكان أعضاء جماعة الأنبياء هؤلاء يختارون من أفقر الطبقات، ومن غير المعتاد أن نرى من بينهم مزارعاً مثل «اليشع»[٤] وكانوا يندهشون حينما يروا بينهم رجلا من عائلة طيبة مثل «شاؤل» : «إذا صار لابن قيس، أشاؤل أيضًا بين الأنبياء، فأجاب رجل من هناك وقال: ومن هو أبوهم؟»[٥]. وكان ملبسهم الغريب وسلوكهم الشاذ، يسبب السخرية منهم، حتى بين الأطفال[٦]، وكان المعارضون لهم يعاملونهم بازدراء، على أساس أنهم من

(١) قاموس الكتاب المقدس، ٩٤٩/٢.

(٢) عاموس ٧ : ١٤.

(٣) E.W. Heaton, op.cit., p. 35-36.

(٤) ملوك أول ١٩ : ١٩.

(٥) صموئيل أول ١٠ : ١١-١٢.

(٦) ملوك ثان ٢ : ٢٣.

المجانين، ولم يكن هناك أحد على استعداد أن يؤمن بكلمة الربّ على لسان واحد منهم[١].

ومع ذلك فقد كان الملك وكثير من الأفراد العاديين يستشيرونهم فى كل مشاكل الحياة العامة والخاصة، وكانوا يزعمون أن لهم القدرة على منح القوة أو منع الخطر أو فيضان الينابيع أو مضاعفة الطعام أو شفاء المريض أو إحياء الموتى، كما ورثوا امتياز بعض القوى، وحتى وسائل أسلافهم من العرافين والسحرة، فقد كانوا عندما يسألون عن آيات يستعرضون مظاهر السحر الأصيل[٢]، مع الاحتفاظ بأن تصرفاتهم مع هذه القوى جميعًا لا تكون إلا باسم ربّهم «يهوه»[٣].

وكان ثمن هذه الاستشارات هدايا على هيئة نقود، ولا بد أن الأنبياء الأربعمائة الذين كان أخاب (٨٦٩–٨٥٠ق.م) ملك إسرائيل يستشيرهم لم يكن يدفع لهم كثيراً أو قليلا، وربما كانوا يأكلون على مائدته مثل أنبياء «بعل»[٤] الأربعمائة والخمسين، وأنبياء السوارى الأربعمائة، الذين كانوا يأكلون على مائدة زوجته إيزابيل ابنة ملك صور[٥].

ويبدو أنه كان هناك أنبياء ملحقين بأماكن العبادة ــ مثل عرافى الأزمنة القديمة ــ وكانت وظيفتهم في العبادة تأكيد استجابة «يهوه» لدعوات

---

(١) ملوك ثان ٩ : ١١–١٣؛ أرمياء ٢٩ : ٢٦؛ هوشع ٩ : ٧؛ وكذا: A. Lods, op.cit., p. 446.

(٢) ملوك ثان ٤ : ٤–٤ ؛ ٤–٧، ٢٩ : ٢٧، ٤٠–٤١، ١٣ : ١٨–١٩.

(٣) ملوك ثان ٢٠ : ١٩–٢٠ وكذا: A.Lods, op.cit., p. 446.

(٤) كان بعل أبرز الآلهة الكنعانية، ومركز مجموعة من الآلهة ، وكلمة بعل اسم عام فى الأصل معناه «سيد» ، ولهذا أمكن اطلاقه على آلهة مختلفة، ولكن بعل الأكبر كان إله العاصفة والبرق والمطر والإعصار كالإله حدد لدى البابليين والآراميين (موسكاتي : المرجع السابق، ص ١٢٧–١٢٨).

(٥) ملوك أول ١٣ : ٧، ١٨ : ١٩؛ ملوك ثان ٤ : ٤٢، ٥، ١٥ : ٢٠–٧، ٨ : ٨–٩؛ ميخا ٣ : ٥، ١١؛ حزقيال ١٣ : ١٩.

إسرائيل وفي مقابل هذا لابد أن يتلقوا بعض الهدايا، ومن هنا أصبحت النبوة في إسرائيل وسيلة منظمة لكسب العيش ـ شأنها في ذلك شأن غيرها من الحرف والصناعات ـ ويشكوا كتاب القرنين الثامن والسادس قبل الميلاد بمرارة، من أن كثيراً من الأنبياء سمحوا لآرائهم السديدة التي يفسرون بها الأحداث ـ على أنها كلمة «يهوه» ـ لأن تستغل لمصلحتهم الشخصية(١).

وكان الأنبياء الذين عملوا كمستشارين محترفين، بارعين في بعض أنواع الصياغة لكشف إرادة «يهوه» كما كان واضحاً ـ وبنفس الدرجة ـ أن أساليبهم تربطهم ربطًا شديداً بعقيدة كنعان الكهنوتية القديمة، ومن بين هذه الأساليب ـ والتي ربما تعتبر أكثر الوسائل بساطة في تطبيقها ـ الأشكال المتبيانة العرافة والكهانة، وإهمال الجزء المقدس إلهام من النبوة(٢).

وكان الأنبياء المحترفون رجال الموافقة للهيئات الحكومية، التي كانت تشجعهم وتمنحهم المراكز الرسمية، لأنهم كانوا يسبغون هالة من القداسة على أي قرار تصدره الحكومة(٣)، كما جعلوا من واجبهم أخبار المواطنين العاديين بالأشياء التي يطيب لهم سماعها، ومن الأشياء التي يطلق عليها حزقيال النبيّ «العرافة الملفقة» (٤)، ولكي يؤكدوا، من خلال السلطة التي تمنحها لهم وظيفتهم أن كل شيء على ما يرام، وأنه ليس في الإمكان أبدع مما كان، في الوقت الذي كانت السلطات الحاكمة تنتقم منهم بقسوة، بسبب الانهيار السياسي والخلقي السائد وقت ذاك(٥).

---

(١) ميخا ٣: ٥، ١١؛ حزقيال ١٣: ١٩ وكذا: A. Lods, op.cit., p. 447.

(٢) عدد ٢٧: ٢١؛ تثنية ٣٣: ٨؛ صموئيل أول ١٤: ٤١، ٢٣، ٩-١٣-٢٨: ٦، ٣٠: ٧-٨؛ حزقيال ١٣: ٦-٧ وكذا: E.W. Heaton, op.cit., p. 40.

(٣) ملوك أول ٢٠: ١٣-١٥، ٢٢: ٦؛ ملوك ثان ٢٣؛ نحميا ٦: ١٠-١٤، ٩: ٣٢.

(٤) أشعياء ٣٠: ١٠؛ إرمياء ٢: ٨، ٥: ٣١؛ حزقيال ١٢: ٢٤؛ ١٣: ٦-٧.

(١) إرمياء ٦: ١٤، ١٤: ١٣-١٦، ٢٣: ١٧-٢٧: ١٤-١٥؛ ٢٨ ؛٩ ميخا ٣، ٥؛ أشعياء ٩: ١٥، ٥٦: ٩-١٢؛ حزقيال ١٣: ١-٦.

وقد ترك لنا أحد المؤرخين العبريين قصة صغيرة فذة فى التوراة[١]، والتى تقرأ كما لو كانت قد كتبت لغرض معين يناقض صلاحية الأنبياء المحترفين، ويدمغهم بالكذب، وفى هذه القصة نرى «ميخا بن يملة» يمثل دور البطل، بينما كان «صدقيا بن كنعنة» يمثل دور الشرير فيها، وتخبرنا القصة كيف طلب من صدقيا ومساعدية الأنبياء الأربعمائة إغراء «أخاب» ملك إسرائيل، و«يهوه شافط» ملك يهوذا، بالقيام بحملة ضد السوريين[٢]، ولم يكن «يهو شافط» بالرجل الذى يرضيه هذا الفريق من الأنبياء الراقصين، ولا تأكيدات صدقيا»، ومن ثم فقد أعلن أن النبىّ «ميخا» يجب أن تؤخذ مشورته، الأمر الذى أثار غضب أخاب عدو ميخا، ولكنه تقبل الأمر على علاته، مرضاة لحليفه ملك يهوذا.

وهكذا أرسل الملكان إلى ميخا رسولا يدعوه لمقابلتهما، ويحاول الرسول إقناع ميخا بأن «كلام جميع الأنبياء بفم واحد خير لذلك، فليكن كلامك مثل كلام واحد منهم، وتكلم بخير» إلا أن رد ميخا إنما كان عنيفًا : «إن ما يقول لى الربُّ به أتكلم»[٣].

ويرفض ميخا القتال ضد السوريين، ويغضب أخاب، ويلقى بغريمه ـ الذى تنبأ له بالموت هناك ـ فى السجن، وينتهى الأمر بأن يصاب ملك إسرائيل بسهم طائش، بالرغم من تنكره فى هذه الحملة ـ حملة راموت جلعاد ـ ويموت فى عربته. ثم ينقل إلى السامرة[٤]، حيث «غسلت المركبة فى بركة السامرة، فلحست الكلاب دمه»[٥].

---

(١) ملوك أول ٢٢ : ٢٨ . (٢) ملوك أول ٢٢ : ١٠-١٢ . (٣) ملوك أول ٢٢ : ١٣-١٤ .

(٤) السامرة: وتقع فى مكان سبسطية الحالية على مبعدة ستة أميال إلى الشمال الغربى من شكيم، وقد سميت السامرة نسبة إلى «شامر» صاحب التل الذى بنيت عليه المدينة، أو لأن اسمها إنما يعنى «مركز المراقبة» أو «جبل الحراسة» ، هذا وقد بناها ـ فى مكانها الحصين والاستراتيجى هذا ـ الملك «عمرى» (٨٧٦-٨٦٩ق.م) فى السنة السادسة من حكمه، واتخذها عاصمة لإسرائيل الشمالية ـ بدلا من ترزة ـ وبقيت كذلك حتى استولى عليها سرجون الأشورى فى عام ٧٢٢ ق.م (انظر: كتابنا إسرائيل، ص ٤٩٠-٤٩١؛ جون الدر، الأحجار تتكلم ، ص ١٨٦؛ ملوك أول ١٦ : ٢٣-٢٤ وكذا؛

K. Kenyon, op.cit., p. 261-262; W. Keller, op.cit., p. 227; A. Lods, op.cit., p. 378.

(٥) ملوك أول ٢٢ : ١٥-٣٩.

وليس هناك من شك في أن الأنبياء المحترفين ليقدمون لنا أقوى الأدلة على الانحطاط الذى تردى فيه أنبياء إسرائيل وقت ذاك، ففى أيام ميخا (٧٤٠-٧٠١ق.م) على سبيل المثال، كان هناك أنبياء لا يكتفون ببيع رسائل العزاء لأولئك القادرين على الشراء ـ شأنهم فى ذلك شأن بابوات المسيحية الذين كانوا يبيعون صكوك الغفران في العصور الوسطى ـ وإنما كانوا يعلنونها حرباً شعواء على من يرفض دفع النقود لهم[١] ـ كما يفعل قطاع الطرق وعتاة المجرمين ـ وبالمثل فإن حزقيال يحتفظ بذكرى «النبيات» اللواتى كن يمارسن السحر والعرافة من أجل حفنات من الشعير وفتات من الخبز[٢]، وهكذا يبدو واضحًا أن القوم وقت ذاك كانوا يعترفون بحق النبيّ المحترف في أن يتقاضى أجراً فى مقابل خدماته[٣].

وكان الأنبياء المحترفون ـ شأنهم فى ذلك شأن غيرهم فى العالم القديم ـ يزعمون أنهم يتكلمون باسم «يهوه» ربّ إسرائيل وأنهم كانوا يبدأون كلامهم فى الغالب بجملة «وحى من يهوه» و«هكذا تكلم يهوه»[٤]، ولا حاجة بنا إلى القول أن أكثرهم قد تكلم فى جو من الغفلة، دون أن يكون لكلامهم أى تأثير، وإذا وجد منهم من نجح فى فرض شخصيته، فكم وكم غيره مروا ولم يشعر الناس بهم[٥].

---

(١) ميخا ٣: ٥، ١١١.

(٢) حزقيال ١٣: ١٩.

(٣) صموئيل أول ٩ : ٥-١٠؛ ملوك أول ١٤ : ١-٣؛ ملوك ثان ٨: ٧-٨؛ وكذا:

W. Heaton, op.cit., p. 38-39.

وكذا: C. Kuld, The Prophets of Israel, 1960.

(٤) لعلهم فى هذا يشبهون كهان آلهة العالم القديم الذين كانوا يزعمون بأنهم يتكلمون بوحى من هذا الإله أو ذاك وتدلنا النصوص المصرية القديمة أن كهان آمون كانوا يفعلون ذلك عن طريق ما كانوا يزعمون أنه «وحى آمون».

(٥) أندريه إيماز، جانين أبوايه، الشرق واليونان القديم (مترجم)، بيروت ١٩٦٤، ص ٢٧٢؛ وكذا:

J. Lindblom, Prophency in Ancient Israel, Blackwell, 1962.

ولعل قريبًا من هذا النوع من الأنبياء المحترفين، هؤلاء الذين أطلق عليهم «الأنبياء الكذبة»، وأسفار التوراة مليئة بالتحذيرات من هؤلاء «الأنبياء الكذبة»، وتصفهم بأنهم يدعون كذبًا أنهم مرسلون من عند الله[١]، وأنهم مرسلون لامتحان الشعب[٢]، وأنهم مسوقون بالأرواح الشريرة.

ويقول حزقيال[٣] بعبارة واضحة أن الله ـ تعالى عن ذلك علوًا كبيرًا ـ يخدع البشر في بعض الأحيان بوحي كاذب «فإذا ضل النبيّ (أي نبيّ كاذب) وتكلم كلامًا، فأنا الربُّ قد أضللت هذا النبيّ»، ويعطينا «ميخا» نفس الشهادة في الملوك الأول بصدد أنبياء إسرائيل الأربعمائة على أيام أخاب، حيث يقول وخرج روح وقال أنا أغويه، فقال له الربّ بماذا؟ قال أخرج وأكون روح كذب في أفواه جميع أنبيائه، فقال: إنك تغويه وتقدر، فاخرج وافعل هكذا، والآن هو ذا قد جعل الربُّ روح كذب في أفواه جميع أنبيائك هؤلاء، والربُّ تكلم عليك بشر»[٤].

هذه هي حركة النبوة التي ظهرت في إسرائيل، والتي رأى البعض أنها أحدثت أعظم حركة في تاريخ البشرية الروحي[٥]، ورأى البعض الآخر أن الدور الإيجابي الذي لعبته النبوة في تطور إسرائيل الديني، إنما كان يعزى إلى أعضاء هذه الرابطة من «أبناء الأنبياء»[٦].

ولسنا في حاجة إلى تكرار ما قلنا آنفًا لنقول أن ذلك ليس صحيحًا

---

(١) إرمياء ٢٣.

(٢) تثنية ١٣.

(٣) حزقيال ١٤ : ٩.

(٤) ملوك أول ٢٢ : ٢٢-٢٤؛ قاموس الكتاب المقدس ٢/ ١٩٥٠؛ بينوزا، رسالة في اللاهوت والسياسة، ص ١٤٨؛ وكذا: R. Scott, The Relvance of the Prophets, Macmillan, 1944.

(٥) J.A. Bewer, The Literature of the Testament in its Historical Development, p. 87.

(٦) A. Lods, op.cit., p. 448.

على الإطلاق، وذلك لأننا نعرف، على الأقل، أن قيمة النبوة فى إسرائيل تعزى أكثر من ذلك إلى عدة أفراد بارزين، بالرغم من انتمائهم إلى الأنبياء، فعلا فى نشاطهم، فقد كانوا معارضين بشدة لأى اتصال «بهيئة الدراويش» هذه (أى أبناء الأنبياء)، وقد أكد عاموس أنه ليس بنبى، ولا هو واحد من الأنبياء أى أنه ليس نبيًا بالممارسة، ولا عضوا فى رابطة أبناء الأنبياء هذه، وعارض إرمياء طوال حياته هؤلاء الذين أطلق عليهم «أبناء الأنبياء»[1].

على أننا نؤمن ـ الإيمان كل الإيمان ـ بدور المصطفين الأخيار، الذى أرسلهم الله ـ جل وعلا ـ إلى بنى إسرائيل وعلى رأسهم موسى عليه السلام، رائد النبوة الكبرى بين بنى إسرائيل.

(١) عاموس ٧: ١٤؛ إرمياء ٢٣: ٩-٤٠؛ ٢٦: ٧-١٦؛ ميخا ٣: ٥، ١١ حزقيال ١٣.

(٦) نبوة المرأة

من المعروف أن النبوة فى الإسلام، إنما هى مقصورة على الرجال دون النساء، لقوله تعالى : ﴿وما أرسلنا قبلك إلا رجالا نوحى إليهم﴾[١]، غير أن الإمام ابن حزم إنما يتجه إلى أن هذه الآية الكريمة ـ الآنفة الذكر ـ إنما تعنى الرسل دون الأنبياء، ومن ثم فلم يدع أحد أن الله تعالى قد أرسل امرأة، وأما النبوة.. وهى لفظة مأخوذة من الإنباء وهو الإعلام، فمن أعلمه الله ـ عزّ وجلّ ـ بما يكون قبل أن يكون، أو أوحى إليه منبئًا بأمر ما فهو نبى بل شك ـ فأمرها مختلف، وقد جاء فى القرآن الكريم بأن الله قد أرسل ملائكة إلى نساء فأخبروهن بوحى حق من الله تعالى، كما حدث مع أم إسحاق وأم موسى وأم المسيح ـ عليهم السلام[٢].

ولنقرأ هذه الآيات الكريمة من سورة هود، يقول تعالى ﴿ولقد جاءت رسلنا إبراهيم بالبشرى قالوا سلامًا قال سلامٌ فما لبث أن جاء بعجلٍ حنيذ، فلما رأى أيديهم لا تصلُ إليه نَكِرَهم وأوجسَ منهم خيفةً قالوا لا تخف إنا أُرسِلْنَا إلى قومِ لوط، وامرأته قائمةٌ فضحكت فبشّرْناها بإسحاق ومن وراء إسحاق يعقوب، قالت يا ويلتَى ءألِدُ وأنا عجوزٌ وهذا بعلى شيخًا إنّ هذا لشىءٌ عجيب، قالوا أتعجبين مِنْ أمرِ الله رحمة الله وبركاته عليكم أهلَ البيت إنه حميدٌ مجيد﴾[٣] فهذَا خطَاب الملائكة لأم إسحاق عن الله عز

---

(١) سورة النحل، آية : ٤٣، وانظر: تفسير روح المعانى ١٤/١٤٧-١٤٨؛ تفسير الطبرى ١٤/١٠٨-١٠٩، تفسير الطبرسى ١٤/٧٥-٧٨؛ الدر المنثور فى التفسير بالمأثور ٤/١١٨-١١٩، تفسير أبى السعود٣٠/٣٦٥-٣٦٦؛ تفسير الفخر الرازى ٢٠/٣٥؛ تفسير القاسمى ١٠/٣٨١١-٣٨١٢٢؛ تفسير الجلالين ص ٢٢٧؛ تفسير وجدى، ص ٣٥١؛ تفسير القرطبى ص ٢٧٢٤-٢٧٢٦، (دار الشعب، ١٩٧٠)؛ تفسير ابن كثير، ٤/٤٩٢، (دار الشعب، ١٩٧١).

(٢) ابن حزم، الفصل فى الملل والأهواء والنحل، الجزء الخامس، القاهرة، ١٩٦٤، ص ٨٧.

(٣) سورة هود، آية : ٦٩ -٧٣؛ وانظر: تفسير الطبرى ١٥/٣٨١-٤٠٠؛ تفسير القرطبى، ص ٣٢٩٨٠-٣٢٩٩؛ تفسير ابن كثير ٤/٢٦٤-٢٦٦؛ تفسير المنار ١٢/١٠٥-١٠٨.

وجل بالبشارة لها بإسحاق ثم يعقوب، ولا يمكن أن يكون هذا الخطاب من ملك لغير نبى[١].

هذا فضلا عن أن الله سبحانه وتعالى قد أرسل جبريل إلى مريم أم المسيح، عليهما السلام، يقول لها ﴿إنما أنا رسول ربّك لأهب لك غلامًا زكيًا﴾[٢]، فهذه نبوة صحيحة بوحى صحيح، ورسالة من الله تعالى إليها، وليس قوله عزّ وجل «وأمه صديقة» بمانع أن تكون نبيّة، فقد قال سبحانه وتعالى ﴿يوسف أيها الصديق﴾ وهو مع ذلك نبىّ رسول[٣].

والأمر كذلك بالنسبة إلى أم موسى إذا أوحى الله إليها بإلقاء ولدها فى اليم، وأنه سوف يرده إليها ويحمله نبيًا مرسلاً[٤]، يقول تعالى ﴿وأوحينا إلى موسى أن أرضعيه فإذا خفت عليه فألقيه فى اليم ولا تخافى ولا تحزنى إنا رادوه إليك وجاعلوه من المرسلين﴾[٥].

وأما النبوة الإسرائيلية فهى ـ طبقًا لروايات الكتاب المقدس ـ لم تكن أبداً مقصورة على الرجال دون النساء، فلقد تنبأت المرأة، كما تنبأ الرجال، بل إن ظهور النبيات الإسرائيليات قد بدأ حتى قبل أن يصل اليهود إلى فلسطين، ومع أكبر نبوات اليهود وأعظمها ـ وأعنى بها نبوة الكليم عليه السلام ـ كما استمرت المرأة تتنبأ فى إسرائيل حتى قبيل السبى البابلى بقليل، بل إن نبوة المرأة الإسرائيلية هذه، قد نقلها المسيحيون إلى ديانتهم، كما نقلوا غيرهما من شرائع اليهود، ومن ثم فقد رأينا نبيات مسيحيات، كما رأينا نبيات يهوديات سواء بسواء.

---

(١) ابن حزم، المرجع السابق، ص ٨٧.

(٢) سورة مريم، آية : ١٩؛ وانظر تفسير القرطبى، ص ٤١٢٨–٤١٣٠.

(٣) ابن حزم، المرجع السابق، ص ٨٧–٨٨.

(٤) نفس المرجع السابق، ص ٨٨.

(٥) سورة القصص، آية : ٧؛ وانظر تفسير القرطبى، ص ٤٩٦٦–٤٩٦٨.

ولعل مريم - أخت هارون وموسى - كانت أول نبية فى ديانة يهود، تقول التوراة «فأخذت مريم النبية - أخت هارون - الدّف بيدها، وخرجت جميع النساء وراءها بدفوف ورقص، وأجابتهم مريم رنموا للربّ فإنه قد تعظم[١]».

وفى عصر القضاة[٢] ظهرت شخصية من أقوى شخصيات ذلك العصر دون منازع، هى «دبورة» زوجة «فيدوت» من قبيلة أفرايم، والتى نالت - كما سينال صموئيل من بعد - ولاء قومها وزعامتهم، حتى أنها أصبحت «قاضية»[٣] لإسرائيل، متخذة لها مركزاً عند «نخلة دبورة» - بين الرامة وبيت إيل فى جبل أفرايم - ولم تكن دبورة هذه قاضية إسرائيل فحسب، وإنما كانت نبيّة كذلك، بل كانت - فيما يرى الإسرائيليون - أعظم نبياتهم[٤].

---

(١) خروج ١٥: ٢٠؛ عدد ١٢: ٢، ٦.

(٢) انظر عن عصر القضاة، كتابنا «إسرائيل» ، ص ٢٧٤-٢٩٠.

(٣) كان القضاة هم الذين يتصدرون القوم أثناء الأزمات، وقد ظلوا يحكمون إسرائيل طوال القرن ونصف القرن التاليين لدخولهم فلسطين، وكانت سلطتهم عارضة محدودة المدى والمدة ويشبهون إلى حد كبير زعماء النظام البدوى الذى تتميز به الحياة السامية فى مراحلها الأقدم عهداً، ويعتمدون فى سلطتهم على رضاء الله وتأييده لهم، كما أنهم لم يكونوا قضاة أو مشرعين بالمعنى المفهوم ، وإنما كانوا طبقة من الأبطال المحاربين والمنقذين لإسرآئيل من ناهبيها، ولم يكونوا خلفاء لبعضهم البعض، بل إننا لنشهد أكثر من واحد فى وقت واحد، وكان الواحد منهم يطلق عليه أحياناً لقب ملك أو قاض، ولم يستطع واحد منهم أن يبسط سلطته على كل إسرائيل، ومن هنا لم تتألف فى إسرائيل على أيام القضاة أمة واحدة موحدة متماسكة (انظر: نجيب ميخائيل، المرجع السابق، ص ٣٢٥، موسكاتى، المرجع السابق، ص١٤٠-١٤١؛ لوبون، اليهود فى تاريخ الحضارات الأولى، ص ٣٥، القاهرة ١٩٦٧).

(٤) قضاة ٤: ٤، ٩؛ قاموس الكتاب المقدس، ١/٣٦٨؛ حسن ظاظا، الفكر الدينى الإسرائيلى، ص ٢٨-٢٩.

وربما كانت «حنة» أم صموئيل النبى نبيّة كذلك[1]، وأما «خلدة» امرأة «شلوم بن تقوه» - وكانت تسكن القسم الثانى من أورشليم - فقد كانت نبية مشهورة على أيام الملك يوشيا (٦٤٠-٦٠٩ق.م)، بل إن الملك نفسه - حينما كان إرمياء النبى[2] غارقًا فى أحزانه ولا يتنبأ إلا بالمصائب التى سوف تحل باليهود - لم يجد أمامه إلا خلدة النبية لتتنبأ له، وذلك لأنها

(١) صموئيل ٢: ١؛ قاموس الكتاب المقدس، ٣٢٤/١.

(٢) إرمياء: عاصر هذا النبى خمسة من ملوك يهوذا؛ هم منسى (٦٨٧-٦٤٢ق.م) وأمون (٦٤٣-٦٤٠ق.م)، ويوشيا (٦٤٠-٦٠٩ق.م)، الذى بدأ دعوته على أيام، ويهوياقيم (٦٠٩-٥٩٨ق.م) وصدقيا (٥٩٨-٥٨٦ق.م)، وكانت هذه الفترة من أخطر الفترات فى تاريخ يهوذا انتهت بالسبى البابلى فى عام ٥٨٦ق.م (أو أغسطس ٥٨٧ق.م)؛ ذلك أن يوشيا كان قد انضم - بتحريض من إرمياء النبى - إلى بابل ضد آشور، بينما وقفت مصر فى الجانب الآخر، وأدى ذلك إلى أن يتعرض الجيش اليهودى للجيوش المصرية المتجهة إلى العراق لنجدة آشور، مما كان سببًا فى موقعة مجدو عام ٦٠٩ق.م، التى دفع فيها يوشيا حياته ثمنًا لمغامرته الفاشلة، كما دفع اليهود ثمن خطيئتهم فى تقدير قوة مصر الحقيقية، وأصبحت فلسطين كلها - بما فيها يهوذا - خاضعة لمصر.

وما أن يمضى حين من الدهر حتى يصبح نبوخذ نصر سيد غربى آسيا، ويبدأ فى الزحف على اليهودية، وهنا انقسمت يهود إلى حزبين، الواحد ينادى بالانضواء تحت لواء مصر، والثانى - ويتزعمه إرمياء - وينادى بالخضوع لبابل التى تتقدم جيوشها نحو اليهودية ثم إخضاعها، ثم سرعان ما تبدأ فى فرض الحصار على أورشليم، وهنا يعلن إرمياء أن يهوه ربّ إسرائيل إنما يقاتل ضدها فى صفوف البابليين، ومن ثم فعلى أورشليم الخضوع لهم، ولهذا فليس من العجيب أن نبى الويل هذا قد ألقى به فى غياهب السجون لمجاهرته بالخذلان، وأخيرًا استسلمت أورشليم ونهب الغزاة المدينة وأحرقوا القصر الملكى ومعبد سليمان، وأصبح إرمياء من أكبر مستشارى الغازى الجديد، غير أن يهود سرعان ما قتلت جداليا، وكان الهروب إلى مصر هو طريق النجاة الوحيد أمامهم، حين أخليت بلاد اليهودية من سكانها وسبى الصفوة منهم إلى بابل، وفرت البقية الباقية - وعلى رأسها إرمياء نفسه إلى مصر (انظر: كتابنا «إسرائيل»، ص ٥٢٥-٥٣٥؛ ملوك ثان ٢٣: ٢٩-٣٠، ٢٤: ١٤-١٦، ٢٥: ١١-٢٦؛ أخبار أيام ثان ٣٥: ٢٠-٢٥؛ إرمياء ٢٤: ١-٢٧؛ ٢٠: ٢٩-١، ٤٣: ١-٧؛ زكريا ٥٧، وكذلك:

C.Roth, op.cit., p. 35-6' S.A. Cook, CAH, 3, p. 396-401' A. Malamt, JNES, (1)6, p. 222-25; M. Noth, op.cit., p. 280-288; W. Kellor, op.cit., p. 280-83.

كانت، أكثر استعداداً ـ بفضل طبيعتها الأنثوية ـ على كشف رحمة الله، ولكنها تنبأت له بخراب أورشليم، وإن كان هو لم يكتب عليه ـ بسبب تقواه ـ أن يرى هذا المصير التعس لعاصمته[(١)].

وهناك النبية «حنة بنت فنوئيل» من سبط أشير[(٢)]، وهناك كذلك بنات فيلبس العذارى الأربع اللواتى كن يتنبأن فى «قيصيرية»[(٣)]، كما كانت زوجات الأنبياء يدعون أحياناً «نبيات»[(٤)].

هذا إلى أن المرأة الإسرائيلية قد أخذت مكانها كذلك بين أنبياء إسرائيل الكذبة، فهناك نبيات كاذبات ـ كما أن هناك أنبياء كذبة ـ مثل «نَوعَدْيَة» النبية[(٥)].

---

(١) ملوك ثان ٢٢ : ١٤؛ أخبار ثان ٢٤ : ٢٠-٢٨؛ قاموس الكتاب المقدس، ٣٤٤/١؛ حسن ظاظ، المرجع السابق، ص ٢٦؛ سبينوزا، المرجع السابق، ص ١٥٣؛ وكذا :
C. Roth, op.cit., p. 45.

(٢) لوقا ٢ : ٢٦-٢٨؛ قاموس الكتاب المقدس، ٣٢٤/١.

(٣) أعمال الرسل، ٢١ : ٩.

(٤) أشعياء ٨ : ٣.

(٥) نحميا ٦ : ١٤؛ رؤيا ٢ : ٢٠؛ قاموس الكتاب المقدس، ٩٥٢/٣.

(٧) وظيفة الأنبياء

نؤمن نحن المسلمين بأن الله سبحانه وتعالى قد أوكل إلى الأنبياء أهم الواجبات وأقدس المهمات وأشرف الغايات، والتى من أهمها (أولا) أنهم الدعاة البررة إلى عبادة الواحد القهار ﴿ولقد بعثنا فى كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت﴾[١] ﴿وما أرسلنا قبلك من رسولٍ إلا نوحى إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون﴾[٢] ﴿ولقد أرسلنا نوحًا إلى قومه، فقال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره إنِّى أخاف عليكم عذاب يوم عظيم﴾[٣] ﴿وإلى عادٍ أخاهم هود قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إلهٍ غيره إنْ أنتم إلا مفترون﴾[٤]

ومنها (ثانيًا) إنارة الطريق أمام الناس، وهدايتهم إلى سواء السبيل ﴿يا

(١) سورة النحل، آية : ٣٦؛ وانظر: تفسير أبى السعود ٣/٣٦٠-٣٦١؛ تفسير روح المعانى ١٤/١٣٧-١٣٨؛ تفسير الطبرى ١٤/١٠٣؛ تفسير الفخر الرازى ٢٠/٢٦-٢٧؛ تفسير الطبرسى ٤/٧٠-٧٣؛ تفسير القاسمى ١٠/٣٨٠٠-٣٨٠٩؛ تفسير وجدى، ص ٣٥٠؛ تفسير القرطبى، ص ٧١٩.

(٢) سورة الأنبياء، آية : ٢٥؛ وانظر: تفسير القاسمى ١١/٤٢٦٣-٤٢٦٤؛ مجمع البيان ١٧/١٦-٢١؛ تفسير وجدى، ص ٤٢٢؛ تفسير القرطبى، ص ٤٣٢٠؛ تفسير البيضاوى، ٢/ ٧٠؛ تفسير روح المعانى، ١٧/٣١-٣٢؛ تفسير الطبرى ١٧/١٥؛ تفسير الفخر الرازى ٢٢/ ١٤٩-١٥٨؛ تفسير الجلالين، ص ٢٨٧؛ وانظر كذلك من سورة هود، الآيات: ٢٥-٣٥، ٥٠، ٦١، ٨٤. وتفسيرها فى تفسير الطبرى ١٥/٢٩٣-٢٩٤، ٣٥٧، ٣٦٨-٣٦٩، ٤٤٣-٤٤٥؛ تفسير روح المعانى ١٢/٣٥-٣٧، ٧٧-٨٠، ٨٨-٨٩، ١١٤-١١٥؛ تفسير الفخر الرازى ١٧/٢١٠، ١٨/٩-١٠، ١٦-١٧، ٢٩؛ تفسير مجمع البيان ١٢/١٣٥-١٤١، ١٦٧-١٧٥، ٢٠٠-٢٠٤، ٢٣٤-٢٤٠، تفسير القاسمى ٩/٣٤٢٧-٣٤٣٠، ٣٤٥٤، ٣٤٦١، ٣٤٧٥-٣٤٧٧٧، ٣٥٠٠؛ تفسير القرطبى، ص ٣٢٥٠، ٣٢٧٧-٣٢٧٩، ٣٢٨٣-٣٢٨٩، ٣٣١٢-٣٣١٣.

(٣) سورة الأعراف، آية : ٥٩؛ وانظر: تفسير ابن كثير ٣/٤٢٧-٤٢٨؛ تفسير القرطبى، ص ٢٦٦٨-٢٦٧٠.

(٤) سورة هود، آية : ٥٠؛ وانظر: تفسير ابن كثير ٣/٤٢٩-٤٣٠؛ تفسير القرطبى، ص ٢٦٧١-٢٦٧٢.

أيها النبيُّ إنّا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً وداعياً إلى الله بإذنه وسراجًا مُنيراً﴾[١] ومنها (ثالثًا) أن من رحمة الله على عباده أن يرسل إليهم الرسل قبل أن يقع عليهم عقابه، ومن ثم لا تكون للعاصين منهم حجة على الله بعد الرسل، ﴿وما كنا مُعذِّبينَ حتى نبعثَ رسولاً﴾[٢] ﴿رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل﴾[٣] ﴿ولو أنّا أهلكناهم بعذابٍ من قبله لقالوا ربّنا لولا أرسلت إلينا رسولا فنتبع آياتك من قبل أن نذلّ ونخزى﴾[٤]

ومنها (رابعًا) تبليغ أوامر الله ونواهيه إلى عباده ﴿الذين يبلغون رسالات الله ويخشونه ولا يخشون أحداً إلا الله وكفى بالله حسيبًا﴾[٥]، ومنها (خامساً) تذكير الناس - كل النّاس - بيوم الدين ﴿يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم﴾[٦]

(١) سورة الأحزاب، آية : ٤٥-٤٦؛ وانظر: تفسير القرطبي، ١٩٩/١٤-٢٠١؛ تفسير الطبرى ١٨/٢٢-١٩؛ تفسير روح المعانى ٤٥/٢٢-٤٦؛ تفسير الطبرسى ١٤٩/٢١-١٥٢؛ تفسير وجدى، ص ٥٥٦؛ تفسير القاسمى، ٤٨٨٠/١٣-٤٨٨١.

(٢) سورة الإسراء، آية : ١٥؛ وانظر: تفسير الفخر الرازى ١٧١/٢٠-١٧٣؛ الدر المنثور فى التفسير بالمأثور ١٦٨/٤؛ تفسير أبى السعود ٤٣٠/٣-٤٣٤؛ تفسير روح المعانى ٣٤/١٥-٤٢؛ تفسير الطبرى ٥٣/١٥-٥٤؛ مجمع البيان ٢٢/١٥-٢٦؛ تفسير القاسمى ٣٩١٣/١٠-٣٩١٤؛ تفسير القرطبى، ص ٢٨٤٦-٣٨٤٨؛ تفسير الجلالين، ص ٢٤٨؛ عبد الله محمود شحاته، تفسير سورة الإسراء، ص ٩٢-٩٨، القاهرة، ١٩٧٥.

(٣) سورة النساء، آية : ١٦٥؛ وانظر: تفسير الطبرى ٤٠٧/٩-٤٠٨؛ الكشاف ٥٨٢/١؛ تفسير روح المعانى ١٨/٦-١٩؛ تفسير المنار ٥٥/٦-٦٣؛ تفسير القرطبى، ص ٢٠١٤-٢٠١٥؛ تفسير ابن كثير ٤٢١/٢-٤٢٨؛ مجمع البيان ٢٩٣/٥-٢٩٥.

(٤) سورة طه، آية : ١٣٤؛ وانظر: تفسير البيضاوى ٦٦/٢؛ روح المعانى ٢٨٦/١٦-٢٨٧؛ تفسير الفخر الرازى ١٣٥/٢٢-١٣٦؛ تفسير الطبرى ٢٣٧/١٦-٢٣٨؛ مجمع البيان ١٥٦/١٦-١٥٩؛ تفسير القرطبى، ص ٤٣٠٤-٤٣٠٦؛ تفسير القاسمى ٤٢٤٨/١١.

(٥) سورة الأحزاب، آية : ٣٩؛ وانظر: تفسير القرطبى ١٩٥/١٤-١٩٦؛ تفسير الطبرى ١٥/٢٢؛ تفسير البيضاوى ٢٤٧/٢؛ مجمع البيان ١٤١/٢١-١٤٥؛ روح المعانى ٢٧/٢٢-٢٨.

(٦) سورة الشعراء، آية : ٨٨-٨٩؛ وانظر: تفسى الطبرى ٨٦/١٩-٨٧؛ روح المعانى ١٠٠/١٩؛ مجمع البيان ١٥٦/١٩؛ تفسير الفخر الرازى ١٤٧/٢٤-١٥٠.

ومنها (سادسًا) أن الرسل ـ عليهم الصلاة والسلام ـ هم الأسوة الحسنة للناس جميعًا ﴿لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة﴾[1] ﴿قد كانت لكم أسوة حسنة في إبراهيم والذين معه﴾[2] ﴿لقد كان لكم فيهم أسوة حسنة﴾[3] ﴿أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده﴾[4]، وذلك لأن الرسل صفوة الله من خلقه، وخيرته من عباده[5]، طهرهم وزكاهم وعلمهم ما شاء أن يعلمهم، ثم أرسلهم إلى الناس ليأخذوهم بأسباب الهداية، وينأوا بهم عن معاهد الضلالة، ولذلك كان من كليات أصول الدين عند

---

(١) سورة الأحزاب، آية : ٢١؛ وانظر: تفسير القرطبي ١٤/١٥٥-١٥٦؛ تفسير الطبري ٢١/ ١٤٢-١٤٣؛ تفسير البيضاوي ٢/٢٤٢؛ تفسير الفخر الرازي ٢٥/٢٠٢؛ تفسير روح المعاني ٢١/ ١٦٧-١٩٦؛ تفسير القاسمي ١٣/١٤٨٣٦؛ مجمع البيان ٢١/١٢١-١٢٥؛ تفسير وجدي ص ٥٥٢.

(٢) سورة الممتحنة، آية : ٤؛ وانظر روح المعاني ٢٨/٦٩-٧٣؛ تفسير الفخر الرازي ٢٩/٣٠٠-٣٠١؛ تفسير القرطبي، ص ٦٥٣٥؛ تفسير ابن كثير ٨/١١٣؛ تفسير القاسمي ١٦/٥٧٦٥-٥٧٦٦؛ تفسير الطبرسي ٢٨/٤٧-٤٩؛ تفسير الكشاف ٤/٩٠.

(٣) سورة الممتحنة، آية : ٦؛ وانظر: تفسير الطبري ٢٨/٦٤؛ تفسير الكشاف ٤/٩١؛ تفسير القرطبي، ص ٦٥٣٦-٦٥٣٧؛ تفسير وجدي، ص ٧٣٥؛ تفسير ابن كثير ٨/١١٣-١١٤؛ تفسير روح المعاني ٢٨/٧٣-٧٤؛ تفسير الفخر الرازي ٢٩/٣٩٢؛ تفسير القاسمي ١٦/٥٧٦٧.

(٤) سورة الأنعام، آية : ٩٠؛ وانظر : تفسير الطبري ١١/٥١٨-٥٢٠؛ تفسير ابن كثير ٣/٢٩٠-٢٩٣؛ تفسير وجدي، ص ١٧٦؛ تفسير القرطبي، ص ٢٤٧١-٢٤٧٢؛ تفسير المنار ٧/٤٨٧-٥٠٨؛ تفسير مجمع البيان ٧/١٢٣-١٢٦؛ تفسير الكشاف ٢/٢٣؛ تفسير أبي السعود ٢/٢٤٩؛ تفسير روح المعاني ٧/٢١٦-٢١٨؛ تفسير الفخر الرازي ١٣/٦٩-٧١؛ وانظر: محمود أبو ريه، دين الله واحد، القاهرة ١٩٧٠، ص ٧٩-٨١.

(٥) وتصديقًا لهذا فقد جاء في الحديث الشريف، عن النبي ﷺ : «إن الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل، واصطفى قريشًا من كنانة، واصطفى من قريش بني هاشم، واصطفاني من بني هاشم، فأنا خيار من خيار»، (رواه مسلم والترمذي؛ وانظر: المواهب للقسطلاني ١/١٣؛ ابن كثير، السيرة النبوية ١/١٩١ (تحقيق مصطفى عبد الواحد، القاهرة ١٩٦٤) أحمد حسن الباقوري، مع القرآن، القاهرة ١٩٧٠، ص ٢١؛ عبد الحليم محمود، دلائل النبوة ومعجزات الرسول، القاهرة ١٩٧٣، ص ٦٨؛ محمد محمد أبو شهبة، السيرة النبوية، القاهرة ١٩٧٠، ١/١٨٩؛ عطية صقر، الدين العالمي، ص ١٤٠).

المسلمين، أن شرع من قبلنا شرع لنا، إلا إذا ورد من رسول الله - ﷺ - ما ينسخه[1].

ولكن: ماذا عن وظائف الأنبياء عند اليهود؟

ليس من شك في أن «فكرة النبوة» عند الإسرائيليين، تختلف عنها عند المسلمين - وربما المسيحيين كذلك - شأنها في ذلك شأن كثير من مصطلحات تتفق لفظاً، وتختلف مدلولا، بين أصحاب الديانات السماوية وغير السماوية - فضلا عن أصحاب الديانات السماوية نفسها - كالبعث والنشور والقيامة والحساب وغيرها، ومن هنا كان الخلاف على «وظيفة الأنبياء»، بين اليهود وبين غيرهم من أصحاب الديانات، والتي يمكن أن نلخصها - فيما يرى اليهود - في النقاط التالية:

١ - أن أنبياء إسرائيل - أو رجالها المقدسين كما يسمون أحياناً - لم يكونوا هم أصحاب ديانة إسرائيل فحسب، بل كانوا كذلك حراساً وحماة لتقاليدها ولوجدانها الخلقي[2]، ومن ثم فإنهم - فيما يرى ميك - إنما كانوا جميعاً رجالا روحانيين، وأن ظهورهم إنما كان بمثابة اعتراض على مدعي النبوة ومحترفيها[3].

على أن هناك من يرى أن اعتبار كل أنبياء بني إسرائيل - وبخاصة أولئك الذين عوملوا بازدراء حتى من معاصريهم - رجالا روحانيين، أمر مبالغ فيه إلى حد كبير[4]، كما أن «روبنسون» يرفض التفرقة بين أنبياء إسرائيل على أساس الحالة النفسية لهؤلاء الرجال، ويرى أنه يجب علينا أن

---

(١) محمود أبو رية، دين الله واحد على ألسنة جميع الرسل، القاهرة ١٩٧٠، ص ٥٨.

(٢) Claude Saue Brei, The Holy Man in Israel, p. 209.

(٣) Sauerbrei, JNES, 6, p. 209;

وكذا: J. Meck, Hebrew Origins, N.Y., 1950, p. 230.

(٤) Claude Sauerbrei, The Holy Man in Israel, JNES, 6, 1947, p. 209.

نبحث عن ذلك فى رسالاتهم، وليس فى أحوالهم الطبيعية وغير الطبيعية[١].

٢ - وكان من مهام النبىّ الإسرائيلى - بجانب الحفاظ على التقاليد والوجدان الخلقى والاجتماعى للأمة - تقديم القرابين، وتقدم لنا التوراة - على وجهة النظر اليهودية هذه - أمثلة كثيرة، فإبراهيم الخليل عليه السلام كان بانيًا للمذابح[٢]، وفرض الكليم - عليه السلام - الأضاحى على شعبه، وفعل كذلك فتاه يشوع[٣] - أو يوشع طبقًا للتسمية العربية - والأمر كذلك بالنسبة إلى صموئيل الذى كان يغار منه لتفوقه عليه فى تقديم القرابين، وفى عصر القضاة، نرى «جدعون» يبنى مذبحًا ويقدم الأضاحى لربّه «يهوه»[٤]، كما يفعل كذلك إيليا على أيام الملكية الإسرائيلية[٥].

٣ - وكان النبىّ العبرانى فمًا لله أمام الشعب، كما كان كذلك فمًا للشعب أمام الله، ومن هنا فهو الوسيط بين خاصة القوم وعامتهم من ناحية، وبين الله من ناحية أخرى، ويبدو أنه كان من أهم الوظائف المنوطة بالنبىّ العبرانى فى كافة العصور، الصلاة من أجل الأفراد والجماعات، فقد كان القوم يلجأون إلى النبىّ فى السراء والضراء، ليقوم ضارعًا أمام الله حتى يأتى بالفرج، وقد جاء فى التوراة فى حق إبراهيم «أنه نبىٌّ يصلى من أجلك فتحيا»[٦]، وكان موسى يكثر من الصلاة إلى الله من أجل الآخرين... فقد جاء فى التوراة أنه صلى من أجل فرعون والمصريين[٧]، ومن أجل بنى إسرائيل[٨]، ومن أجل كثير

---

(١) W. Ribinson, The People and the Book, p. 371F.

(٢) تكوين ١٣ : ٣-٤.

(٣) يشوع ٨ : ٣-٢١.

(٤) قضاة ٦ : ٢٥ وما بعدها.

(٥) C. Sauerbrei, op.cit., p. 210-211.

(٦) تكوين ٢٠ : ٧، ١٧.

(٧) خروج ٩ : ٣٣، ١٠ : ١٨.

(٨) خروج ١١ : ١٥، ١٥ : ٢٥، ١٧ : ٤، ٣٢ : ١١؛ تثنية ٩ : ٨، ٢٦؛ عدد ١١ : ٢، ١٤ : ١٣، ١٦ : ٢٢، ٢١ : ٧.

من الأفراد[١]، وكذلك فعل صموئيل وإيليا واليشع وعاموس وإشعياء وإرمياء وأيوب وغيرهم[٢].

٤ ـ وكان القوم يلجأون إلى الأنبياء يستشيرونهم قبل الحروب[٣] وقبل الرحلة، وفى الإقامة، لعلمهم أنهم أقرب إلى الله وأدنى أن يطلعوا على الغيب المحجوب على الدنيويين المنغمسين في هموم الحياة، ومن هؤلاء الأنبياء من كان يستمع الوحى[٤] صوتاً عالياً، ومن كان يحسبه إلهاماً أو هداية أو رؤيا صالحة[٥].

٥ ـ وكان التغنى بالأناشيد بمصاحبة الآلات الموسيقية عادة متبعة في معابد إسرائيل[٦]، ولم يكن عمل الأنبياء في هذه المعابد مقصوراً على الصلاة فحسب، بل كانوا يقومون كذلك بالإنشاد والموسيقى والرقص، وفى الفقرة الخاصة بتولى «شاؤل» الملك، تحدثنا التوراة أنه «التقى بزمرة من الأنبياء نازلين من المرتفعة وأمامهم رباب ودف وناى وعود، وهم يتنبأون[٧]» وليس من شك فى أن تلك الآلات الموسيقية كانت لمصاحبة الترنم والأناشيد والأشعار، وأن هذه الأشعار كانت من الشعر المقدس الذى بدأ الأنبياء فى ترتيله فوق المرتفعة نفسها، وقبل هبوطهم منها.

---

(١) عدد ١٢ : ١٣؛ تثنية ٩: ٢٠.

(٢) صموئيل أول ١٥ : ١١؛ ملوك أول ١٧ : ٢١؛ ملوك ثان ٤ : ٢٣؛ عاموس ٧ : ٢، ٥؛ أشعياء ٣٧ : ٤؛ إرمياء ٧ : ١٦، ١١ : ١٤، ١٤، ١١؛ أيوب ٤٢ : ٦؛ ص.سيجال، المرجع السابق، ص٢٠-٢٢.

(٣) ملوك ثان ٢٢ : ١-٣٨؛ أخبار ثان ١٨ : ١-٣٤.

(٤) انظر عن الوحى فى الإسلام (زاد المعاد لابن القيم الجوزية، والمواهب للقسطلانى، والروض الأنف للسيلى، والوحى المحمدى لرشيد رضا، والأنبياء فى القرآن الكريم للشرقاوى، ورسالة التوحيد لمحمد عبده).

(٥) عباس العقاد، حياة المسيح، القاهرة ١٩٥٧، ص ٣٩.

(٦) عاموس ٥ : ٢٣؛ أشعياء ٣٠ : ٢٩.

(٧) صموئيل أول ١٠ : ٤.

ولم يوصف هذا العمل فى هذه القصة، كما لو كان أمراً مستحدثاً لذلك اليوم المعلوم، وإنما المستحدث فى القصة هو أن «شاؤل» عندما التقى بهذه الزمرة من الأنبياء تأثر بهم وتنبأ معهم، ومن مشاركة شاؤل هذه للأنبياء، جاء المثل السائر «أشاؤل أيضًا بين الأنبياء»[١]، وقد تواتر أن ما فعلته زمرة الأنبياء هذه فوق المرتفعة على أيام صموئيل، فعله الأنبياء أيضًا فى بيت إيل والجلجال وأريحا والسامرة، وسائر المعابد فى أيام إيليا واليشع وفى الأجيال الأخيرة فى فترة ما قبل السبى البابلى[٢].

٦ ـ وكانت القيمة الحقيقية للأنبياء عند بنى إسرائيل فى أنهم كانوا قادرين على التعبير عن احتياجات القوم المعاصرة، فهم متنبأون بما يحدث تواً، أكثر منهم متنبئين بما سوف يحدث مستقبلا[٣].

٧ ـ وكان من أهم المبادئ الخلقية التى كان يدعو إليها الأنبياء الإسرائيليون «البرّ» بل كان البر ـ فيما يعتقدون ـ هو القانون الأسمى للعالم، وأجدى السجايا الجوهرية للربّ نفسه، يقول أشعياء «ويتقدس الإله القدوس بالبر»[٤] وقد كان البر الإلهى هذا ـ طبقًا لتعاليم الأنبياء ـ تمييزاً واضحًا بين الخير والشر، فالصواب صواب فى كل مكان، والخطأ خطأ فى كل مكان، ولم يكتف الأنبياء العبرانيون بالتشهير بالجور والظلم، وإنما أثاروا الناس كذلك ضد المتاعب الاجتماعية، وطالبوا القوم بأن يفعلوا الخير، وأن يبتعدوا عن الشر[٥]، يقول أشعياء «كفوا عن فعل الشر، تعلموا فعل الخير، اطلبوا الحق، انصفوا المظلوم،

---

(١) صموئيل أول ١٠ : ١٢.

(٢) م.ص. سيجال، المرجع السابق، ص ٢٨–٢٩.

(٣) S.A. Cook, The Prophets, in teh Cambridge Ancient History, III, 1965, p. 462;
وكذا: W. Robinson, op.cit., p. 371F.

(٤) أشعياء ٥: ١٦.

(٥) I. Epstein, Judaism, 1970, p. 57.

اقضوا لليتيم، حاموا عن الأرملة»[١]، ويقول أرمياء «انقذوا المظلوم من يد الظالم»[٢].

والأخلاق ـ طبقًا لما جاء به الأنبياء العبرانيون ـ لا تعتمد على أفكار الرجال، ولكن على القوانين السماوية، وليست على قوانين المجتمع والطبيعة، ولكن على أوامر الرب، وأن على الأنبياء أن يذكروا القوم دائمًا بذلك كله، وأن قدسية «يهوه» إنما تتطلب طهارة خلقية، وليست طقسية، وأن الطهارة، إنما هى طهارة القلب، وليست طهارة الملابس، «حتى يجرى الحق كالمياه، والبر كنهر دائم»[٣]، وأن طهارة القلب، من أجل الحب والعدل والرحمة والتواضع أهم الأضاحى[٤].

٨ـ وكان الإسرائيليون يحتجون على أنبيائهم بأن ربّهم «يهوه» ليس عادلا، فهو «يفتقد ذنوب الآباء فى الأبناء فى الجيل الثالث والرابع»[٥]، و«أن الأباء يأكلون الحصرم والأبناء يضرسون»[٦]، ومن ثم فإن الأنبياء أصبحوا ينادون الآن بأن «يهوه» سوف يعطى كل إنسان حسب عمله، وأن كل الأرواح من «يهـــوه» وأن كل من يموت فـــمن أجل خطيئته[٧]، وانطلاقًا من هذا كله، فإن الإنسان ليس بقادر على إنقاذ الآخرين، وأن العادلين هم من يخلصون أنفسهم فحسب[٨]، وأن ما

---

(١) أشعياء ١ : ١٧.   (٢) أرمياء ٢١ : ١٢.

(٣) هوشع ٦ : ٦؛ أشعياء ؛ الإصحاح الأول؛ ميخا ٦ : ٦؛ صموئيل أول ١٥ : ٢٢ ؛ وكذا:
S.A. Cook, op.cit., p. 465-466.

(٤) لعل المصريين القدامى كانوا أول من أشار صراحة فى نصوصهم إلى أن الخلق الطيب أفضل عند الله من الأضحاى التى تقدم لاستعطافه، فها هو «إيبو ـ ور» (حوالى القرن الثانى والعشرين قبل الميلاد) يقول : «إن خلق (فضيلة) الرجل المستقيم أحب عند الله من ثور الرجل الشرير» ـ أى الثور الذى يقدمه كأضحية ـ (انظر : محمد بيومى مهران، الثورة الاجتماعية الأولى فى مصر الفراعنة، الإسكندرية ١٩٦٦، ص ١٥٠)؛ وكذا:
A. H. Gardiner, The Admonitions of Egyptians Sage, Leipzig, 1909;
وكذا:
J.A. Wilson, ANET, 1966, p. 417.

(٥) خروج ٢٠ : ٥.   (٦) حزقيال ١٨ : ١.

(٧) حزقيال ١٨ : ١ـ٤، ٢٥ : ٢٩؛ أرمياء ١٧ : ١٠، ٣١، ٢٩ : ٢٠.

(٨) حزقيال ١٤ : ٨.

يعمله الفرد لا يقع وزره على جماعة هذا الفرد أو نسله، وأن كل إنسان مسئول عن عمله(١).

٩ - وكان الإسرائيليون يعتقدون أن الله - ويطلقون عليه لفظة «يهوه» أحياناً، وألوهيم أحياناً أخرى - إنما هو ربٌّ إسرائيل دون العالمين(٢)، ثم جاء عاموس - في القرن الثامن قبل الميلاد - ونادى (في ٩ : ٧) بأن الله إله العالمين، وليس إله بني إسرائيل فحسب، «ألستم لي كبني الكوشيين يا بني إسرائيل يقول الربُّ، ألم أصعد إسرائيل من أرض مصر(٣)، والفلسطينيين (٤) من كفتور والآراميين(٥) من قير»، ولكن

(١) S.A. Cook, op.cit., p. 467-68.

(٢) انظر عن صفات الله جلّ وعلا - كما صورتها توراة اليهود - : كتابنا «إسرائيل»، ص ٥٧-٦٩؛ ول ديورانت، قصة الحضارة، ٣٤١/٢-٣٤٤؛ أبكار السقاف، إسرائيل وعقيدة الأرض الموعودة، ص ٢٤٣-٢٤٤؛ وكذا: J. Smith, God and Man in early Israel, p. 35F.

(٣) انظر عن تاريخ خروج بني إسرائيل من مصر، كتابنا «إسرائيل»، ص ٢٦٨-٣٠٣، (القاهرة ١٩٧٣).

(٤) الفلسطينيون: شعب هندو أوروبي قدم إلى فلسطين من كريت مع شعوب البحر على أيام رعمسيس الثالث (١١٨٢-١١٥١ق.م)، ولكن كريت لم تكن موطنهم الأصلي، وإنما مجرد استقرار مؤقت، وأما قبل ذلك فموضع خلاف، فمن رأى أنهم قادمون من ليسيا وكاريا، ومن ينسبهم إلى القومية الإليرية، ومن رأى أنهم يتشابهون مع البلاسجيين، وأن لغتهم إنما هي لهجة لوية، ومن رأى أنهم من مكان ما شمالي بحر إيجة، ومن رأى أنهم هجرة سامية مرتدة، والرأي عندي أنهم من آسيا الصغرى، لأن أغلب شعوب البحر من هذه المنطقة، ولأن هناك الكثير من الأدلة العلمية والأثرية التي ترجح هذا الاتجاه. وقد اشترك الفلسطينيون مع شعوب البحر في الهجوم على الإمبراطورية المصرية في آسيا على أيام رعمسيس الثالث، والذي انتهى بهزيمتهم هزيمة منكرة في موقعة بحرية وأخرى برية، ثم سمح لهم بالاستقرار على ساحل فلسطين، وفي المنطقة ما بين يافا وغزة، ثم أصبحوا فيما بعد أشد أعداء بني إسرائيل في فلسطين وأخيراً احتفظ لهم التاريخ باسمهم على فلسطين ربما لأنهم آخر من نزل بها، ولكثرة ترديد التوراة لاسمهم (انظر: كتابنا «إسرائيل»، ص ٢٥٦-٢٦٠)؛ فيليب حتي، تاريخ سورية ولبنان وفلسطين، ١٩٦/١-١٩٧؛ نجيب ميخائيل، المرجع السابق، ص ٢٥؛ وكذا: J.H. Breasted, History of Egypt, p. 477; H. Hall, The Ancient History of the Near East, p. 286-88; Onom, I, p. 205.; G. Bonfante, Who were Philitstines, AJA, p. 251.; G. Wainwright, JEA, 47, L.P. 78-88.

(٥) الآراميون: شعب سامي يمثل الموجة السامية الثالثة التي خرجت من بلاد العرب بعد الأموريين والكنعانيين، وأما أقدم ذكر لهم فيرجع إلى عصر الملك «نرام سن» (٢٥٥٧-٢٥٢٠ق.م)، وقد

عاموس يناقض نفسه حين يقول - على لسان يهوه - «إياكم فقط عرفت من جميع قبائل الأرض»[١].

وهكذا يبدو بوضوح أن أنبياء، بنى إسرائيل حتى حين خرجوا بربهم من دائرة بنى إسرائيل إلى غيرهم من الشعوب، فقد ظل المعنى المتضمن لمفهوم الله فى التوراة، على أنه إله إسرائيل فى المقام الأول، مما يدل بوضوح على أن إله إسرائيل - كما تصوره التوراة - لم يكن هو «الله»، كما تفهمه الشرية فى الديانات المعاصرة[٢].

وفى الواقع أن هذه الفكرة تتناسق تناسقًا كاملا مع سياق النظام الإسرائيلى عامة، لأن الدين الخاص لشعب خاص، لابد أن يكون له إله خاص، وهذه الخصوصية مهمة جداً فى عقيدة الإسرائيليين[٣]، إذا اعتبروا أن كرامة الله مرتبطة بكرامة الأمة، ومن ثم فقد دعوا الله «ربُّ الجنود»، معتقدين بأن هذا معناه «رب جنود إسرائيل»، مما جعلهم يعتقدون أن الله ملزم بأن يحامى عنهم، لأن حمايتهم حماية لكرامته هو، وإذا حدث أن سقطت الأمة الأمة فمعنى هذا فى نظرهم أن الله نفسه - والعياذ بالله - قد سقط[٤]، ﴿كبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون إلا كذباً﴾[٥]

=

توصل «موريتز» بعد دراسة الأسماء الآرامية إلى أن القوم إنما كانوا عرباً، وتحدثنا التوراة عن سبع ولايات آرامية هى: آرام النهرين وآرام دمشق وآرام صوبة وإمارة معكة وإمارة جدور وآرام بيت وحوب وطوب (انظر: كتابنا إسرائيل»، ص ٣٣٧-٣٤٢؛ موسكاتى، المرجع السابق، ص ١٧٧، ٣٤٤؛ محمد عبد القادر، الساميون فى العصور القديمة، ص ٢٠٠-٢٠٧؛ وكذا:
P.A. Bowman, JNES, 7, 1948, p. 66-68 ; H.Hall, op.cit., p. 400; O.Roux, op.cit., p. 247-49; M. Unger, op.cit., p. 76-77.

(١) عاموس ٣: ٢.

(٢) صبرى جرجس، التراث اليهودى الصهيونى، ص ٥٢.

(٣) عبده الراجحى، الشخصية الإسرائيلية، الإسكندرية، ١٩٦٨، ص ٤٧.

(٤) عاموس عبد المسيح، دراسة فى عاموس «ترجمة حارث فريصة، ص ١٨.

(١) سورة الكهف، آية: ٥ وانظر: تفسير البيضاوى ٤/٣؛ تفسير روح المعانى ٢٠٤/١٥؛ تفسير

=

ومن هنا ـ وطبقًا لزعم يهود الكذوب هذا ـ فإن بنى إسرائيل إنما كانوا يعتقدون أن على الله أن يكرس كل قوته وسلطانه من أجل شعبه إسرائيل، وهو لذلك يحارب إلى جانبهم، أو يحارب بدلا عنهم، أو يطرد من أمامهم أعداءهم وييسر لهم قتلهم، ويحل لهم نهبهم[1]، لأن على «يهوه» ـ وهذه أكثر الأفكار وضوحًا فى رسالات أنبياء إسرائيل كما تقدمها توراة إسرائيل ـ أن يتدخل نيابة عن إسرائيل، لا من أجل شرف إسرائيل، ولكن من أجل اسمه، كماأن عليه أن ينقذ إسرائيل ـ إذا تعرضت للخطر ـ من أجل شرفه ومجده، ومن ثم فإن حركة التاريخ، إنما هى من أجل إسرائيل، وفى صالحها[2].

١٠ ـ وقد كان الإسرائيليون يتطلعون إلى «يوم يهوه» على أنه اليوم الذى تنتصر فيه إسرائيل على أعدائها، ولكن يوم الربّ هذا ـ فيما يرى النبيين عاموس وصفنيا ـ إنما هو يوم ا لحساب لإسرائيل نفسها، فإن ادعاء إسرائيل ـ فيما يرى عاموس ـ أنها «الشعب المختار» يتضمن التزامًا ثقيلا، ومن ثم فقد أعلن الرجل فى الكلمة المأثورة القديمة معنى جديداً مروعًا «ويل للذين يشتهون يوم الربّ، لماذا لكم يوم الرب؟ هو ظلام لا نور، كما إذا هرب إنسان من أمام الأسد فصادفه الدب أو دخل البيت ووضع يده على الحائط فلدغته الحية، أليس يوم الربّ ظلامًا لا نوراً، وقتامًا، ولا نور فيه»[3].

=

الفخر الرازى ٢١/٧٧–٧٨؛ تفسير الطبرى ١٥/١١٥–١١٨؛ تفسير وجدى، ص ٣٨٠؛ تفسير القرطبى، ص ٣٩٧٠، (دار الشعب، ١٩٧٠)، وانظر كذلك : عبد الله محمود شحاته، فى نور القرآن، ١٩٧٣، ص ١٢٧–١٢٩.

(١) تثنية ٩: ١٣؛ عبده الراجحى، المرجع السابق، ص ٤٧.

(٢) أشعياء ٤٢: ٨، ٤٨: ٩؛ وكذا: S.A. Cook, op.cit., p. 469.

(٣) عاموس ٥: ١٨–٢٠.

أضف إلى ذلك أن الأنبياء الذين كانوا يعيشون فى وقت الانفصال السياسى والاجتماعى لينبذون أية فكرة عن أية رابطة بين الشعب وربه، فهناك فى سفر حزقيال نصوص تشير إلى أن إسرائيل منبوذة من ربّها، عابدة لأصنامها، متفاخرة بمتاعها، مكروهة من جاراتها، رافضة كل نبيل وجميل من القيم الخلقية، بل إن سدوم لم تنحرف كما انحرفت هى، ومن ثم فسوف يتصرف الربُّ معها، وكأنه غريب عنها، وعليها أن تتحمل رجاساتها وأنجاسها[١]، وأن النهاية الأبدية لا بد آتية، وأن المملكة الخاطئة الشريرة يجب أن تمحى من على وجه الأرض، وأن طبيعة الله العادلة يجب أن تفهمها كل شعوب الأرض، وها هى أداة التأديب والعقاب على الأبواب، ورغم أن عاموس النبى لم يذكر هذه الأداة، فهى «آشور» دون شك[٢]، هذا فضلا عن أن رسالة أشعياء الأول إنما كانت رسالة دنيوية محتومة، واقتراب يوم الرب، وحلول يوم القضاء على أورشليم وجمهورها[٣].

على أن هناك نصوصًا فى التوراة إنما تشير إلى أن يوم الربّ ـ فى رأى الأنبياء ـ إنما هو يوم الانتقام من أعداء إسرائيل، وأن «برّ يهوه» يظهر نفسه فى «تبرير برّ إسرائيل»، ويقع التأكيد على ذلك ـ إن لم يكن على شخصيته إسرائيل القومية ـ فعلى علاقتها بيهوه، لأ هدف إسرائيل، إنما هو هدف يهوه، والعكس صحيح، ومن ثم فيجب أن تكون هناك أورشليم الثرية الكثيفة السكان، والمعبد الفخم بكهنته وخدمة، بقرابينه وضرائبه العشرية، بأفراحه وبطقوس الطهارة القديمة، وسيأتى الناس حاملين ثروتهم لدفع الولاء، وصهيون غير المنتهك هو ينبوع الدين والأخلاق، والمعبد والدين العالمى، وهو مركز الإمبراطورية الدينية المتسعة الأرجاء فى العالم[٤].

(١) حزقيال ١٤ : ١-٢٣، ١٥ : ١-٦٣؛ إرمياء ١٤ : ٨ وما بعدها، وكذا:
C.Roth, op.cit., p. 43-44; S.A. Cook, op.cit., p. 465.

(٢) عاموس ٥ : ٢٧، ٦ : ١٤؛ وكذا : حبيب سعيد، المرجع السابق، ص ٢٥.

(٣) أشعياء ٣ : ١٢، ٥ : ٥، ١٤؛ حبيب سعيد، المرجع السابق، ص ٥٧.

(٤) أشعياء ٢ : ٣ وكذا:
S.A. Cook, op.cit., p. 469-70.

وإذن، ففكرة الإله العالمى، مرة أخرى، لا تعنى - فى رأى الأنبياء - سوى أنه إله إسرائيل أولا، وأن الأنبياء اليهود لم يغيروا شيئًا من فكرة العنصرية الإسرائيلية.

١١ - وكانت علاقة النبى - أو الرجل المقدس - بكل الظروف الاجتماعية المحيطة بإسرائيل، سببًا للتدخل المباشر من جانب الأنبياء فى السياسة، الأمر الذى نتج عنه بكل تأكيد - طبقًا لمادة قديمة - طلب النبوءة من الأنبياء، عندما يكون من الصعب اتخاذ القرار.

ونقرأ فى التوراة أن وظيفة الأنبياء كانت موقوفة عندما كان صموئيل ما يزال صغيرًا[1]، وذلك بسبب الفساد الذى استشرى فى عائلة الكاهن «عالى»، حتى أن ولديه «حفنى وفينحاس» لم يكتفيا بطمعهما الجشع، بل كانا يرتكبان أقذر أنواع العبادات الوثنية وسط غابات وكروم «شيلوه»، كما أنهما لم يترددا - رغم أنهما كانا متزوجين - عن إفساد النساء اللاتى كن يقمن فى المعبد بتلك الخدمات التى تتطلب عملا يليق بالنساء، وطبقًا لرواية التوراة فقد «سمع عالى بكل ما عمله بنوه بجميع إسرائيل وبأنهم كانوا يضاجعون النساء المجتمعات فى باب خيمة الاجتماع»، ولكنه لم يفعل أكثر من أن يوجه إليهما توبيخًا خفيفًا، وكان نتيجة ذلك الفساد الذى عمَّ الحياة الإسرائيلية - وبخاصة بين رجال الدين - أن انتصر الفلسطينيون عليهم فى معركة حاسمة دارت رحاها على مقربة من «المصفاة» وقتلوا من الإسرائيليين ثلاثين ألفًا واستولوا على «تابوت العهد» ودمروا معبد شيلوه - مقر التابوت - وهاجر كهنته إلى «نوب»، ودفع عالى وولداه حياتهما ثمنًا لما اقترفوه فى حق إسرائيل[2].

---

(١) صموئيل ٢ : ١ وما بعدها.

(٢) صموئيل أول ٢ : ١٢، ١٢، ٣ : ٢٣-٢٤، ٤-١١؛ وإرمياء ٧ : ١٢، ١١، ٢٦ : ٦، ٩ ف.ب. مايرء حياة صموئيل، ص ١٢، ١٣٥؛ وكذا: M.Nothy, op.cit., p. 166-167.

غير أن الأمر، سرعان ما تغير عندما أصبح النبيٌّ واثقًا من وظيفته، وبالتالى عندما وثق الناس به وسمحوا له بأن يمارس وظيفة «التنبوء» بما سوف يحدث، وبالتالى اعطاء الإذن ببداية الأحداث الخطيرة أو تأجيلها، معتمدين فى ذلك على صلته بربّه، وتقدم لنا التوراة الكثير من الأمثلة على ذلك، فقد بدأ يشوع الهجوم على أريحا بإذن من يهوه[١]، وحرض جدعون بنى إسرائيل على قتال المديانيين باسم يهوه[٢]، وعين صموئيل شاؤل ملكًا على إسرائيل[٣]، ثم داود فى نفس المنصب[٤] ـ بإذن من يهوه، وكذلك منع «ناثان» داود من بناء معبد ليهوه[٥]، وأشعل «أخيا الشيلونى» الثورة على سليمان[٦]، وقام اليشع ـ بناء على تعليمات إيليا ـ بالمعارضة ضد «أخاب»[٧].

١٢ ـ وقد تميزت دعوة أنبياء إسرائيل بالعداء للتطور السياسى الدينى الذى شهده عهد الملكية، وأدى إلى تلوث دين يهوه القديم وفساده، ومن ثم فقد ندد الأنبياء بالبدع الوثنية بعنف[٨]، ذلك أن عقيدة إسرائيل كانت فى القرن التاسع قبل الميلاد، معرضة لخطر شديد من الديانة الكنعانية القديمة فى فلسطين[٩]، ولعل السبب فى ذلك أن «أخاب» (٨٦٩–٨٥٠ق.م) ملك إسرائيل كان قد تزوج من «إيزابيل» ابنة

---

(١) يشوع ١١ : ١٢.

(٢) قضاة ٦ : ١١ وما بعدها.

(٣) صموئيل أول ٩ : ١٦؛ ثم قارن ٨ : ٤ وما بعدها.

(٤) صموئيل أول ١٦ : ١.

(٥) صموئيل ثان ٧ : ٤–١٤.

(٦) ملوك أول ١١ : ٢٩.

(٧) ملوك ثان ٩ : ١ وما بعدها؛ وكذا: C. Sauerbrei, op.cit., p. 214-215.

(٨) موسكاتى، المرجع السابق، ص ١٤٥.

(٩) ملوك أول ١٨ : ١٧–١٩؛ ملوك ثان ١ : ٢؛ وكذا: E.W. Heaton, op.cit., p. 43, 45, 71.

«إيشبعل» ملك صور، والتى كانت ذات شخصية قوية، ومن ثم فقد استطاعت أن تسيطر على زوجها تماماً، وقد أثار هذا الزواج معارضة قوية فى إسرائيل نفسها، تزعمها النبىّ «إيليا»[١]، فإن إيزابيل لم تأت إلى إسرائيل بأفكار الحكم المطلق الغربية عن التصور العبرى البدوى التقليدى عن الملكية فحسب[٢]، وإنما حاولت إحلال آلهة الفينيقيين شيئاً فشيئاً محل عبادة (يهوه التوراة) فى مملكة إسرائيل[٣]، وليس من شك فى أن إيزابيل وحاشيتها الصورية، إنما كانوا يمارسون ديانتهم الصورية فى معبد أنشئ فى السامرة من أجل هذا الغرض[٤].

---

(١) إيليا : وهو صيغة مختصرة من «الياهو» بمعنى «الله يهوه»، هذا ونستطيع القول - ولكن بحذر - أن إيليا التوراة هذا، إنما هو «إلياس» القرآن، مستمدين فى ذلك على قصة هذا النبى الكريم - كما جاء فى التوراة والقرآن الكريم - فقصة التوراة تشير إلى عبادة «البعل» فى إسرائيل على أيام أخاب زوج إيزابيل، ومعارضة إيليا لهذه الوثنية الصورية ودعوته إلى عبادة يهوه ربِّ إسرائيل (ملوك أول ١٦ : ٢٩-١٩ : ٢١) وأما القرآن الكريم، فقد ذكره مرتين، الواحدة فى سورة الأنعام (آية ٨٥)، والثانية فى صورة الصافات (آية : ١٢٣-١٣٢)، حيث يقول سبحانه وتعالى : ﴿وإنَّ إلياسَ لَمِنَ المُرسلينَ، إذْ قال لقومِهِ ألا تتقون، أتدعون بعلاً وتذرونَ أحسنَ الخالقِينَ، اللهُ ربكم وربَّ آباءِكم الأولين، فكذبوه فإنهم لمحضرون، إلا عباد الله المخلصين، وتركنا علَيه فى الآخرين سلامٌ علَى إل ياسين، إنّا كذلك نجزى المحسنين، إنه من عبادنا المؤمنين﴾ سورة الصافات آية : ١٢٣-١٣٢ (وانظر: تفسير الطبرى ٥٠٨/١١-٥١٠، ٩١/٢٣؛ تفسير البيضاوى ٢٩٩/٢؛ تفسير القرطبى ١١٥/١٥-١٢٠؛ تفسير المنار ٤٨٧/٧-٤٩٠؛ تفسير الفخر الرازى ١٦٠/٢٦-١٦١؛ تفسير روح المعانى ٣٨/٢٤-١٤٢؛ تفسير ابن كثير ٢٩٠/٣، ٣١/٧-٣٢؛ تفسير القاسمى ٥٠٥٩/١٤-٥٠٦١؛ تفسير مجمع البيان ٨٠/٢٣-٨٢؛ تفسير الجلالين، ص ٣٩٨؛ تفسير وجدى، ص ١٧٦، ٥٩٤-٥٩٥؛ وانظر : أعلام النبوة للماوردى، ص ٥٢)؛ وأما من وجهة النظر المسيحية عن إيليا (انظر: ف.ب. ماير، حياة إيليا، ترجمة القس مرقص داود، القاهرة، ١٩٦٦) . وأما متى كان عصر هذا النبى، فالثابت من نصوص التوراة أنه إنما أرسل إلى بنى إسرائيل على أيام الملك «أخاب»، والذى كان حكمه فى الفترة (٨٦٩-٨٥٠ق.م)، أى فى القرن التاسع قبل الميلاد.

(٢) ف.ب. ماير، حياة إيليا، ص ١٠٨؛ وكذا: C.Both, op.cit., p. 25.

(٣) كونتنو، الحضارة الفينيقية، ص ٧٤.

(٤) ملوك أول ١٦ : ٣-٣٤؛ وكذا: M.Noth, p. 240.

وعلى أى حـــال، فلم تكن ديانة إيزابيل هذه، هى طقــوس الديانة الرسمية، فممـا لا شك فيه أن «يهوه» بقى رب إسرائيل بالنسبة لآخاب ومملكة إسرائيل، وأن الملك نفسه ـ فيما ترى التوراة [١] ـ قد عبد «البعل» وسجد له، وإنما وجود هذه الديانة الأجنبية وعبادتها فى السامرة ـ عاصمة الدولة ـ قد أثار معارضة التقاليد القديمة الصارمة للقبائل الإسرائيلية التى كانت خدمة «يهوه» هو هدفها النهائى[٢].

وقد تزعم إيليا النبى الثورة ضد أخاب وزوجه إيزابيل[٣]، اللذين جهدا لإلغاء عبادة «يهوه» وإحلال عبادة «بعل» فى مكانها، فهدما مذابح ربّ إسرائيل، وقتلا أنبياءه، ومن ثم فقد اندفع إيليا فى طول البلاد وعرضها كالإعصار، مهدداً متوعداً بأنه لا يكون طل ولا مطر فى هذه السنين، وفى السنة الثالثة يقول الرب لإيليا «اذهب وتراءى لآخاب، فأعطى مطراً على وجه الأرض»[٤].

ويطلب إيليا أن يدعى كل إسرائيل على جبل الكرمل بأمر ملكى، حيث يلتقى هناك مع «أنبياء البعل الأربعمائة والخمسين وأنبياء السوارى الأربعمائة الذى يأكلون على مائدة إيزابيل»، ويتغلب يهوه على بعل، لأن يهوه هو الذى ينزل المطر، وهنا يأمر «إيليا» قومه أن «أمسكوا أنبياء البعل ولا يفلت منهم رجل، فأمسكوهم فنزل بهم إيليا إلى نهر قيشون وذبحهم هناك»، وتسمع إيزابيل بما حدث، وفى غضب مرير تنذر قتل إيليا انتقامًا

(١) ملوك أول ١٦ : ٢١.

(٢) M.Noth, op.cit., p. 241-242.

(٣) ذكر الثعالبى اسمها «إربيل» واسم زوجها «أخاب» (لاجب)، انظر: قصص الأنبياء للثعالبى، القاهرة ١٣٤٨، ص ١٦٨.

(٤) ملوك أول ١٨ : ١؛ ف.ب. ماير، حياة إيليا، ص ٦٣-٦٥؛ ثم قارن، دائرة المعارف الإسلامية، ٣٨١/٤-٣٨٢، (القاهرة ١٩٧٠)؛ الديار بكرى، تاريخ الخميس، ١٠٧/١؛ الثعالبى، قصص الأنبياء، ص ١٦٧ وما بعدها.

لقتله كهنة بعل، وفي يأس شديد يذهب إيليا إلى «حوريب»، ثم يعهد إلى حوارية اليشع[١]» ـ باسم يهوه ـ أن يمسح حزائيل ملك دمشق ـ رغم أنه ليس إسرائيليًا، وليس عابدًا ليهوه ـ لأن ربَّ إسرائيل قد أراد أن يجعله سوط عذاب على شعبه الآثم الشرير[٢].

١٣ ـ وكان الأنبياء أثناء الأزمات السياسية، وحين تتعرض إسرائيل لخطر الغزو الأجنبي، أكثر القوم عنفًا وأشدهم قسوة على أعداء إسرائيل ـ أعداء يهوه فيما يعتقدون ـ وكانوا يقومون بأخطر الأدوار حين تدق طبول الحرب، حتى أصبحوا مركز الحماسة الوطنية، ومن أجل إسرائيل، كانوا يصحبون الجيوش إلى ميداين القتال، ويضعون كل قواهم ـ من سحر وعرافة ونبوءة ـ تحت إمرة القواد، كما كانوا يصرون في العادة على أقسى معاملة لأعداء إسرائيل، وهناك مثل سائر على «اليشع» وهو أنه «مركبة إسرائيل وفرسانها»[٣].

(١) اليشع: ربما كان هو نبيُّ الله الكريم «اليسع» المذكور في القرآن الكريم في سورتي الأنعام، آية: ٨٦، وسورة «ص»، آية: ٤٨؛ (وانظر: تفسير الطبرى ١١/٥١٠-٥١٢، ٢٣/١٧٢؛ تفسير الفخر الرازى ١٣/٦٤-٦٥، ٢٦، ٢١٦؛ تفسير الألوسى، ٧/٢١٨-٢١٩، ٢٢/٢١١-٢١٢؛ تفسير البيضاوى ٢/٣١٢؛ تفسير أبى السعود ٢/٢٤٥؛ تفسير الكشاف ٢/٣٤؛ تفسير الطبرسى ٢٣/١٢٠٢٤؛ تفسير القاسمى ١٣/٥١١٢؛ تفسير الجلالين، ص ١٣٢، ٤٠٤؛ تفسير المنار ٧/٤٨٧-٤٩١؛ تفسير القرطبى، ص ٢٤٦٧-٢٤٦٩؛ تفسير وجدى، ص ١٧٦، ٦٠٢؛ تفسير ابن كثير ٣/٢٩-٢٩١؛ ٧/٦٦-٦٧).

ويذهب بعض المفسرين إلى أن «اليسع» معرب الاسم العبرانى «يوشع» فهو اسم أعجمى دخلت عليه لام التعريف على خلاف القياس، وذهب آخرون إلى أنه اسم عربى منقول من «يسع» مضارع «وسع»، وأنه من ولد إسماعيل، وذهب صاحب المنار ـ وهو الأرجح فيما نعتقد ـ إلى أنه تعريف «اليشع» وهو أحد أنبياء بنى إسرائيل، وكان خليفة النبىّ «إلياس» «إيليا»، ومن المعهود في نقل الاسم العبرى إلى العربى إبدال الشين المعجمة بالمهملة (انظر: تفسير المنار ٧/٤٩٠-٤٩١، القاهرة ١٩٧٤؛ القرطبى، ص ٢٤٦٨-٢٤٦٩، دار الشعب، القاهرة ١٩٧٠.

(٢) ملوك أول ١٨: ٢٠-٤٦، ١٩: ٢١؛ ف.ب. ماير، حياة إيليا، ص ٨٠-١١٣؛ وكذا:
L.Epstein, op.cit., p. 41.

(٣) ملوك ثان ١٣: ١٤؛ وكذا: A. Lods, op.cit., p. 447.

ومع ذلك، فالأمر جد مختلف بالنسبة إلى موقف إرميا وحزقيال اللذين فضلا الخضوع لبابل على التحالف مع مصر ـ الأمل الوحيد لإنقاذ قومهم من الأخطبوت البابلي ـ ومن ثم فقد بدأ إرميا نصائحه بالخضوع لـ «نبوخذ نصر»، حتى اتهم من قومه بإضعاف الروح المعنوية بين الشعب والجيش على السواء، ولهذا فليس من العجيب أن نبيّ الويل هذا، قد ألقى به في غياهب السجون لمجاهرته بالخذلان، ولم يطلق سراحه إلا بعد أن سقطت أورشليم تحت أقدام البابليين، وأخذ الجزء الأكبر من السكان أسرى إلى بابل، وكان إرمياء من بين الأسرى، وقد منحه العاهل البابلي حريته، ربما مكافأة له على الدور الذي قام به في بث روح اليأس بين قومه، مما ساعد البابليين على النصر، وإن كانت الأمور انتهت بإرميا أن يصبح لاجئاً في مصر[1].

١٤ ـ وكان الأنبياء ـ أثناء الأزمات الاجتماعية ـ يرفعون أصواتهم منددين بالظلم والجور والفساد، وها هو إرميا يحدثنا عن إسرائيل التي امتلأت فساداً، فالأمراء أشرار، والقضاة مرتشون، والكهنة فاسقون[2]، وأما عن أنبياء إسرائيل، فإنه يقول: «رأيت في أنبياء السامرة حماقة، تنبأوا بالبعل وأضلوا شعبي إسرائيل، وفي أنبياء أورشليم رأيت ما يقشعر منه، يفسقون ويسلكون بالكذب، ويشددون أيادي فاعلي الشر حتى لا يرجعوا الواحد عن شره، صاروا له كلهم كسدوم، وسكانها كعموره، لذلك هكذا قال ربُّ الجنود عن الأنبياء، ها أنذا أطعمهم أفسنتينا، وأسقيهم ماء العلقم، لأنه من عند أنبياء أورشليم خرج نفاق في كل

---

(١) انظر: إرمياء ٢١: ٩، ٢٤: ١، ٢٦: ٢٤، ٢٧، ٢٠، ٢٩: ١-٢، ٣٨: ٤، ٣٩: ١١-١٤، ٤١: ١-١٨، ٤٣: ١-٩ وكذا:

A. Malamat, The Last Wars of the Kingdom of Judah, JNES, 9, 1950, p. 223-229; W. Keller, op.cit., p. 280-284; S.A. Cook, op.cit., p. 399-401; M. Noth, op.cit., p. 285-288.

(٢) إرمياء ٢٣: ٩ وما بعدها، وكذا: S.A. Cook, op.cit., p. 464.

الأرض، هكذا قال ربُّ الجنود: لا تسمعوا لكلام الأنبياء الذين يتنبأون لكم، فإنهم يجعلونكم باطلا، يتكلمون برؤيا قلبهم، لا عن فم الربّ»[1]، ثم يتحدثون عن السلام حيث لا سلام، ينهبون الكثير مما يبذل، يقولون على لسان يهوه ما لم يقله هو، لم أرسل الأنبياء، بل هم جروا[2].

إلا أن عاموس إنما كان يمثل هذا النوع الجرئ الصادق من الأنبياء، فلقد هاله الزيف والفسق والفجور في إسرآئيل على أيام يربعام الثاني (٧٨٦-٧٤٦ق.م)، ذلك المالك الذى كانت القوة والرخاء في عهده مصحوبتين بانتعاش ديني، لم يتجه نحو عبادة الله النقية، وإنما للتوفيق بينهما وبين عبادة العجول الوثنية، فضلا عن انحطاط خلقي سار في نفس الطريق مع هذا الانحطاط الديني، ومن ثم فإن عاموس يصرخ صرخته الداوية، «رؤساء متمردون وشركاء اللصوص، كل منهم يحب الرشوة ويتبع العطايا، لا يقضون لليتيم، ودعوى الأرملة لا تصل إليهم» ، وبلغت الإباحية حداً شنيعًا، حتى ليذهب «رجل وأبوه إلى صبية واحدة، فيدنسوا اسم قدسي، ولم يخف التجار مطامعهم وخيانتهم، لكي «يبيدوا بائسي الأرض، وتجاهل القوم كل الشرائع الإنسانية فتمددوا على «ثياب مرهونة، وشربوا «خمر المغرمين في بيت آلهتهم»[3].

١٥ ـ وكان إشعياء النبيّ صوتًا ثائرًا على القيم الاجتماعية والخلقية الفاسدة، فيحدثنا عن الأغنياء الذين كدسوا الثروات الطائلة بطرد الفلاحين الفقراء من الملكيات الصغيرة التي ورثوها عن الأسلاف، مما يتنافى مع العدالة التي يدعيها إسرائيل «ويل الذين يصلون بيتًا بيت،

(١) إرمياء ٢٣: ١٤-١٦.   (٢) إرمياء ٢٣: ٢١-٢٢.

(٣) عاموس ٢: ٦-٨، ٣: ١، ٦: ٤-٦؛ حبيب سعيد، المرجع السابق، ص ١٥-١٧؛ عاموس عبد المسيح، المرجع السابق، ص ٦٦-٧٣.

ويقرنون حقلا بحقل، حتى لم يبق موضع، فصرتم تسلكون وحدكم فى وسط الأرض»[١].

وأما عن الفساد الخلقى، فإن إشعياء إنما يصور لنا فى عبارة لاذعة بنات صهيون «يتشامخن ويمشين ممدوات الأعناق، وغامزات بعيونهن، وخاصرات فى مشيهن ويشخشخن بأرجلهن»، ومن هنا فإن الربَّ سوف «يصلع هامة صهيون، ويعرى الربُّ عورتهن»، حتى «تمسك سبع نساء برجل واحد فى ذلك اليوم قائلات: نأكل خبزنا ونلبس ثيابنا، ليدع فقط اسمك علينا، انزع عارنا»[٢].

١٥ ـ وكان أنبياء إسرائيل أشبه بالمصلحين اليوم، الذين يعملون جاهدين على إيقاظ أممهم بعد هزائمها، وعلى بث روح الأمل فى نفوس أبنائها، فلقد اعتبر اليهود حادث طردهم من فلسطين، ونفيهم إلى بابل عام ٥٨٦ق.م، كارثة قومية لا تقارن بغيرها من الكوارث، لقد طردهم هذا الطرد من كل ما يجعل للحياة قيمة، وقوض بصورة خطيرة إيمانهم بأن إسرائيل لها مكانة خاصة فى مملكة الرب، ثم صارت كلمة الرب إلى إرميا قائلة... إن العشيرتين اللتين اختارهما الربُّ قد رفضهما، فقد احتقروا شعبى حتى لا يكونوا أمة أمامهم»[٣].

إن تقريع الأمم لليهود واحتقارهم لهم، لابد وأنه قد أثار الشك فى قلوب الكثيرين من اليهود، كما أن حادث السبى البابلى إنما يكذب إصرار الأنبياء الأوائل على أن إسرائيل هى «شعب الله المختار» رغم أن تحذيراتهم من السبى قد تحققت إلى أقصى الحدود، فقد أهمل هذا الجزء من تعاليم

---

(١) أشعياء ٥ : ٨.

(٢) إشعياء ٣ : ١٦-١٧.

(٣) إرمياء ٣٣ : ٢٣-٢٤؛ حزقيال ١٨ : ٢٥-٢٧، ٣٣ : ١، ميخا ٧ : ١؛ يوئيل ٢ : ١٧؛ مزمور ٧٩ : ١٠.

الأنبياء، وإن كان الأكثر احتمالا أن دين الشعب اليهودى لم يتفوق على العقيدة البدائية فى شيء، وأن كل الأرض ـ فى نظرهم ـ غير فلسطين نجسة، وأن الربّ لا يسكن إلا فى فلسطين ـ وفى معبد أورشليم بالذات ـ وكانت نتيجة هذه الأفكار البدائية التى انتشرت بين القوم أن اليأس سيطر علي الكثير من المنفيين هناك على ضفاف الفرات «هاهم يقولون يبست عظامنا،وهلك رجاؤنا، قد انقطعنا»[1].

وزاد الطين بلة، أن عقيدة المنفيين لم تكن على المستوى اللائق فى العمق والروحانية بحيث تمكنهم من تكوين مجتمع جديد، ونمط جديد من الممارسة الدينية خارج فلسطين، وهنا كان دور الأنبياء ـ والذى قلنا أنه أشبه بدور المصلحين الذين يبثون الأمل فى نفس أبنا قومهم ـ فنادوا بأن الربّ فى النهاية لن يترك شعبه إسرائيل فى المنفى إلى الأبد، وأنها لابد أن ترتفع إلى حياة جديدة، وأن تفدى نفسها من الأسر، وهكذا كان البعث والنشور فى جميع الديانات، لا يعنى فى ديانة إسرائيل، سوى العودة من النفى[2].

١٦ ـ كانت الديانة الإسرائيلية تجهل الآخرة والحياة بعد الموت تمامًا ـ شأنها فى ذلك شأن ديانة إخناتون ـ إذ لم يرد فى أى موضع من التوراة ذكر لإمكان حياة بعد الموت، وهو أمر يزيد غرابة، إذا ما علمنا أن الإيمان بالآخرة يمكن أن يتفق تماماً مع عقيدة التوحيد[3]، ذلك أن الإسرائيليين إنما كانوا يعتقدون أن الفرد يخدم الربّ ويتلقى بركاته فى الدنيا، أو ببساطة فإنهم ما كانوا يعتقدون أن له «روح» يمكن يخلصها من هذا العالم، وأنها سوف تتلقى البركات فى العالم الآخر،

---

(١) حزقيال ٣٧: ١١.

(٢) حزقيال ٣٧: ١-٤١ وكذا: E.W. Heaton, The Old Testament Prophets, p. 137-49.

(٣) Sigmund Freud, Moses and Monotheism, N.Y., 1939, p. 18-29.

وإنما هو - فيما يعتقدون - إنما يعيش حياته هذه، وعندما يموت ويأتى إلى قبره بعد عمر طويل مديد خصيب، فإنما «هى النهاية»[١].

ونظرية العبريين هذه، وتناقضها الواضح - بل والصارخ كذلك - مع الإصرار الدائم على الحياة الآخرة فى كل الديانات السماوية والبشرية، إنما يفسره نظرة العبرانى إلى نفسه، لا «كروح متجسدة»، بل «كجسد حى»، وعلى ذلك فإن كل ما عنده من قيم يعبر عنها فى حدود الحياة اتى يعرفها عن طريق جسده فى هذه الأرض، فلم يكن التمييز الحيوى بالنسبة إليه، «بين الروحى والمادى» وإنما «بين الحيوية والضعف» فالرجل الروحى فى نظره، إنما هو «الرجل ذو الروح العالية»، المليء بالحياة التى تملؤها قوة الربّ بالحيوية، وليس ذلك الرجل الروحى الذى يحتقر عالم الحواس.

وهذه النظرية المميزة للطبيعة البشرية هى أساس الاهتمام الواقعى للعهد القديم (التوراة) بالأمور العملية، وبالحقائق المادية للتجربة البشرية، وهى تساهم فى فهم الأنبياء للأفضلية المطلقة بين المادى والروحى فى الدين، ولقد كان من الصعب على الفرد العبرانى أن يفترض أنه بالإماكن خلاص «روح» إنسان ما، مع إهمال إخصاب حياته وازدهارها على الأرض، ومن ثم فقد العبرانى التوافق بين المادة والروح، والأخلاق والدين، وكانت النائج دائماً وأبداً مدمرة[٢].

واشترك أنبياء اليهود - مع كتبة التوراة الآخرين[٣] - فى عدم الإيمان بأى نوع من الحياة بعد الموت، إلا أن هناك نصين فى العهد القديم يعبران

---

(١) E.W. Heaton, TheOld Testament Prophets, (Penguin Books), 1969, p. 134.

(٢) E.W. Heaton, op.cit., p. 134; W.R. Smith, The Prophet of Israel, London, 1882; M. Buber, The Prophetic Faith, 1960.

(٣) انظر عن مراحل كتابة التوراة ونسبة أسفارها إلى أصحابها: كتابنا «إسرائيل»، ص ٢٤-٤٥، (القاهرة ١٩٧٣).

بوضوح عن الإيمان بحياة أخرى، وأن كلا النصين إنما يرجع إلى فترة متأخرة جداً ـ ربما إلى القرنين الثالث والثانى قبل الميلاد ـ وليس لواحد منهما أى تأثير على العقيدة فى العهد القديم، وأما أول النصين، ففى جزء ملحق بسفر إشعياء، وقد جاء فيه «تحيا أمواتك، تقوم الجثث، استيقظوا، ترنموا يا سكان التراب، لأن طللك طل أعشاب، والأرض تسقط الأخيلة»، وأما الثانى فمن سفر دانيال، وقد جاء فيه، «وكثيرون من الراقدين فى تراب الأرض يستيقظون هؤلاء إلى الحياة الأبدية، وهؤلاء إلى العار، إلى الازدراء الأبدى»[1].

ونلاحظ أن هذه النصوص بدأت تفكر فى بعث الجسد فى هذه الأرض، بعد أن كان القوم يعتقدون أنه من غير الممكن للإنسان أن يتلقى البركات وحكم الربّ، إلا فى هذه الأرض فقط، وبجسده فقط، والعودة إلى الأرض هى البعث، ذلك لأن الروح تنزل عند الموت إلى عالم سفلى يدعى «شيول Sheol»، وكانت شيول هذه ـ أو العالم السفلى ـ تعنى نقيض ما تعنى به الضوء والحياة، وهى منطقة تكاد تقرب من العدم والنسيان، تنظر إلى البشر كوحوش، وتغلق عليهم أبوابها، دونما أى احتمال للهروب [2]، إن سكانها من الأموات مجرد ظلال[3]، ويتميزون بالضعف الشديد، وهم منقطعون عن تبعية الرب، «لأنه ليس فى الموت ذكرك، فى الهاوية من يحمدك»[4].

والرأى القائل بأن الإنسان عند الموت، إنما يشبه الماء المنسكب على الأرض، كان السبب فى أن التوراة تنصح قراءها فى سفر الجامعة بأن ينتهزوا

---

(1) Curt Kuhl , The Prophets of Israel, Oliver and Boyed, 1960; E. W. Heaton, op.cit., p. 36.

(٢) مزمور ١٠٧ : ١٨؛ أيوب ٧، ٩.

(٣) أشعياء ١٤ : ٩-١١، ٢٦ : ١٤، ١٩؛ أيوب ٢٦ : ٥؛ مزمور ٨٨ : ١٠؛ أمثال ٢ : ١٨.

(٤) سفر الجامعة ٩ : ١٠.

كل الفرص المتاحة ليمتعوا أنفسهم إلى أقصى حد، «كل ما تجده يدك لتفعله فافعله بقوتك، لأنه ليس من عمل ولا اختراع ولا معرفة ولا حكمة فى الهاوية التى أنت ذاهب إليها[1]»، وهذا يعنى أن سفر الجامعة إنما يقدم لنا الحياة على أنها سباق مع الزمن، وعلى العكس من ذلك، نرى الأنبياء - رغم أنهم يشاركون سفر التوراة هذا رأيه عن النهاية التامة بالموت، وعدم الاعتقاد فى الحياة الآخرة - فإنهم لم يهتموا بقصر الحياة كثيراً[2].

١٧ - كان أنبياء إسرائيل يفسرون التاريخ تفسيراً دينيًا فحسب، بل إن لمن الصعب تماماً أن نتجنب الإحساس بأن كتاب «أسفار العهد القديم التاريخية» - وكذا بعض القصص الشعبى فى البنتاتوك Pentateuch - قد وجدوا من السهل عليهم أن يثبتوا أن كل ما فعلته الأمم الأخرى، إنما كان مجرد إظهار أعمال ربّ إسرائيل القوى فحسب[3]؛ ذلك لأن عقيدة أنبياء إسرائيل كانت - بالدرجة الأولى - تؤكد أن ربّ إسرائيل، إنما يحكم التطور التاريخى لإسرائيل، ومن ثم فإن تأكيد إشعياء النبى بأن الربّ رفع «أشور» مثل صولجان غضبه ليعطى إسرائيل العقاب الذى تستحقه، وطبقًا لنص آخر، فإن ربّ إسرائيل قد استأجر عدو إسرائيل، كمن يستعير موسى ليحلق ذقن شعبه.

وفى الواقع أن أقوال أنبياء إسرائيل هذه ليست بدعا بين الشعوب، وربما نقولها عن غيرهم، فكثيراً ما حدثتنا النصوص المصرية القديمة عن

---

(١) موسكاتى، المرجع السابق، ص ٢٣٤؛ وكذا:

G.Anderson, The History and Religion of Israel , 1966; E. W. Heaton, op.cit., p. 137; R.B. Scott, op.cit., p. 132; P. R. Ackroyd, The People of the Old Testament , 1959.

(٢) قضاة : ٢٠-٢٢، ٣ : ٢-٤؛ تكوين ٤١ : ٣٨-٤٥؛ أخبار ثان ٢ : ١١، ٣٥ : ٢٠-٢١؛ عزرا ١ : ١-٤.

(٣) إشعياء ١٠ : ٥، ٧ : ٢؛ إرميا ٢٥ : ٩، ٢٧ : ٦، ٤٣ : ١٠.

حالات كهذه، كما أن لدينا نقشاً على حجر عثر عليه فى «ديبان»[١] أقامه «ميشع» ملك مؤاب حوالى عام ٨٥٠ق.م، ومكتوبة بلهجة مؤابية قريبة الشبه فى رسمها وقواعدها باللغة العبرية القديمة، وفيه يعلن الملك المؤابى أن «كيموش» إله مؤاب كان غاضباً على شعبه فسلط عليهم «عمرى» الذى احتل بلادهم[٢] وهكذا نرى الملك المؤابى يشير إلى أن «كيوش» إلهه كان غاضباً على بلاده فاستخدم عمرى (٨٧٦-٨٦٩ق.م) ملك إسرائيل، كصولجان غضبه، والأمر كذلك بالنسبة إلى «كيروش الثانى» ملك فارس حين احتل بابل عام ٥٣٩ق.م، وكيف وصف ذلك بأنه من أعمال الإله البابلى «مردوخ» الذى كان غاضباً على مدينته، بل إنه لمن الغريب أن نرى إشعياء النبىّ الإسرائيلى إنما يعتبر هذا الحادث بالذات، قد تم برضى من «يهوه» ربّ إسرائيل[٣].

وهكذا يبدو واضحاً كيف أن أنبياء إسرائيل - وكذا الأمم الأخرى -[٤]

(١) نقش ديبان: أقدم نقش تاريخى مكتوب على النمط السامى الشمالى القديم، من أكثر الآثار قيمة فى تاريخ فلسطين، كما أن أسلوبه يدل على أن مؤاب لم تكن بلداً بدائياً، وعلى أى حال، فالنقش على حجر يتكون من قطعة من صخور البازلت الأسود، عرضها قدمان وارتفاعها أربعة وسمكها نصف بوصة، وقد عثر عليها المبشر الألمانى «كلاين» عام ١٨٦٨م فى ديبان - ذيبان الحالية على مبعدة ثلاثة أميال شمال نهر أرنون - ولكنه فشل فى الحصول عليه، وكان الباحث الفرنسى «كليرمونت جانو» فى أورشليم، فعلم بالأمر وانطلق إلى ديبان وأخذ الحجر المؤابى ونقله إلى متحف اللوفر فى باريس. انظر:

J. Finagen, Light from the Ancient Past, Princeton, 1969, p. 188-189; W. Keller, op.cit., p. 230-234; S.A. Cook, op.cit., p. 372.

(٢) ملوك ثان ٣: ٣-٤٧، ٥، ٨؛ وكذا:

W. Keller, The Bible as History , p. 230-33; J. Finegan, op.cit., p. 1880.

(٣) إشعياء ٤٤: ٢٨، ٤٥: ١، ٤٦: ١١.

(٤) انظر - كمثال - حينما اخترقت قوات سنحريب (٧٠٥-٦٨١ق.م) بلاد اليهودية وفتحت حصونها واحداً إثر آخر، لم احتل ستاً وأربعون مدينة مسورة، مع عدد من المدن الصغرى، ولم يبق لحزقيال (٧١٥-٦٨٧ق.م) ملك يهوذا سوى أورشليم، وهنا ظهرت قوة مصرية فى الجنوب

=

إنما ينسبون هذه الحادثة أو تلك من الحوادث المعاصرة لهم إلى نشاط ربهم[1]، ومن ثم فإن أنبياء إسرائيل لم يأتوا بجديد فى هذا الأمر، وإن كان هذا الأمر نفسه، أصبح يمثل أحد النقاط الرئيسية فى عقيدة أنبياء إسرائيل، حيث نجد صداه فى كل سفر من أسفار توراتهم، وفى قصة إسرائيل ككل، والتى كتبت التوراة من أجل تقديمها للناس، كما رأى أخبار يهود، وليس كما حدث فى الواقع التاريخى، وإن كانت إصحاحات إشعياء الثانى لتبين هذه العقيدة أكثر من غيرها من أسفار التوراة، أو العهد القديم.

=

الغربى من فلسطين قرب «التقهة» أو التكة - ويرجح أنها خربة المقنع على مبعدة ستة أميال جنوب شرقى العقير - واتجه «سنحريب» لمهاجمة الجيش المصرى، إلا أن اضطرابات خطيرة حدثت فى نينوى دعته إلى العودة سريعًا إلى بلاده، وأنقذ أورشليم من السقوط، إلا أن اليهود سرعان ما عزوا ذلك - طبقًا لرواية التوراة - إلى يهوه ربِّ إسرائيل، كما عزاه المصريون - طبقًا لرواية هيرودوت - إلى إلههم «بتاح» (هيفايستوس) الذى أرسل إلى الغزاة جحافل من الفيران أكلت قسى الغزاة وجعابهم وحمائل دروعهم. (انظر: ملوك ثان ١٨ : ١٣-٣٧، ١٩؛ ١٣٥؛ أشعياء ٣٧: ٣٦؛ وكذا: هيرودوت يتحدث عن مصر، ص ٢٧٠-٢٧٢، القاهرة، ١٩٦٦؛ وكذا:

M.Noth, op.cit., p. 268-69; J. Laessoe, People of Ancient Assyria, p. 114; ANET, 1936, p. 288.

(١) E.W. Heaton, op.cit., p. 127; O Eissfeldt, Prophets Literature, Oxford, 1960.

٨ - الأنبياء والملكية الإسرائيلية

قامت الملكية الإسرائيلية - أول ما قامت - قبيل بداية الألف الأول قبل الميلاد، لإنقاذ إسرائيل من خطر الفرقة الذى كان يمزقها فى الداخل، هذا فضلا عن أن الكنعانيين من ناحية، والفلسطينيين من ناحية أخرى كانوا يضعون بنى إسرائيل بين شقى الرحى، كما كان المديانيون[١]، والمؤابيون[٢] والعمونيون[٣] والآراميون لا يكفون عن الغارة على بنى إسرائيل، وهكذا أدى

(١) المديانيون: شعب عربى ينتسب إلى مدين بن إبراهيم عليه السلام، من زوجه قطوره الكنعانية، وكانت علاقتهم ببنى إسرائيل طيبة على أيام موسى، ثم ساءت بعد أن استقر بنو إسرائيل فى فلسطين، حيث كان المديانيون يظهرون كل عام - لفترة ما - ينشرون الفزع والرعب - بين اليهود بجمالهم السريعة، هذا وقد تنسب إليهم إدخال الجمل المدجن إلى فلسطين وسورية فى القرن الحادى عشر قبل الميلاد، وكانت أراضيهم تمتد من خليج العقبة إلى مؤاب وطور سيناء، ونفهم من التوراة أن مواطنهم إنما كانت تقع إلى الشرق من العبرانيين وأنهم توغلوا فى المناطق الجنوبية من فلسطين واستقروا فيها، وفى القرون الأخيرة قبل الميلاد، كانوا يسكنون منطقة فى جنوب وادى عربة وإلى جنوب وجنوب شرق العقبة (انظر: كتابنا «دراسات فى التاريخ القرآنى»، وكتابنا «إسرائيل»، ص ٣٤٦-٣٤٧؛ وكذا:

M. Noth., op.cit, p. 161; A. Musil, Norther, Heges, p. 278-9; M. Unger, op.cit., p. 228; J. Hatings, op.cit., p. 616; EB, p. 3081.

(٢) المؤابيون: وينسبون إلى مؤاب بن لوط بن أخى إبراهيم عليه السلام، ويقع إقليمهم شمال وادى الحسا الذى يفصله عن أدوم، وقد امتدت مملكتهم من البحر الميت حتى الصحراء شرقًا واتسعت شمالا حتى وادى الموجب (أرنون)، بل فيما وراءه فى بعض الفترات وكانت دولتهم فى ذروة قوتها فى القرن الثالث عشر ق.م، إبان التيه الإسرائيلى وقبله، ولغتهم من اللهجات التى كتبت بها التوراة، والقرابة بين اللغتين المؤابية والإسرائيلية مؤكدة، وهى سامية قريبة من العبرية كذلك. (انظر: تكوين ١٩ : ٣٧، ٢١ : ١٣، ٢٢ : ٣-٢٤؛ ملوك ثان ١ : ١؛ تثنية ٢ : ١٠-١١؛ وكذا:

M. Noth, op.cit., p. 155-56; J. Finegan, op.cit., p. 154.

(٣) العمونيون: وينتسبون إلى «بنى عمى» بن لوط عليه السلام، وكانوا - كغيرهم من سكان المنطقة - على عداء مع الإسرائيليين، وقد سكنوا إلى الشمال الشرقى من مؤاب فى الإقليم الأعلى من «يبوق»، وكانت عاصمتهم ربه أو «ربة عمون» التى سميت فى العصر الإغريقى «فيلادلفيا» نسبة إلى «بطليموس فيلادلفيوس» (٢٨٤-٢٤٦ق.م) وهى فى موقع تشغله حاليًا عاصمة الأردن «عمان» حيث يوجد فى اسمها جزء من اسم العمونيين، وقد نجح العمونيون فى تكوين

=

التهديد الخارجى، والاضطراب الداخلى، إلى أن يضطر شيوخ إسرائيل إلى الاجتماع والمطالبة بتويج ملك على إسرائيل[١].

وكان صموئيل النبىّ هو الذى اتخذ الخطوة الأولى لقيام الملكية فى إسرائيل، وكان نبيًا كبقية الأنبياء الجوالين الذين عهدناهم من قبل والذين كان الواحد منهم يحمل لقب «الرائى» قبل أن يظهر لقب «النبى»، ولكنه كان يمتاز عمن تقدموه بشخصيته ومظهره[٢]، به بدأت فكرة النبوة فى بنى إسرآئيل فى التبلور بشكل واضح، كما تحددت صفات النبىّ فى مفهومهم، وهى صفات زعامة سياسية ودينية امتداداً للقضاة، وإن كانت لا تسعى إلى تسلم مقاليد الحكم رسميًا بل تبقى لتدبر هذا الحكم من وراء ستار، بينما الحاكم يجلس على عرشه ويبايعه رعاياه، بأمر هذا النبى[٣]، ومن ثم لم تكن عند صموئيل النية فى إقامة ملك مستقل حقيقة، بل كان كل ما يرجوه أن يكون الملك قائداً جريئًا وزعيمًا سياسيًا، وسنداً لكل الشعب، يخلصهم من الفلسطينيين، ثم بعد ذلك يخضع لصموئيل طوال حياته[٤].

=

دولة منذ فترة مبكرة نسبيًا، ومن ثم فقد كانوا يحكمون بملوك قبل أن تبرز فكرة الملكية عند بنى إسرائيل، وأما معبود العمونيين القومى فهو «ملكوم» كما أن ا لأسماء العمونية ـ كما جاءت فى التوراة ـ تدل على أن لغتهم كانت قريبة من العبرية (انظر: تكوين ١٩ : ٣٨، ٨٣: ١٧؛ تجميا ٤ : ٣؛ مكابيين أول ٦ : ٣٠-٤٣؛ وانظر كذلك:

M.F. Unger, Unger's Bible Dictionary, Chicago, 1970, p. 45; M.Noth, The History of Israel, London, 1965, p. 157: 158.

(١) انظر: عن قيام الملكية الإسرائيلية وأسبابها: كتابنا «إسرائيل»، ص ٣٩١-٣٩٥، (القاهرة ١٩٧٣).

(٢) نجيب ميخائيل، مصر والشرق الأدنى القديم، الجزء الثالث، الإسكندرية، ١٩٦٦، ص ٣٥٥ /

(٣) حسن ظاظا، الفكر الدينى الإسرائيلى، ص ٤٠

(٤) H.R Hall, The Ancient History of The Near East, p. 414.

وهكذا كان صموئيل النبيّ هو الوسيلة لقيام الملكية في إسرائيل، ورغم ذلك نراه يتردد كثيراً في إجابة شيوخ إسرائيل إلى ما يطلبون، بل «لقد ساء الأمر في عيني صموئيل» - على حد تعبير التوراة - والتي تحدثنا بعد ذلك أن الربّ قال له «اسمع لصوت الشعب في كل ما يقولون لك، لأنهم لم يرفضوك، بل إياي رفضوا، حتى لا أملك عليهم» وأنذرهم صموئيل بغضب الرب، إن هو رضي فملك عليهم ملكاً، إذ كان من المنتظر أن تظهر في كل ملوك إسرائيل كل مظاهر البذخ والإسراف التي كانت تقترن بها حياة الملوك المجاورين، كان من المنتظر أن يسخروا بنيهم لفلاحة أراضيهم، وأن يأخذوا من بناتهم وزوجاتهم «عطارات وطباخات وخبازات»، وكانت منتظراً أن تفرض الضرائب الثقيلة على الحقول والكروم، وحتى البهائم والأغنام[١].

ولكن كل احتجاجات صموئيل، إنما كانت عديمة الجدوى، تقول التوراة، فأبى الشعب أن يسمعوا لصوت صموئيل، وقالوا : لا، بل يكون علينا ملك، فتكون نحن أيضاً مثل سائر الشعوب، ويقضي لنا ملكنا ويخرج أمامنا ويحارب حروبنا، فسمع صموئيل كل كلام الشعب وتكلم به في أذني الربّ، فقال الرب لصموئيل: اسمع لصوتهم، وملك عليهم ملكاً، فقلل صموئيل لرجال إسرائيل: اذهبوا كل واحد إلى بيته»[٢].

وفي مكان ما من مجاورات «جبعة» مسح صموئيل النبيّ - باسم يهوه رب إسرائيل - شاؤل ملكاً على «ميراثه إسرائيل، وما أن يمضي حين من الدهر، حتى يستدعي صموئيل الشعب في «المصفا»[٣]، حيث يعلن اختيار

(١) صموئيل أول ٨: ٢-١٥.

(٢) صموئيل أول ٨: ١٩-٢٢.

(٣) المصفاة: ربما كانت تل النصبة، وتقع على مبعدة خمسة أميال من الشمال الشرقي لأورشليم (القدس) وقد أجريت فيها حفريات ووجدت آثار ترجع إلى الفترة ما بين عامي ٣٠٠٠، ٢٠٠٠ق.م (انظر: قاموس الكتاب المقدس، ٩٠٥/٢؛ كتابنا «إسرائيل»، ص ٥٣٣، (القاهرة ١٩٧٣).

الربُّ لشاؤل، ويوافق المجتمعون على هذا الاختيار، إلا ما كان من أمر «بنى بليعال» الذين احتقروا شاؤل، ولم يقدموا له الهدايا(١).

وهكذا كانت الملكية الإسرائيلية الأولى ملكية دينية صرفة، أقامها نبيٌّ من أنبياء إسرائيل باسم ربّ إسرائيل لواحد من متنبىء إسرائيل، إلا أن هذه الملكية سرعان ما انتهت بفشل ذريع، فقد فيها ملك إسرائيل ولديه، مع جانب كبير من جيشه، بعد معركة حامية الوطيس، دار رحاها على «جبل جلبوع»(٢) بين الإسرائيليين والفلسطينيين، مما أدى فى النهاية إلى انتحار شاؤل - أول ملوك إسرائيل - وإلى أن تجبر الأقلية الإسرائيلية التى كانت تسكن فى بيسان ومدن سهل يزرعيل الأخرى، على الهجرة منها وعلى أن يسقط وسط إسرائيل تحت السيادة الفلسطينية(٣)، وعلى أن يحتل الفلسطينيون كل المناطق الإسرائيلية، والتى شملت هذه المرة الجليل وبلاد شرق الأردن، ومن ثم فقد بدت مشكلة السيادة على فلسطين، كما لو كانت قد استقرت تماماً لصالح الفلسطينيين هذه المرة، وفى كل المرات(٤).

وهكذا - وفى نفس الوقت - فإن قيام الملكية الإسرائيلية، قد أحدث تغييراً جوهرياً فى تنظيم الشعب الإسرائيلى، نتج عنه إضعاف أثر النبوة فى حياة الأمة، فإن صموئيل النبىّ منذ أن نصب فى إسرائيل ملكاً، فإنه قد

---

(١) صموئيل أول ٩ : ١-٢٧.

(٢) جبل جلبوع، سلسلة جبال مرتفعة تكون قوساً شرقى وادى يزرعيل ومساقط المياه بين حوض نهر فيشون ووادى الأردن، طولها ثمانية أميال وعرضها من ثلاثة إلى خمسة أميال، تتسعها الأودية العميقة الضيقة إلى عدة هضاب أعلى نقطة فيها هى الواقعة عند «الشيخ برقان»، ويطلق على جبل جلبوع اليوم «جبل فقوع»، وعلى مقربة منه تقع قرية «جلبون» التى تشبه الاسم القديم (قاموس الكتاب المقدس، ٢٦٢/١).

(٣) قاموس الكتاب المقدس ٢٦٢/١؛ كتابنا «إسرائيل»، ص ٤٠٣-٤٠٥؛ وكذا:
H.R. Hall, op.cit., p. 259.

(٤) M. Noth, The History of Israel, London, 1965, p. 178.

أخرج قيادة الأمة من النبوة، ووضعها فى صولجان الملك، وهكذا حول الملك أسباط إسرائيل إلى أمة عسكرية مدنية، يرأسها قائد عسكرى مدنى، أى أنه انتقل بها من الأساس الدينى إلى الأساس العلمانى، وبهذا انتهى أمر إسرائيل كأمة «ثيوقراطية» (دينية الحكم) يزعم أهلها أنهم شعب مختار - الله ملكه والنبىُّ قائده - وأصبح دولة علمانية ككل الدول المجاورة، على رأسها ملك علمانى، ولها تطلعات سياسية، ومطامع أسرية فى الملك[1]، بل لقد وصلت المطامع الأسرية فى العرش إلى أن ملوك دويلة إسرائيل التسعة عشر، لقى منهم عشرة ملوك ميتة غير طبيعية، بينما لقى نفس المصير سبعة من ملوك دويلة يهوذا.

وعلى أى حال، فلقد مضت أيام النبيّين الكريمين، داود وسليمان عليهما السلام، على خير ما يرجو الإسرائيليون، ثم سرعان ما تنقسم الدولة عشية انتقال سليمان إلى جواريه - راضيًا مرضيًا عنه - فى عام ٩٢٢ق.م، إلى دويلتين (الواحدة إسرائيل، والثانية يهوذا)، ومن ثم يبدأ عصر جديد فى تاريخ اليهود، عصر لم يعرف الإسرائيليون فيه الأمن والسكينة اللتين طالما تمتعوا بهما على أيام سليمان (٩٦٠-٩٢٢ق.م)، فقد كان موقع فلسطين بين عواصم النيل والفرات ودجلة، والذى جاء إليهم على أيام سليمان بالتجارة، فهو نفسه الذى سيجىء إليهم بالحروب فى البقية الباقية لهم من أيام فى فلسطين، وكم من مرة ضيق على اليهود، فلم يجدوا لهم مخرجًا من ضيقهم إلا بالانضمام إلى أحد الفريقين فى الصراع القائم بين الإمبراطوريات الكبرى فى مصر والعراق، بأداء الجزية عن يد وهم صاغرون، وكم من مرة اجتاح المصطرعون بلادهم، وكان من وراء التوراة، ومن وراء أصحاب المزامير والأنبياء، وعويلهم وطلبهم الغوث من رب إسرائيل، كان من وراء هذا كله موقع اليهود الذى تتهدده الأخطار، بين شقى الرحى، فوقهم

---

(١) م.ص. سيجال، المرجع السابق، ص ٤٠.

دول الجزيرة، ومن تحتهم مصر[١].

وأما من الناحية الداخلية، فقد حدث صدع بين الدين الرسمى والآمال الدينية لأولئك الذين كانوا ينظرون إلى الدين على أنه أكثر من شكل جامد، وتطور التوتر إلى معارضة، وكان الأنبياء بعد انقسام المملكة لسان هذه المعارضة، فقيام الأنبياء كان مظهراً تلقائياً لما كان يشعر به الناس من سخط على الصورة التى فرضها الحكم الملكى على الدين، وقد لاحظ العلماء بثاقب نظرهم أن نبوة إسرائيل وقت ذلك، إنما كانت تعبيراً عن انبعاث روح الحرية الموروثة عن البداوة، تلك الروح التى رأت فى الملكية بدعة منكرة، ونظاماً منقولا عن العالم الخارجى المعادى لإسرائيل[٢].

ومع ذلك، فعلينا ألا نعطى معارضة الأنبياء للملكية الإسرائيلية أكثر مما تستحق من تقدير، فليس من شك فى أن بعض أنبياء إسرائيل قد سايروا تطور السياسة، وأن بعضهم كانوا أعضاء فى حاشية الملوك[٣]، على إنه حتى النبى العظيم (إيليا التشيبى)، الذى أثار الأزمة ضد عبادة بعل القائمة فى بيت الملك، حتى هو - بعد انتصاره فى جبل الكرمل - تقول عنه التوراة : «شد حقوية وركض أمام أخاب ملك إسرائيل، الراكب فى عربه وكأنما هو عبد بين سيده[٤]» وفى الواقع، فإنه بعد موت صموئيل، لم يعد هناك نبىّ قادر على منافسة الملك فى القيادة، بل وحتى المعارضة.

وأيًا ما كان الأمر، فإن الملكية الإسرائيلية، كانت منذ لحظة بدايتها نظامًا دينيًا، وأن التعديلات التى طرأت عليها إنما كانت نقلا عن

(١) ول ديورانت، قصة الحضارة، الجزء الثانى، ترجمة محمد بدران، القاهرة ١٩٦١، ص ٣٢١.

(٢) موسكاتى، المرجع السابق، ص ١٤٢، ١٤٥.

(٣) E. W. Heaton, The Hebrew, 1968; C. Sauer Brei, op.cit., p. 214-217; A. C. Waleh, Kings and Prophets, Israel, 1953.

(٤) ملوك أول ١٨ : ٤٦ م.ص. سيجال، المرجع السابق، ص ٤١.

الكنعانيين، هذا فضلا عن أن الملكية الوحيدة التى تدركها العقيدة الإسرائيلية، إنما كانت تقوم على أساس أنها تنتمى إلى الرب وحده، وتستبعد التصور الشرقى الذى يذهب إلى أن الملك يشبه الربَّ، ومع ذلك فقد كان ينظر إلى الملك الإسرائيلى على أنه «فوق البشر» وأنه (ابن الله بالتبنى)[١] وأنه وحده الذى اختاره لمركزه العالى هذا[٢]، وأن هذا الاختيار الإلهى قد وضع فى صورة شعائر متقنة، منها المسح والمبايعة والتتويج [٣]، وإن كان «المسح الكهنوتى» هو أهم هذه الشعائر جميعًا، فمن خلاله يصبح وارث العرش ملكًا بالفعل، ثم يميز ويقدس وينعم عليه بروح الربّ [٤]، وبمعنى أسمى من ذلك، فإن الملك هو «خادم الربّ»[٥].

وكان الإسرائيليون يعتقدون أنه من خلال الملك تنساب بركات الربّ إلى الرعية، كما أن سعادة كل الشعب وسلامته، إنما يعتمدان على قوة الملك وكماله[٦]، هذا إلى جانب أن الملك المسوح، إنما هو ـ بعد الربّ ـ حجر الزاوية للوجود المتحضر، وهو الكفيل ـ لما يفهمه العبرانيون ـ على أنه الحياة الكاملة، وتعبر عنه التوراة بأنه نفس أنوف الشعب، «نفس أنوفنا مسيح الرب، الذى قلنا عنه فى ظله نعيش بين الأمم»[٧].

ويبدو أن هذا الاعتقاد كان راسخ الجذور فى نفوس القوم، كما يبدو واضحًا فى المزمور (٧٢)[٨]، وهو أحد المزامير الملكية والتى ربما كتبت

(١) مزمور ٢: ٧، ٣٥: ٦، ١١٠: ١؛ إرميا ٢٢: ١٨، ٣٤: ٥؛ صموئيل ثان ٧: ١٤، ١٤: ١٧.

(٢) مزمور ٨٩: ١٩؛ صموئيل ثان ٧: ٨.

(٣) ملوك أول ١: ٣٢-٥٣؛ ملوك ثان ١١: ٩-١٢.

(٤) صموئيل أول ١٠: ١-٦، ٢٦: ٩؛ صموئيل ثان ١: ١٤-١٦.

(٥) ملوك أول ٣: ٧-٩؛ مزمور ٨٩: ٣-١٠.

(٦) مزمور ٣٢: ١١-١٨، ٢٠: ٦-٩.

(٧) مراثى رمياء ٤: ٢٠.

(٨) مزمور ٧٢: ١-١١، ١٥-١٧.

بمناسبة إحدى حفلات التتويج ـ وأهلها حفلات تتويج سليمان ـ وفيه يظهر الملك فى وسط دينى، فيه النبوة قوية، وهو فى نفس الوقت دنيوى فى فكرته عن البركات، هذا وقد كانت التطلعات ـ قبل زوال مملكة يهوذا فى عام ٥٨٧ق.م ـ لا تتجه إلى المستقبل، بل إلى التسلسل الملكى من داود عليه السلام(١).

وانطلاقًا من هذا كله، لعل فى إمكاننا القول أن الملكية الإسرائيلية لا تختلف كثيراً عن ملكيات الشرق الأدنى القديم من ناحية قدسية ملوكها، ولعلها أقرب إلى ملكية العراق القديم، منها إلى ملكية الفراعين فى وادى النيل، حيث كان الملك فى بلاد الرافدين ممثلا للإله، وليس إلهًا، كان ابنًا للإله بالتبنى، ولكنه لم يكن ابنًا حقيقيًا، كان لبعضهم صفات الآلهة نفسها، ولكنهم لم يصيروا آلهة حقيقيين، كما كان الفراعين فى مصر يزعمون.

ومع ذلك فقد سار أنبياء إسرائيل فى ركاب ملكيتها، حتى أن «إشعياء» النبىّ أينما كان يطلق عليه فى أغلب الأحايين، (نبى القصر) ـ فضلا عن الأنبياء الأربعمائة الذين كانوا يأكلون على مائدة أخاب ـ ومن هنا فإن هؤلاء الأنبياء لم يكونوا ـ فى أغلب الأحايين ـ بأفضل من رجال الحاشية الذين كانوا لا همّ لهم إلا تمجيد الجالس على العرش فى بابل أو نينوى، أو الفرعون فى منف أو طيبة، ورغم أن التوراة تقدم لنا معارضين للملك الإسرائيلى أخاب فى شخص النبى «ميخا» فإنهنا فى نفس الوقت تقدم لنا صورة مخالفة فى شخص النبىّ «صدقيا»، ومعه جميع أنبياء إسرائيل الأربعمائة(٢) وإذن فنسبة الأنبياء ذوى الرأى الحر، إلى هؤلاء الذين يبيعون

(١) E.W. Heaton , The Old Teastament Prophet 1969, p. 130-132; A. R. Johnason Sacral Kingship in Ancient Israel Cardiff, 1955; A.C. Welch Kings and Prophets of Israel , London, 1953.

(٢) ملوك أول ٢٢ : ١-٣٨؛ أخبار أيام ثان ١٨ : ١-٣٤.

نبوءاتهم للملوك، إنما كانت ١ : ٤٠٠، وهى نسبة لا تشرف النبوة الإسرائيلية بحال من الأحوال.

ويبدو أن أنبياء إسرائيل ـ إلا قلة نادرة ممن عصم الله، وهم أنبياء الله الحقيقيون ـ كانوا لا يتصدرون لمعارضة الأمراء أوالملوك، حين يخالفوا الشريعة أو المأثور عن السلف، وربما كان السبب أن بعضًا من هولاء الملوك أو الأمراء، إنما كانوا يعمدون إلى التنكيل بهذا النبى أو ذاك، رغبة منهم فى إثبات كذبه، وأنه لم يأت من عند الله إذ كان موت النبىّ ـ فيما يزعم القوم ـ إحدى العلامات على بطلان دعواه [1].

ولما كان أكثر أنبياء إسرائيل ـ والمحترفون منهم بخاصة ـ من هؤلاء الأنبياء الكذبة، فقد كانت معارضة الملوك والأمراء أبعد الأشياء عن تفكيرهم، وربما كان السبب أن النبوة الإسرائيلية كانت فى تلك الأيام وسيلة منظمة لكسب العيش ـ كأية حرفة أو صناعة أخرى ـ فإن الأنبياء ما كانوا بقادرين على معارضة الملوك والأمراء، وإلا حرموا من جنى ثمار نبوتهم، وهذا ما لا يقبلونه، أو على الأقل لم يهيئوا أنفسهم لقبوله.

(١) عباس محمود العقاد، حياة المسيح، القاهرة ١٩٥٧، ص ٤٠.

٩ ـ هل النبوة مقصورة على بنى إسرائيل؟

تزخر التوراة بالكثير من النصوص التى تذهب إلى تمييز بنى إسرائيل على من عداهم من خلق الله، فهم ـ فى نظر التوراة ـ شعب مقدس اختاره الله ليكون شعبه المختار، دون بية شعوب الأرض قاطبة [١]، ومن ثم فقد خاطبهم فى سفر الخروج «واتخذكم لى شعبًا وأكون لكم إلهًا»[٢]، وفى سفر عاموس «إياكم فقط قد عرفت من بين شعوب الأرض»[٣]، وهكذا ترى توراة اليهود ـ وليست توراة موسى عليه السلام ـ أن الله قريب من الإسرائيليين بعيد عن الآخرين[٤]، وأنه قد وضع لهم شرائع عادلة [٥]، ومنحهم وحدهم شرف معرفته[٦].

وانطلاقًا من كل هذا، فقد نظر الإسرائيليون إلى أنفسهم، على أنهم الشعب الذى اصطفاه الله، وفضله على العالمين، وأن من عداهم من الشعوب إنما هم أقل منهم مكانة فى سلم الإنسانية، وطبقًا لهذا الزعم الكذوب فلقد امتلأت بالنصوص التى تنضح بالحقد، وباستعلاء اليهود على غيرهم، وبالطمع فى كل ما يملك الناس.

وعلى أى حال، فإن الشريعة الإسرائيلية لم تقل بخاتمة للنبوة، بل تركت الباب مفتوحًا على مصراعيه، بعد أن اكتفت باحتكار موسى وشريعته، واعتبارها ملكًا خاصًا لبنى إسرائيل، غير أن مفكرى اليهود سرعان ما جعلوا النبوة كلها محصورة فيهم[٧]، ومن هنا رأينا اليهود ـ والفريسيين[٨] منهم بالذات ـ يرون أن النبوة وقفًا عليهم دون غيرهم من العالمين.

---

(١) عدد ١٤ : ٢؛ خروج ١٩ : ٦؛ تثنية ١٠ : ١٥. (٢) خروج ٦ : ٧. (٣) عاموس ٣ : ٢.

(٤) تثنية ٤ : ٤، ٧. (٥) تثنية ٤ : ٨. (٦) تثنية ٤ : ٣٢.

(٧) حسن ظاظا، المؤامرة اليهودية حول النبىّ ﷺ، مجلة الهلال، العدد ١٠، أكتوبر ١٩٧٢، ص١٥١.

(٨) الفريسيون: انقسم اليهود فى مراحل تاريخهم إلى فرق دينية تدعى كل منها أنها أمثل طريقة وأشد تمسكًا بأصول الدين اليهودى وروحه، وقد انقرضت معظم فرقهم، ولم يبق منها سوى فرق: الفريسيين والصدوقيين والسامريين والحسديين والقرائيين.

والفريسيون (أو الفريزيون) واسمهم العبرى «فروشيم»، يعنى (المفروزين) أى الذين امتازوا عن الجمهور وعزلوا عنه وأصبحوا لعلمهم بالشريعة اليهودية من الصفوة المختارة وكانوا يسمون أنفسهم «حبيريم» أى

=

ولكننا نرى أن هبة النبوة لم تكن من نصيب أمة دون أخرى، ولم يحتكرها قوم دون آخرين، وإنما كانت مشتركة بين الأمم جميعًا، لأسباب كثيرة، منها ما جاء في التوراة، ومنها ما جاء في القرآن الكريم.

(أ) **أدلة التوراة** : تقدم لنا التوراة نفسها كثيرًا من الأدلة على أن النبوة لم تكن مقصورة على بنى إسرائيل منها (أولا) ما جاء في سفر التكوين[1] من أن «ملكى صادق» ملك شاليم «أورشليم» كان كاهنًا لله العلى، وأنه قد بارك إبراهيم الخليل ـ طبقًا لقانون البركة فى التوراة[2] ـ وأن الخليل، عليه السلام، قد أعطى ملكى صادق عشر غنيمته التى غنمها ـ بعد هزيمته للملوك الذين أغاروا على ابن أخيه لوط عند «حوبه» شمال دمشق[3]، مما يدل بوضوح على أن الله قد اختار له أنبياء من أمم أخرى، قبل أن يختار من بنى إسرائيل.

ومنها (ثانيًا) ما جاء فى سفر ملاخى: «من فيكم يغلق الباب (أى باب المعبد)، بل لا توقدون على مذبحى مجانًا، ليست لى مسرة بكم قال

=

الرفاق والزملاء ولعلهم أصل استعمال العرب لكلمة «الأحبار» أى علماء اليهود ومفردها فى العربية «حبر» ـ بفتح الحاء ـ ، وإن كان هناك من يرى أن الكلمة أصلها آرامى ومعناها المنعزل، وقد ذكرهم يوسف بن متى المؤرخ اليهودى حيث كونوا حزبًا أيام (يحيى حرقان) ـ الكاهن الأعظم وأمير اليهود من ١٣٤ إلى ١٠٤ق.م)، وكان من تلامذتهم فتركهم والتحق بالصدوقيين وسعى ولده «إسكندر جنايوس» إلى إبرادتهم، غير أن زوجته «إلكسندرة» التى خلفته على العرش عام ٧٨ق.م، قد رعتهم فقوى نفوذهم على حياة اليهود الدينية، وبمرور الزمن أصبحت لهم الكلمة العليا فى توجيه المجتمع اليهودى على أيام المسيح عليه السلام، كما كانوا من أشد خصومه خطرًا، لزعامتهم بين الناس، ولصلتهم بالولاة الرومان التى اكتسبوها من تعاونهم مع الظلم والطغيان والاستعمار، ولمعرفتهم بالكتاب المقدس حتى سماهم الإنجيل فقهاء الشريعة.

وكانوا ينزلون أحاديث شيوخهم وتقاليد الأئمة منهم منزلة تفوق منزلة التوراة فى بعض الأحيان، وزعمون أن لهم الجنة دون غيرهم، وقد وصفهم السيد المسيح، بالرياء، وأنهم أبعد عن الجنة من العشارين والزناة، ودعاهم سيدنا يحيى «يوحنا المعمدان» هم والصدوقيين بـ «أولاد الأفاعى» (انظر: حسن ظاظا، الفكر الدينى الإسرائيلى، القاهرة، ١٩٧١؛ حبيب سعيد، أديان العالم القديم؛ مراد كامل، الكتب التاريخية فى العهد القديم؛ قاموس الكتاب المقدس، ٦٧٤/٢-٦٧٥؛ سبينوزا، المرجع السابق، ص ١٨٣؛ وكذا:

M. Unger, Unger's Bible Dictionary, Chicago, 1970; J.L. Agrange le Judaism avant Jesus Christ, Paris, 1931; The Jewish Encyclopedia, N.Y.,1903; I. Epstein Judaism, 1970.

(١) تكوين ١٤: ١٨-٢٠. (٢) عدد ٦: ٢٣. (٣) تكوين ١٤: ٨-٢٠.

ربُّ الجنود، ولا أقبل تقدمة من يدكم، لأنه من مشرق الشمس إلى مغربها اسمى عظيم بين الأمم فى كل مكان يقرب لاسمى بخور، وتقدمة طاهرة، لأن اسمى عظيم بين الأمم»[١]، مما يدل على أن اليهود لم يكونوا فى هذا الوقت أحباء الله أكثر من باق الأمم، بل إن الله إنما يكشف عن نفسه بالمعجزات لباقى الشعوب، أكثر مما يفعل لليهود[٢]، كما تدل هذه الكلمات على أن لباقى الأمم شعائر يتقربون بها إلى الله، وأن ذلك إنما كان عن طريق الأنبياء.

ومنها (ثالثًا) ما جاء فى سفر أيوب من أن الله قد فرض للجميع قانونًا يقضى بتعظيم الله وبالكف عن الأعمال السيئة (وقال للإنسان هو ذا مخافة الرب هى الحكمة، واجتناب الشر هو الفطنة»[٣]، ومن ثم أصبح أيوب ـ وهو عربى، وليس يهوديًا[٤] ـ فى عصره أحب الجميع إلى الله، لأنه فاقهم جميعًا فى الورع والتقوى.

ومنها (رابعًا) ما جاء فى سفر يونان[٥]، من أن الرب يرعى الجميع

(١) ملاخى ١ : ١٠-١١؛ أيوب ـ يونان، ص ١١٨.

(٢) بارخ سبينوزا، المرجع السابق، ص ١٧١-١٧٥. (٣) أيوب ٢٨ : ٢٨.

(٤) يرى ابن عزرا وسبينوزا وغيرهما أن سفر أيوب ترجم إلى العبرية من لغة أخرى، ومن ثم فقد اتجه البعض إلى اعتباره عربيًا ـ وليس يهوديًا ـ وأن سفره ترجمة لأصل عربى مفقود، وأن كل الدلائل فى السفر تشير إلى عروبة أيوب، فقد كان من أرض (عوص) وهى ـ وإن اختلف العلماء فى مكانها ـ فهى فى بلاد العرب فى نجد أو فى عمان أو فى الشام فى حوران أو فى اللجاة أو على حدود أدوم، أو فى العربية الغربية فى شمال غربى المدينة المنورة أو فى شرقى فلسطين أو جنوبها الشرقى، أى فى بلاد العرب أو فى بادية الشام، على أن هناك رأيًا ثانيًا يراه يهوديًا، بينما يذهب فريق ثالث إلى أنه مصرى، بدليل الأثر الثقافى الذى يطل علينا من سفر أيوب فهو صورة صادقة لقصة «اليائس من الحياة المصرى القديم»، فضلا عن ذكره للأهرام ومقابر الملوك، وأخيرًا ذكره للثواب والعقاب والحياة بعد الموت وعدم ضياع الناس فى متاهات شيول، الأمر الذى سبق المصريون اليهود فيه بقرون وقرون، بل إنهم لم يعرفوه إلا فى فترة متأخرة من تاريخهم (انظر: سبينوزا، المرجع السابق، ص ٣١٥-٣١٦؛ محمد بيومى مهران، الثورة الاجتماعية الأولى فى مصرالفراعنة، ص ١٠-١٢؛ فؤاد حسنين، التوراة الهيروغليفية، ص ١٤٥؛ وكذا:
J.A. Montgomery, op.cit., p. 172; D.S. Margoliouth , op.cit., p. 3; F. Fostor, AJSL, 1932, p. 31.

(٥) يبدو من قصة «يونان» ـ كما جاءت فى التوراة (سفر يونان، حبيب سعيد، المرجع السابق، ص ١٥٨-١٧١) والقرآن الكريم (سورة الصافات، آية : ١٣٩-١٤٨) ـ أن الرجلين واحد، ومن ثم فإننى أستطيع أن أقول ـ بحذر ـ أن يونان التوراة إنما هو يونس القرآن الكريم (انظر عن القصة القرآنية : سورة

ويرحمهم ويسامحهم، وأن رحمته تسعهم جميعاً، وأنه غفار الذنوب لمن يشاء[1] دون أن يكون ذلك مقصوراً على اليهود دون غيرهم، بل إنه ليصف اليهود فى نفس السفر «اسمعوا هذا يا رؤساء بيت يعقوب؛ وقضاة بيت إسرائيل الذين يكرهون الحق ويعوجون كل مستقيم، الذين يبنون صهيون بالدماء وأورشليم بالظلم، رؤوساؤها يقضون بالرشوة، وكهنتها يعملون بالأجر، وأنبياؤها يعرفون بالفضة، وهم يتوكلون على الربّ، قائلين: أليس الربّ فى وسطنا، لا يأتى علينا شر، لذلك بسببك تفلح صهيون كحقل، وتصير أورشليم خراباً، وجبل البيت شوامخ وعر»[2].

وهكذا فما دام الله يرعى الجميع، «وقريب من جميع دعاته الذين يدعونه بالحق»، وما دام الله لم يختر العبرانيين دون سواهم من خلقه، فإن اليهود لا يتميزون عن غيرهم بأية هبة من الله، ومن ثم فلا فرق بين اليهودى وغير اليهودى، ولما كان الله لطيفاً رحيماً حقاً بالجميع، ولما كانت مهمة الأنبياء الأساسية الدعوة إلى عبادة الله الواحد القهار، ثم تعليم الفضيلة الحقة، فلا شك أن جميع الأمم كانت لها أنبياء، وأن هذه النبوة لم تكن مقصورة على اليهود، وهذا ما شهد به التاريخ الدينى والدنيوى على السواء، وإذا لم تكن الروايات فى العهد القديم - فيما يرى باروخ سبينوزا ١٦٣٢-١٦٧٧م - تدل على إرسال الأنبياء إلى سائر الأمم، كما أرسلوا إلى العبرانيين، أو على أن الله لم يرسل إليها صراحة أى نبى غير يهودى، هذا لا يهم فى شىء لأن العبرانيين لم يهتموا إلا برواية شئونهم الخاصة، لا برواية شئون غيرهم من الأمم[3].

الصافات، آية: ١٣٩-١٤٨؛ وكذا: تفسير القرطبى ١٢١/١٥-١٢٥، (دار الكاتب العربى، القاهرة ١٩٦٧)؛ تفسير البيضاوى ٢٩٩/٢-٣٠٠؛ تفسير الفخر الرازى ١٦٣/٢٦-١٦٤؛ تفسير الطبرى ٩٨/٢٣-٩٩، (طبعة الحلبى، ١٩٥٤)؛ تفسير روح المعانى ١٤٢/٢٣-١٤٣، (دار إحياء التراث العربى، بيروت)؛ تفسير الطبرسى ٨٣/٢٣-٨٦؛ تفسير ابن كثير ٣٣/٧-٣٤ (دار الشعب)؛ تفسير وجدى، ص ٥٩٥؛ قصص الأنبياء لابن كثير، ٣٨٦/١-٣٩٨).

(١) يونان ٤: ٢.　　(٢) يونان ٣: ٩-١١.

(٣) باروخ سبينوزا، المرجع السابق، ص ١٧٩-١٨٠.

ومنها (خامسًا) أن الله - كما تشير توراة اليهود - قد اختار له أنبياء من غير اليهود، فهناك نوح[١] وأخنوخ[٢] وأبيمالك[٣] وبلعام[٤]، هذا فضلا عن أن الله سبحانه وتعالى قد أرسل أنبياء عبرانيين إلى أمم غير عبرانية[٥] فقد تنبأ «حزقيال» إلى جميع الأمم فى عصره، ولم يكن «عوبديا» نبيًا إلا للآدوميين، وأرسل يونان إلى أهل نينوى، ولم يقتصر أشعياء على ندب مصائب اليهود أو الفرح لعودتهم واستقرارهم، بل تحدث كذلك إلى الأمم الأخرى[٦].

ومنها (سادسًا) أن إشعياء النبى، إنما قد خصص الإصحاح التاسع عشر من سفره لمصر وحدها، وفيه قد تنبأ بأن الله سوف يرسل للمصريين مخلصًا يخلصهم، وأنهم سوف يعرفون الربُّ ويعظمونه آخر الأمر بالقرابين والأضاحى، وفى نهاية السفر يقول الربُّ «باركه ربُّ الجنود، قائلا: مبارك شعبى مصر»[٧].

ومنها (سابعًا) أن إرميا النبى لم يدع نبى الأمة العبرية، وإنما دعى نبى الأمم، تقول التوراة: «قبل أن أصورك فى البطن عرفتك، وقبل أن تخرج من

---

(١) تكوين ٦ : ١-٩ : ٢٨؛ وانظر: دراستنا حول «قصة الطوفان بين الآثار والكتب المقدسة»، مجلة كلية اللغة العربية والعلوم الاجتماعية، العدد الخامس، ١٩٧٥، ص ٣٨٣-٤٥٧.

(٢) تكوين ٥ : ٢١-٢٤؛ سبينوزا، المرجع السابق، ص ١٨٠.

(٣) نفس المرجع السابق، ص ١٨٠.

(٤) بلعام، متنبئ كان يعيش على ضفاف الفرات من أصل آرامى، وعرف يهوه إله إسرائيل ويسميه «إلهى»، ويبدو معاديًا للإسرائيليين، ولكن تنبوءاته لهم فى صفهم، نظرًا لا وقع له من إلهام نبوى، وقد كلمه «بالاق» ملك مؤاب، أن يذهب مع وفد من المؤابيين والمديانيين إلى إسرائيل التى كان يخشى تقدمها، ولكن بلعام سأل الله ليلا ومنعه الله من الرحيل، وقد قدم بلعام قرابين وأقام مذابح سبعة ثم استشار يهوه فكانت نبوءاته (عدد ٢٢ : ١-٢٥، ٢٣ : ٧-٢٤؛ سبينوزا، المرجع السابق، ص ١٣٠).

(٥) سبينوزا، المرجع السابق، ص ١٨٠

(٦) حزقيال، ١٦ : ٩، ١٩ : ١٩-٢٥

(٧) إشعياء ١٩ : ١-٢٥

الرحم قدستك، وجعلتك نبيًا للأمم»[1]، ثم هو كذلك فى نبوءاته إنما يندب مصائر الأمم كلها، كما يتنبأ بخلاصها[2].

ومنها (ثامنًا) أن التوراة تحدثنا كيف كان (يثرون) ـ وهو شعيب نبى مدين على الأرجح ـ يقرب القرابين إلى الله، ويتبعه موسى وهارون وشيوخ بنى إسرائيل، وأنه قد أسدى إليه النصح باختيار رؤساء للشعب، لينظروا فى القضايا الثانوية، ويبقى هو المرجع الأعلى، فاتبع نصيحة شعيب[3] ومعنى هذا أن شعيبًا ـ كما يقول الأستاذ العقاد[4] ـ تقدم موسى فى عقيدته الإلهية، وعلمه تبليغ الشريعة، وتنظيم القضاء فى قومه، وأن العبريين كانوا متعلمين من النبىّ العربى، ولم يكونوا معلمين.

وإذن، فليس ثمة ريب فى أن الأمم الأخرى كان لها أنبياؤها ـ كما كان لليهود أنبياؤهم ـ وأن التاريخ الدينى ملىء بالنبوات والهبات الدينية الأخرى، وأن هبة النبوة لم تكن وقفًا على اليهود وحدهم، وإنما كانت مشتركة بين الأمم جميعًا.

٢ ـ **أدلة القرآن الكريم**: ومنها (أولا) أنه ما من بقعة عمرت على ظهر الأرض، إلا جاء أهلها رسول من عند الله العلىّ القدير، يقول سبحانه وتعالى: ﴿وإن من أمة إلا خلا فيها نذير﴾[5] ويقول ﴿ولقد بعثنا فى كل أمة رسولا﴾[6] ويقول ﴿ثم أرسلنا رسلنا تترى، كلما جاء أمةً رسولُها كذّبوه فأتبعنا بعضهم بعضًا﴾[7] ويقول ﴿وكم أرسلنا من نبىٍّ

---

(١) إرمياء ١ : ٥. (٢) إرمياء ٤٨ : ٣١. (٣) خروج ١٨ : ١٢–٢٧.

(٤) عباس محمود العقاد، الثقافة العربية أسبق من ثقافة اليونان والعبريين، القاهرة ١٩٦٠، ص ٨٠؛ كتابنا «إسرائيل»، ص ٣١٣، (القاهرة ١٩٧٣)

(٥) سورة فاطر، آية : ٢٤؛ وانظر: تفسير روح المعانى ١٨٨/٢٢؛ تفسير الفخر الرازى ١٨/٢٦؛ تفسير البيضاوى ٢٧١/٢؛ تفسير الجلالين ٢٧١/٢ (نسخة على هامش البيضاوى)؛ تفسير وجدى، ص ٥٧٤–٥٧٥؛ تفسير مجمع البيان ٢٣٥/٢٢–٢٣٨؛ تفسير الطبرى ١٣٠/٢٢.

(٦) سورة النحل، آية : ٣٦؛ وانظر: تفسير ابن كثير ٤٨٨/٤–٤٨٩، (دار الشعب، ١٩٧١)؛ تفسير وجدى، ص ٣٥٠؛ تفسير روح المعانى ١٣٧/١٤–١٣٩؛ تفسير أبى السعود ٣٦٠/٣–٣٦١؛ تفسير الطبرى ١٠٣/١٤؛ تفسير القرطبى، ص ٣٧١٩ (دار الشعب ١٩٧٠) تفسير الفخر الرازى ٢٦/٢٠–٢٧؛ تفسير مجمع البيان ٧٠/١٤–٧٣؛ تفسير القاسمى ٣٨٠٠/١٠– ٣٨٠٩.

(٧) سورة المؤمنون، آية : ٤٤؛ تفسير الطبرى ٢٣/١٨–٢٤؛ تفسير روح المعانى ٣٤/١٨–٣٥؛ تفسير الفخر الرازى ٩٩/٢٣–١٠٠؛ مجمع البيان ١٥٢/١٨–١٥٦؛ تفسير الجلالين، ص ٣٠٥، (دار الشعب)؛ تفسير القرطبى ص ٤٥١٥–٤٥١٧؛ تفسير وجدى، ص ٤٤٩–٤٥٠

فى الأولين﴾[١]، ويقول ﴿ولكل أمة رسول، فإذا جاء رسولهم قضى بينهم بالقسط وهم لا يظلمون﴾[٢].

وأن هؤلاء المرسلين _ صلوات الله عليهم أجمعين _ من ورد ذكره وذكر أمته فى القرآن المجيد، ومنهم من لم يرد فيه خبره ولا خبر قومه، يقول سبحانه وتعالى ﴿ورسلا قد قصصناهم عليك ورسلا لم نقصصهم عليك﴾[٣]، كالذين أرسلوا إلى الأمم المجهولة عند قومك (أى يا محمد) وعند أهل الكتاب المجاورين لبلادك[٤]، كأمم الشرق (الصين واليابان والهند) وبلاد أوربا والأمريكتين وغيرها، ولم يقص الله فى القرآن الكريم خبر الرسل الذين أرسلهم إلى أولئك الأقوام، لأن حكمة ذكر الرسل وفوائد بيان قصصهم، للمصطفى _ صلوات الله وسلامه عليه _ لا تتحقق بقصص أولئك المجهول حالهم وحال أممهم عند قومه، وجيران بلاده من أهل الكتاب[٥]، والفوائد هى المشار إليها فى مثل قوله تعالى ﴿لقد كان فى قصصهم عبرة لأولى الألباب﴾[٦].

ومنها (ثانيًا) أن من بين المصطفين الأخيار من هو بالتأكيد ليس من

---

(١) سورة الزخرف، آية : ٦؛ وانظر: تفسير الطبرى ٥١/٢٥؛ تفسير القرطبى ٦٣/١٦-٦٤؛ تفسير البيضاوى ٣٦٣/٢؛ تفسير روح المعانى ٦٥/٢٥-٦٦؛ تفسير ابن كثير ٢٠٥/٨؛ تفسير الطبرسى ٧١/٢٥-٧٣؛ تفسير الفخر الرازى ١٩٢/٢٧-١٩٣؛ تفسير الكشاف ٤٧٨/٣؛ تفسير القاسمى ٥٢٥٩/١٤؛ تفسير وجدى، ص ٦٤٧.

(٢) سورة يونس، آية : ٤٧؛ وانظر: تفسير القرطبى، ص ٣١٨٨؛ تفسير ابن كثير ٢٠٨/٤-٢٠٩.

(٣) سورة النساء، آية: ١٦٤؛ وانظر: تفسير أبى السعود ٨١٦/١-٨١٧؛ تفسير الطبرى ٤٠٢-٤٠٧، (دار المعارف)؛ تفسير روح المعانى ١٧/٦-١٨؛ تفسير الكشاف ٤٨٢/١؛ تفسير الفخر الرازى ١٠٧/١٠-١٠٨؛ تفسير الطبرسى ٢٩٣/٥-٢٧٥؛ تفسير المنار ٥٥/٦-٦٣؛ تفسير القرطبى، ص ٢٠١٣-٢٠١٤.

(٤) محمود الشرقاوى، المرجع السابق، ص ٢٢.

(٥) محمد رشيد رضا، تفسير المنار ٧/٦، (الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٧٤).

(٦) سورة يوسف، آية : ١١١؛ وانظر: تفسير القرطبى، ص ٣٥٠٦؛ تفسير ابن كثير ٤٤٩/٤؛ تفسير وجدى، ص٣١٩-٣٢٠؛ تفسير الطبرى ٣١٢/١٦-٢١٥ (دار المعارف)؛ تفسير أبى السعود ١٩٣/٣-١٩٤؛ تفسير روح المعانى ٧٣/١٣-٧٥؛ الدر المنثور فى التفسير بالمأثور ٤١/٤-٤٢؛ تفسير الكشاف ٣٤٧/٢-٣٤٨؛ تفسير القاسمى ٣٦١٧/٩-٧٦٣٦؛ تفسير الفخر الرازى ٢٢٧/١٨-٢٢٩؛ رشيد رضا، تفسير سورة يوسف، ص ١٥٤-١٥٧، (القاهرة ١٩٣٦)؛ مؤتمر تفسير سورة يوسف، ١٣٨٣/٢-١٤٠٥، (بيروت ١٩٧٠)

بنى إسرائيل، ومن هؤلاء الكرام البررة - على سبيل المثال - إدريس عليه السلام ﴿واذكر فى الكتاب إدريس إنه كان صديقًا نبيًا ورفعناه مكانًا عليًا﴾[١]، ﴿ونوح﴾ عليه السلام[٢]، ولوط عليه السلام[٣]، ومنهم من هو من العرب، كإسماعيل عليه السلام، ﴿واذكر فى الكتاب إسماعيل إنه كان صادق الوعد وكان رسولا نبيا﴾[٤]، ومنهم هود[٥] وصالح[٦] وشعيب[٧] - عليهم السلام - .

وأخيراً رسول الله وخاتم النبيين، وسيد الخلق أجمعين، مولانا وسيدنا وجدنا محمد ﷺ الذى أرسل إلى الناس كافة بشيراً ونذيراً[٨] ﴿قل يا أيها

(١) سورة مريم، آية : ٥٦؛ وانظر : تفسير روح المعانى ١٦/١٠٥؛ تفسير الفخر الرازى ٢١/٢٣٣؛ تفسير الطبرى ١٦/٩٦؛ تفسير مجمع البيان ١٦/٤٦-٤٩؛ تفسير القاسمى ١١/٤١٥١؛ تفسير الجلالين، ص٢٧٣؛ تفسير وجدى، ص ٤٠١؛ تفسير ابن كثير، ٢/١٨-٢١.

(٢) وردت قصة نوح فى سور كثيرة من القرآن الكريم، منها الأعراف (٥٩-٦٤) ويونس (٧١- ٧٣) وهود (٢٥-٤٩) والأنبياء (٧٦-٧٧) والمؤمنون (٢٣-٣٠) والشعراء (١٠٥- ١٢٢) والعنكبوت (١٤-١٥) والصافات (٧٥-٨٢) والقمر (٩-١٧)؛ ثم سورة كاملة هى سورة نوح.

(٣) وردت قصة لوط فى سورة الأعراف (٨٠-٨٤) وهود (٧٧-٨٣) والحجر (٦١-٧٥) والشعراء (١٦٠-١٧٥).

(٤) سورة مريم، آية : ٥٤؛ وانظر: تفسير روح المعانى ١٦/١٠٤-١٠٥؛ تفسير الفخر الرازى ٢١/٢٣١-٢٣٢؛ تفسير الطبرى ١٦/٩٦؛ تفسير الطبرسى ١٦/٤٤-٤٩؛ تفسير القاسمى ١١/١٥٠؛ تفسير الجلالين، ص ٢٧٣؛ تفسير القرطبى، ص ٤٢٤٩-٤٢٥١ (١٩٧٠).

(٥) وردت قصته فى سورة الأعراف (٦٥-٧٢) وهود (٥٠-٦٠) والشعراء (١٢٣-١٤٠).

(٦) وردت قصته فى سورة الأعراف (٧٣-٧٩)، وهود (٦١-٦٨) والشعراء (١٤١-١٥٩).

(٧) وردت قصته فى سورة الأعراف (٨٥-٩٣) وهود (٨٤-٩٥) والشعراء (١٧٦-١٩٠) والعنكبوت (٣٦-٣٧).

(٨) انظر عن عالمية الدعوة المحمدية، سورة النساء، آية: ٧٩؛ سورة إبراهيم: آية: ١-٥٢؛ سورة الحج، آية: ٤٩؛ سورة الفرقان، آية: ١؛ سورة الأحزاب، آية: ٤٠؛ سورة سبأ، آية: ٢٨؛ سورة ص، آية: ٨٧؛ وانظر: تفسير الطبرى ٨/٥٦١، ١٦/٥١١-٥١٢، ١٨/١٧٩-١٨٠، ٢٢/١٦، ٩٦، ٢٣/١٨٨-١٨٩؛ تفسير البيضاوى ٢/٩٥، ١٣٧، ٢٤٧، ٢٦١، ٣١٦؛ تفسير روح المعانى ٥/٩١، ١٣/١٨٠-١٨٢، ٢٢٠-٢٢٥، ٢٥٨، ١٨/٢٣٠-٢٣٢، ٢٢/٢٨-٢٩، ١٤١-١٤٣، ١٣/٢٣٠-٢٣٢؛ تفسير الفخر الرازى ١٠/١٩٠-١٩٢، ٢٤/٤٤، ٢٥/ ٢١٤، ٢٥٨، ٢٦/ ٢٣٥-١٢٥؛ تفسير الطبرسى ٥/١٦٧-١٦٨؛ ١٨/٨٤-٨٨، ٢١/١٤٥- ١٤٦؛ تفسير المنار ٧/٥٠٣، ٨/٤٣٦؛ تفسير القاسمى ١٣/٤٨٦٦، ١٤/٥١٢٥؛ تفسير أبى السعود ١/٧٤٢-٧٤٣؛ تفسير الكشاف ١/٥٤٦؛ تفسير ابن كثير ٢/٣١٥-٣١٩، ٤/٤٢٨- ٤٣٠؛ تفسير القرطبى، ص ١٨٥٤-١٨٥٧، ٣٥٩٤-٣٥٩٦، ٤٤٧، ٤١٧، ٥٢٨٢، ٥٣٢٨، ٦٧٣، ٥٦٧٥ (دار الشعب، القاهرة ٦٩-١٩٧٠)؛ وانظر: مالنا؛ قصة الطوفان بين الآثار والكتب المقدسة، ص ٤٣٧-٤٤١؛ مناع القطان، الإسلام شريعة الله الخالدة إلى البشر كافة، مجلة كلية الشريعة، العدد الخامس، ص ١١-٤٠، (الرياض ١٩٧٤)؛ عباس العقاد، الإسلام دعوة عالمية، القاهرة ١٩٧٠م؛ عطية صقر، الدين العالمى ومنهج الدعوة إليه، القاهرة ١٩٧٠م؛ صحيح البخارى؛ صحيح مسلم؛ فتاوى الإمام ابن تيمية، ٤/٢٠٣-٢٠٨، ١١/١٦٩-١٧٠، ١٩/٩-١٢، ١٠١، ١٠٣، (الرياض ١٣٨٢هـ)، وكذا المجلة الإنجليزية History Today، عدد يونيه ١٩٦٠

الناس إنِّى رسول الله إليكم جميعًا﴾[١]، وهكذا ختم الله برسالة الحبيب المصطفى رسالات الأنبياء جميعًا، فأتم بذلك رحمته على العالمين، وهداهم سواء السبيل، ﴿وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين﴾[٢]، وصدق الله العظيم حيث يقول: ﴿اليوم أكملتُ لكم دينكم وأتممتُ عليكم نعمتى ورضيت لكم الإسلام دينًا﴾[٣]، وهكذا فى ﴿إنَّ الدين عند الله الإسلام﴾[٤]، ﴿ومن يتبع غير الإسلام دينًا[٥] فلن يقبل منه وهو فى الآخرة من الخاسرين﴾[٦].

---

(١) سورة الأعراف، آية: ١٥٨؛ وانظر: تفسير الطبرى ١٣/١٧٠-١٧٢، (دار المعارف)، تفسير روح المعانى ٩/٨٢-٨٤؛ تفسير الكشاف ٢/١٢٣، تفسير الفخر الرازى ١٥/٢٦-٣٠؛ تفسير الطبرسى ٩/٤٢-٤٣؛ تفسير القاسمى ٧/٢٨٨٣-٢٨٨٤؛ تفسير المنار ١٠/٢٥٥-٢٦٧؛ تفسير وجدى، ص ٢١٨؛ تفسير القرطبى، ص ٢٧٣٧-٢٧٣٨؛ تفسير ابن كثير ٣/٤٨٨-٤٩٠.

(٢) سورة الأنبياء، آية: ١٠٧؛ وانظر: تفسير أبى السعود ٣/١٩٣؛ الدر المنثور فى التفسير بالمأثور ٤/٤١-٤٢؛ تفسير روح المعانى ١٧/١٠٤-١٠٥-١٠٧؛ تفسير وجدى، ص ٤٣٢؛ تفسير مجمع البيان ١٧/٦٤-٧٠؛ تفسير القرطبى، ص ٤٣٩٠-٤٣٩١؛ تفسير القاسمى، ١١/٤٣١٢-٤٣١٥.

(٣) سورة المائدة، آية: ٣؛ وانظر: تفسير أبى السعود، ٢/١٠-١١؛ تفسر الطبرى ٩/٤٩٢-٥٣٨؛ الكشاف ١/٥٩٣؛ تفسير روح المعانى ٦/٦-٦٢؛ تفسير المنار ٦/١١٠-١٢٨؛ تفسير الفخر الرازى ١١/١٣٦-١٤٠؛ تفسير الطبرسى ٦/١٨-٢٧؛ تفسير القرطبى، ص ٢١٠٦-٢٠٠٧.

(٤) سورة آل عمران، آية: ١٩؛ وانظر: تفسير الدر المنثور ٢/١٢-١٣؛ تفسير أبى السعود ١/٤٥٥-٤٥٦٠؛ الكشاف ١/٤١٨-٤١٩؛ تفسير الطبرى ٦/٢٧٣-٢٧٩؛ تفسير المعانى ٣/١٠٦-١٠٧؛ فى ظلال القرآن ٣/٣٧٩-٣٨٠؛ تفسير الطبرسى ٣/٣٤-٣٩؛ تفسير القاسمى ٤/١١١-١١٢؛ تفسير القرطبى، ص ١٢٨٥-١٢٨٦؛ تفسير الفخر الرازى ٧/٢٢٢-٢٢٣؛ تفسير المنار ٣/٢٠٩-٢١٤؛ تفسير وجدى، ص ٦٥.

(٥) الإسلام فى لغة القرآن ليس اسمًا لدين خاص، وإنما هو اسم للدين المشترك الذى هتف به كل الأنبياء وانتسب إليه كل أتباع الأنبياء، ولقد أخبر القرآن الكريم فى غير موضع أن الأنبياء كلهم كان دينهم الإسلام (انظر: البقرة، آية: ١٣٢-١٣٣؛ آل عمران ٥١-٥٣، ٦٤-٦٧؛ المائدة، آية: ١١١؛ الأعراف، آية: ١٢٦؛ يونس، آية: ٧٢، ٨٤، ٩٠؛ [illegible]ف، آية: ١٠١؛ الأنبياء، آية: ٩٢؛ النمل، آية: ٤٤؛ القصص، آية: ٦٣؛ الشورى، آية: ١٣، وكذا انظر: محمد عبد الله دراز، الدين، بحوث ممهدة لدراسة تاريخ الأديان، القاهرة ١٩٦٩، ص ١٨٣؛ محمود أبورية، دين الله واحد، القاهرة ١٩٧٠، ص ٦٠-٦٧؛ محمد الراوى، الدعوة الإسلامية دعوة عالمية، ص ٥١).

(٦) سورة آل عمران، آية: ٨٥؛ وانظر: تفسير الطبرى ٦/٥٧٠-٥٧٢، (دار المعارف)؛ تفسير روح المعانى ٣/٢١٥-٢١٦؛ تفسير أبى السعود، ٢/٥٠٩-٥١٠؛ فى ظلال القرآن ٣/٤٢٣؛ تفسير الكشاف ٢/٤٤٢؛ تفسير الفخر الرازى ٨/١٣٤-١٣٥؛ تفسير الطبرسى ٣/١٢٢-١٣٤؛ تفسير القاسمى ٤/٨٨؛ تفسير وجدى، ص ٧٧؛ تفسير القرطبى، ص ١٣٧٠-١٣٧١، (دار الشعب ١٩٦٩)؛ تفسير ابن كثير، ٢/٥٧-٥٨، (دار الشعب، ١٩٧١)؛ تفسير المنار ٣/٢٩٣-٣٩٧؛ عبد العظيم منصور، كلمة الله الأخيرة، القاهرة، ١٩٧٤، ص ١٧ وما بعدها.

وإنه لمن الأهمية بمكان أننا ـ على ضوء هذه الدراسة التى قدمناها عن أنبياء بنى إسرائيل، بأنواعهم المتباينة ـ ربما قد نستطيع أن نعقد مقارنة بين هؤلاء الأنبياء ـ من غير المصطفين الأخيار ـ وبين علماء الأمة الإسلامية والتى نوجزها فى نقاط، منها (أولا) أن وجود الأنبياء فى بنى إسرائيل لم يكن ندرة، ولم يكن بين الواحد والآخر منهم فترة، أو لم يكن حتمًا لزامًا أن تكون بينهم فترة، فقد يوجد منهم فى العصر الواحد ـ وربما فى المكان الواحد ـ مئات من الأنبياء [١]، وأن واحدة من ملكات إسرائيل كانت ذات دالة على زوجها، وأنها قد قتلت من أنبياء بنى إسرائيل ما قتلت، ومع ذلك فقد استطاع رجل البلاط (عوبديا) ـ وكان رجلا تقيًا ـ أن ينقذ من بين يديها مائة نبى، تقول التوراة «وكان حينما قطعت إيزابيل أنبياء الربّ أن عوبديا أخذ مئة نبى وخبأهم كل خمسين رجلا فى مغارة، وعالهم بخبز وماء»[٢].

والأمر كذلك بالنسبة إلى علماء الأمة الإسلامية، فقد يكون منهم المئات ـ بل والألوف ـ فى العصر الواحد، وفى المكان الواحد.

ومنها (ثانيًا) أن عمل النبى الإسرائيلى أشبه كثيرًا بعمل العالم الفقيه فهو تفسير الكتب والنذر وحض على اتباع السنن التى رسمها لهم من قبل إبراهيم وموسى وغيرهما من الأنبياء السابقين.

والأمر كذلك بالنسبة إلى علماء الإسلام، فهم يفسرون شريعته، ويأمرون الناس بالمعروف وينهونهم عن المنكر.

ومنها (ثالثًا) أن معظم أنبياء بنى إسرائيل متبعين لا مبتدعين، يعملون بشريعة موسى عليه السلام، ويفسرون ما غمض منها.

والأمر كذلك بالنسبة إلى علماء أمة محمد ـ ﷺ ـ يعملون بشريعته ويفسرونها للناس.

(١) ملوك أول ٢٢ : ٦؛ أخبار ثان ١٨ : ٥ (٢) ملوك أول ١٨ : ٤.

ومنها (رابعًا) أن أنبياء بنى إسرائيل - إلا القليل منهم - تقدمهم لنا التوراة فى صورة من يحترفون النبوة، ويأخذون عليها أجراً، والأمر كذلك بالنسبة إلى الكثير من علماء الأمة الإسلامية.

ومنها (خامساً) أن أنبياء بنى إسرائيل - إلا القليل منهم - تخرجوا فى (مدارس الأنبياء) والتى تأسست فى أريحا وبيت إيل والجلجال وغيرها من المدن الإسرائيلية ذات القداسة عند القوم، حيث درسوا التوراة وتفسيرها واللغة العبرية، فضلا عن الشعر والموسيقى.

والأمر كذلك بالنسبة إلى علماء الأمة الإسلامية، حيث تخرجوا فى العصور الإسلامية الأولى، على أيدى العمالقة العظام من نوابغ الدراسات القرآنية، وبخاصة فى المدينة المنورة ومكة المكرمة، وفى غيرهما من كبريات المدن الإسلامية، كدمشق وبغداد والقاهرة، ثم بعد ذلك فى الجامعات والكليات والمعاهد الدينية، حيث يدرسون الفقه والتفسير والحديث والتوحيد وغير ذلك من العلوم الدينية، فضلا عن العلوم العربية.

ومنها (سادسًا) أن أنبياء إسرائيل المحترفين - إلا أقل القليل منهم - كانوا كغيرهم من الناس، منهم التقى الصالح، والورع الذى يخشى الله ولا تأخذه فى الحق لومة لائم، ومنهم من هو على غير ذلك تماماً.

والأمر كذلك بالنسبة إلى علماء المسلمين، ذلك لأن العصمة - فيما نعتقد ونؤمن به نحن المسلمين - لا تكون إلا للمصطفين الأخيار، من أنبياء الله الكرام وليس أنبياء بنى إسرائيل جميعًا من هذه الصفوة المختارة من عباد الله، والأمر كذلك بالنسبة إلى علماء المسلمين، ذلك لأن عصمة الأنبياء إنما كانت لأنهم الأسوة الحسنة للناس جميعًا، يقول سبحانه وتعالى ﴿لقد كان لكم فيهم أسوةٌ حسنةٌ لمن كان يرجو الله واليوم الآخر﴾[1] ويقول ﴿قد

(١) سورة الممتحنة، آية: ٦.

كانت لكم أسوة حسنة فى إبراهيم والذين معه﴾[١]، ويقول ﴿لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا﴾[٢]، وذلك لأنهم ﴿أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده﴾[٣] وليس لأحد من العالمين - غير الأنبياء والمرسلين - تلك الميزة الربانية، والهبة الإلهية، و﴿ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم﴾[٤].

(١) سورة الممتحنة، آية : ٤.
(٢) سورة الأنعام، آية : ٩٠.
(٣) سورة الأحزاب، آية: ٢١
(٤) سورة الحديد، آية: ٢١؛ سورة الجمعة، آية: ٤

النقاوة الجنسية عند اليهود

(١) قبل عصر موسى عليه السلام:

لعل من الأفضل هنا أن نشير - بادئ ذى بدء - إلى ذلك الزعم الكذوب الذى تمتلئ به صفحات الكتب، من أن اليهود ما كانوا يميلون إلى نشر دينهم بين الأمم، ذلك لأن نشر الدعوة الدينية - من بعض الوجوه - محظور على اليهود[١]، لأنهم - فيما يزعمون - «شعب الله المختار»[٢] وبالتالى فهم «شعب مقدس» اختاره ربهم «يهوه» ليكون شعبه المختار، دون بقية شعوب الأرض.

ومن ثم فقد خاطبهم ربهم فى توراتهم «واتخذكم لى شعباً، وأكون لكم إلهاً»[٣]، و«أنتم تكونون لى مملكة كهنة، وأمة مقدسة»[٤]، بل إن ربهم يقول لهم - فيما تروى توراتهم - «إنك شعب مقدس للرب إلهك، وقد اختارك الرب لكى تكون له شعباً مقدساً، فوق جميع الشعوب التى على وجه الأرض»[٥].

وهكذا نظر بنو إسرائيل إلى أنفسهم على أنهم الشعب الذى اصطفاه الله، وفضله على العالمين، وأن من عداهم من الشعوب أقل منهم مكانة فى سلم الإنسانية، وبالتالى فلا تسمح أنفسهم أن تكون هذه الميزة لغيرهم من الشعوب[٦].

ومن هنا بدأ الصهاينة يدعون أن اليهود فى جميع أنحاء العالم من أصل فلسطينى، وأنهم عندما يطالبون بفلسطين، فإنما يطالبون ببلادهم التى نشأوا فيها، ثم أخرجوا منها، ومن هنا بدأت «الصهيونية السياسية» تسخر

---

(١) إسرائيل ولفنسون، تأريخ اليهود فى بلاد العرب، القاهرة ١٩٢٧، ص ٢٧.

(٢) خروج ٦/١٩؛ عدد ٢/١٤؛ تثنية ١٥/١٠. (٣) خروج ٧/٦.

(٤) خروج ٦/١٩. (٥) تثنية ٢/١٤. وانظر: ١٥/١٠.

(٦) محمد بيومى مهران، الحضارة العربية القديمة، الإسكندرية ١٩٨٨، ص ٤٠٣.

الأبحاث الأنثروبولوجية، وترتب نتائجها مسبقًا، بحيث تخدم دعاواهم الاستعمارية فى فلسطين.

وصميم القضية أنهم إذ يبحثون عن مبرر من الجنس للعودة إلى «أرض الميعاد» يشرع اغتصابهم لفلسطيننا العربية، فيركزون بؤرتهم على «النقاوة الجنسية لليهود» بمعنى أنهم بعد أن يخرجوا ببنى إسرائيل إلى «الشتات» Diaspora يلحون فى أنهم ظلوا بمنأى عن الاختلاط الدموى مع الشعوب التى عاشوا بينها، وأن يهود اليوم، أينما كانوا، إنما هم بذلك «النسل المباشر لبنى إسرائيل التوراة»، ومن ثم فهم فى آن واحد مجموعة جنسية واحدة، وقومية تاريخية واحدة، مثلما هم طائفة دينية واحدة، ومن ذلك جميعًا، يخلصون لا إلى تدعيم أسطورة «الشعب المختار» - الشعب النقى الخالص - فحسب، وإنما كذلك - وفى الدرجة الأولى - إلى تدعيم حق العودة المزعوم، واغتصاب فلسطين[١].

ومن هنا كانت أول مزاعم الصهاينة لدى أعضاء لجنة التحقيق الإنجليزية الأمريكية، أنهم لا يذهبون إلى فلسطين، كما يذهب المهاجر، بل إن مثلهم فى ذلك مثل الرجل الذى يعود إلى داره، بعد أن غاب عنها فترة - طالت أو قصرت - ومعنى هذا أنهم سلالة بنى إسرائيل الذين كتب الرومان عليهم الشتات فى بقاع الدنيا، منذ عام ١٣٥م.

ومن عجب أن هذا الزعم الكذوب، طالما وجد آذانًا صاغية، وربما تفلسف بعض المتحذلقين - نتيجة الجهل أو الخداع، أو هما معًا - وادعى أن ذلك نتيجة مجتمع «الجيتو» Ghetto - حىّ اليهود، أو معزلهم فى المدينة - ففى أغلب عصور التاريخ بعد بدء الشتات، وفى كل البلاد والأقاليم، ارتبط اليهود - كقاعدة - بالعزلة السكنية فى حىّ خاص من المدينة (الجيتو،

(١) جمال حمدان، اليهود أنثروبولوجيا، القاهرة ١٩٦٧، ص ٥٢.

كما يقال فى كثير من بلاد أوروبا وأمريكا ـ أو «حارة اليهود فى ألمانيا» Ju-dengasse، وكما نقول نحن فى مصر ـ وهو «اليوديريا» Juderia فى إسبانيا الوسيطة ـ أو هو «الملة» كما يقال فى مدن المغرب العربى، أو «القاع» ـ قاع اليهود كما فى مدن اليمن ـ .

ومع ذلك، وعلى الفور، نفهم أن «العزل السكنى» Residential Seg-regation هو «قانون اليهود فى المدينة» وكثيراً ما يرتد هذا العزل إلى قوانين الدول والشعوب التى يعيش اليهود بين ظهرانيها يفرضونه بالقوة على اليهود، تباعداً أو استعلاءً عليهم، كفئة من المنبوذين، أو «الباريا» Pariah ـ كما يعبر «ماكس فيبر» ـ وكذلك إحكامًا للرقابة عليهم، وحصراً لأخطارهم.

ولكن كثيراً أيضاً ما يرجع هذا إلى صنع اليهود أنفسهم، سعياً منهم ـ كأقلية مسحوقة ـ إلى التركز والاحتشاد فى نقطة واحدة، ضماناً للحماية فى حظيرة واحدة.

لقد بدأ اليهود رحلا فى عصر التوراة، وظلوا رحلاً فى عالم الشتات، وككل قطعان الرحل أبوا، إلا أن يعيشوا فى حظائر مسورة، داخل مدن الشتات[١].

وإذا أردنا مناقشة قضية أو «أسطورة النقاوة الجنسية عند اليهود»، فإننا نلاحظ ـ أول ما نلاحظ ـ أن الغالبية العظمى من الكتاب الذين تصدوا للرد على الصهيونية، وتفنيد مزاعمها التى تدعيها فى فلسطين، أنهم قد اكتفوا فى إثبات عدم أحقية اليهود فى فلسطين، مستندين فى ذلك إلى حقائق تاريخية ثابتة، وكثيرة، منها:

أولاً: أن اليهود لم يستطيعوا أن يبسطوا سلطانهم على الضفة الغربية

(١) نفس المرجع السابق، ص ٥٠-٥١.

من الأردن، ذلك لأن الشاطئ ـ فيما عدا شقة ضئيلة ـ إنما ظل فى أيدى الكنعانيين العرب.

ثانياً: أن الكيان اليهودى على أيام داود وسليمان، عليهما السلام، لم يدم أكثر من ثلاثة أرباع القرن (حوالى ١٠٠٠-٩٢٢ق.م)، كان اليهود فى تلك الفترة يمثلون موجة من موجات الغزو الذى كتب على أرض كنعان أن ترى الكثير منها، ثم ولت كغيرها، ولم تترك من ورائها، إلا أساطير بثها اليهود فى كتابهم المقدس (التوراة)، بينما استمرت سيادة العرب الكنعانيين من قبل، ومن بعد، ما يربو على آلاف ستة من الأعوام.

وفى الحقيقة أن هذه الحجج لها قوتها وخطورتها، دونما ريب، ولكنها تغفل ناحية خطيرة فى الموضوع كله، وهى: أن الصهيونيين ـ وأكثرهم من يهود أوروبا ـ لا يمتون بصلة عرقية إلى فلسطين العربية، وهو أمر اعترف به علماء الأجناس، ومن بينهم بعض علماء اليهود أنفسهم.

وفى الواقع أن اليهود لم يعرفوا «النقاوة الجنسية» طوال تاريخهم[١] ـ سواء أكان هذا التاريخ قبل عصر التوراة، أو أثناءه، أو بعده بقليل أو كثير ـ والذين يزعمون أن اليهود جميعاً من سلالة إسرائيل (يعقوب عليه السلام)،

---

(١) انظر أمثلة على عدم النقاوة الجنسية عند اليهود من نصوص التوراة نفسها، عن أبناء يعقوب (تكوين ٣٥/٢٥-٢٦) وعن أبناء يوسف (تكوين ٤١/٤٥-٥٢) وعن أبناء موسى (خروج ٢/٢١-٢٢، ١٨/٤) وعن عصر القضاة (٣/٥-٦) وعن داود (راعوث ١/١-٤، ٤/٢٢)، وعن سليمان (صموئيل ثان ١/١٣) وعن أبناء داود (صموئيل ثان ٣/٢-٥، ٥/١٣)، وعن أخريات أيام اليهود فى فلسطين (عزرا ٩/١-١٤، ١٠-١-٤٤)، وانظر:
جمال حمدان، اليهود أنثروبولوچيا ، القاهرة ١٩٦٧ ، وكذا:
George Adam Smith, Historical Geography of the Holy Land, N.Y., 1932; C.S. Coon, Have The Jews a Racial Identity, N.Y., 1942; W.Z. Ripley, The Races of Europ, London, 1900; Ellsworth Huntington, Palestine and its Transformation, Boston 1911.

قلما يقفون لحظة، لكى يذكروا، أن هذا الوهم، لو كان صحيحًا، لكان اليهود فى جميع أنحاء العالم، متشابهين فى السحنة والمنظر والتقاطيع، لأن «قانون الوراثة» يقضى حتمًا بأن الفروع تشبه الأصل، وتتشابه فيما بينها تشابهًا شديدًا.

ولو نظرنا إلى اليهود فى مختلف العالم اليوم، لوجدنا بينهم الشقر، وذوى العيون الزرقاء، والشعر الأصفر، ورأينا بينهم السمر، ذوى الشعر المجعد فى هضبة الحبشة، والسود فى جنوب الهند، والصفر المغول فى الصين، كما رأينا بينهم الطوال القامة والقصار، وذوى الرؤوس الطويلة والعريضة، ويوشك أن لا يكون هناك اختلافات بين السلالات البشرية أكبر مما نجده بين الجماعات اليهودية فى مختلف القارات، وليس ما يقبله العقل أن تكون هذه الطوائف كلها سلالة جنسية واحدة[١].

ولنبدأ الآن بيعقوب ـ أو إسرائيل ـ عليه السلام ـ أبو الأسباط جميعًا ـ ولنعد إلى التوراة نفسها، حيث نرى أن سفر التكوين ـ أول أسفار التوراة ـ يحدثنا أن يعقوب قد اتخذ له زوجات أربع ـ شقيقتان هما «راحيل» و«ليئة»[٢]، وجاريتيهما «بلهة» و«زلفة»[٣] ـ ونحن لا نعرف جنسية الجاريتين، لأن التوراة لم تحدثنا إلا أن «بلهة» جارية «راحيل»، وأن «زلفة» جارية «ليئة»، وإن حدثتنا أن راحيل وليئة إنما هما بنتا خال يعقوب، «لابان بن بتوئيل» الآرامى، من «فدان أرام»[٤]

وانطلاقًا من هذا، فإن أبناء إسرائيل من «بلهة» جارية راحيل ـ وهما دان ونفتالى ـ وأبناء «زلفة» جارية ليئة ـ وهما جاد وأشير ـ نصف إسرائيليين، وبعبارة أخرى، فإن رؤوس أربعة من الأسباط الاثنى عشر، نصف دمائهم إسرائيلية، ونصفها الآخر، لا ندرى عنها شيئًا.

(١) محمد عوض محمد، الاستعمار والمذاهب الاستعمارية، ص ١٣٨.

(٢) تكوين ١٥/٢٩-٣٥.

(٣) تكوين ١/٣٠-١٢.

(٤) تكوين ١/٢٨-٧.

وأما بقية الأسباط الثمانية، أبناء يعقوب من راحيل - وهما يوسف وبنيامين - وأبناء ليئة - وهم راؤبين وشمعون ولاوى ويهوذا ويساكر وزبولون، وشقيقتهم دينة[١] - فنصف دمائهم إسرائيلية، ونصفها الآخر آرامية.

وإذا انتقلنا إلى رؤوس الأسباط، وبدأنا بسبط يوسف، لوجدنا نفس الأمر، ذلك لأن يوسف عليه السلام، إنما قد تزوج من «أسنات بنت فوطى فارع»[٢] - كاهن «أون»[٣] - ورزق منها بولديه «منسى وأفرايم»[٤]، وهكذا يكون راسا سبطى «منسى وأفرايم»، نصف إسرائيليين، نصف مصريين.

١ - فى عصر موسى عليه السلام:

ويعيش بنو إسرائيل فى مصر - ما شاء الله لهم أن يعيشوا[٥] - فترة رخاء على أيام يوسف عليه السلام، ثم مضت فترة لا ندرى مداها على وجه التحقيق، بدأ بعدها الفرعون يذيقهم العذاب الأليم[٦].

وتروى التوراة أن فرعون قد أمر شعبه قائلا: كل ابن يولد تطرحونه فى النهر، لكن كل بنت تستحيونها»[٧]، وإلى هذا يشير القرآن الكريم فى قول

(١) تكوين ٢٩/٣١-٣٥، ١٤/٣٠-٢١. (٢) تكوين ٤١/٤٥.

(٣) أون: هى «إيونو» المصرية، و«هليوبوليس» الإغريقية، ويرجع المؤرخون نشأتها إلى ما قبل عام ٤٢٤٢ق.م، وفيها قامت أول حكومة مصرية متحدة، كما أن أهل الفكر فيها نجحوا فى وضع التقويم الشمسى، وبداية توزيع الشهور الاثنى عشر على أساسه، فيما بين عامى ٤٢٤٢، ٤٢٣٦ق.م، كما نجحوا فى رصد ارتفاعات فيضان النيل فى منطقة الروضة القريبة منها، والتى كانت تسمى «بر - حعبى» بمعنى بيت النيل» أو «بيت الفيضان»، كما نسب إلى فلاسفة «أون» أقدم مذهب دينى لتفسير نشأة الوجود، ويعرف مكانها الآن باسم «عين شمس» فى منطقة المطرية فى شمال القاهرة. (محمد بيومى مهران، مصر ٣٠٩/١-٣١١).

(٤) تكوين ٤١/٥٠-٥٢. (٥) تكوين ١٣/١٥. قارن: خروج ١٢/٤٠.

(٦) انظر عن الاضطهاد وأسبابه: محمد بيومى مهران، إسرائيل، ٢٦٥/١-٢٨٢ (ط١٩٧٨).

(٧) خروج ٢٣/١.

الله تعالى ﴿إن فرعون علا فى الأرض، وجعل أهلها شيعاً، يستضعف طائفة منهم، يذبح أبناءهم، ويستحى نساءهم﴾[١]، ويقول الله تعالى ـ مخاطباً بنى إسرائيل ـ ﴿وإذ نجيناكم من ال فرعون يسومونكم سوء العذاب، يذبحون أبناءكم، ويستحيون نساءكم، وفى ذلك بلاء من ربكم عظيم﴾[٢].

وفى هذا البلاء ـ ذبح الأبناء، واستحياء البنات ـ لابد أن تنتهك الحرمات، وتختلط الأنساب، فلا تبقى نقاوة جنسية لليهود، إلا من عصم الله.

وعلى أية حال، فالتوراة تخبرنا أن موسى عليه السلام، إنما قد تزوج من امرأتين، الواحدة: مديانية، وهى «صفورة بنت كاهن مدين»، وقد رزق منها بولديه «جرشوم واليعاذر»[٣]، ومن ذلك نستخلص أن ولدىّ موسى إنما كانا نصف إسرائيليين، نصف مديانيين.

وإلى زواج موسى من ابنة شيخ مدين ـ ولعله نبى الله شعيب عليه السلام ـ يشير القرآن إلى ذلك فى سورة القصص (آية : ٢٣-٢٩)[٤].

---

(١) سورة القصص، آية : ٤. وانظر : تفسير روح المعانى ٤٢/٢-٤٤؛ تفسير ابن كثير ٦٠٦/٣-٦٠٧ (بيروت ١٩٨٦)؛ تفسير القرطبى، ص ٤٩٦٣-٤٩٦٥.

(٢) سورة البقرة، آية: ٤٩. وانظر: تفسير الطبرى ٣٦/٢-٣٩؛ تفسير الطبرسى ٢٣١/٢-٢٣٥؛ تفسير روح المعانى ٢٥٢/١-٢٥٤؛ تفسير النسفى ٤٩/١؛ تفسير القرطبى، ص ٢٢٥-٢٣٠؛ تفسير الكشاف ١٢٧/١-١٣٨؛ تفسير البحر المحيط، ١٨٧/١-١٨٨؛ تفسير المنار ٣٠٨/١-٣١٣؛ الجواهر فى تفسير القرآن للجوهرى، ٥٩/١-٦١؛ فى ظلال القرآن ٧٠/١-٧٢؛ التفسير الكاشف لجواد مغنيه ٩٨/١-١٠٠؛ الدر المنثور فى التفسير بالمأثور للسيوطى، ٦٨/١-٦٩ (طهران ١٣٧٧هـ)؛ تفسير ابن كثير ١٣٦/١-١٣٨.

(٣) خروج ١٦/٢-٢٢، ٤/١٨، أخبار أيام أول ١٥/٢٣، ٧.

(٤) تفسير ابن كثير ٦١٢/٣-٦١٨؛ تفسير الدر المنثور ١٢٥/٥-١٢٦؛ صفوة التفاسير ٤٣٠/٢-٤٣٢؛ تفسير الفخر الرازى ٢٤٠/٢٤-٢٤١؛ تفسير البحر المحيط ١١٣/٧-١١٥؛ تفسير الطبرى ٣٩/٣٠-٤٠؛ تفسير القرطبى ص ٤٩٨٣-٤٩٩٧.

وأما الزوجة الأخرى فكانت امرأة كوشية، مما أثار عليه أخواه هارون ومريم، فغضب الربّ من ثورتهما، حتى أن مريم قد أصيبت بالبرص، وغدت كالثلج، ولم تنج من مرضها هذا، إلا بعد أن دعا لها موسى ربّه، وإلا بعد أن حجزت أياما سبعة[1].

وأما التابعون لموسى فى الخروج من مصر، فلم يكونوا جميعًا من بنى إسرائيل، ولكنهم اعتنقوا ديانتهم، واتبعوا موسى فى دعوته، وخرجوا معه، حتى أن علماء الأنثروبولوجيا (علم الإنسان) يعتبرون هذا الحدث ـ خروج بنى إسرائيل من مصر ـ حداً فاصلا بين عهد النقاوة النسبى، وعهد الاختلاط، فلقد لحق ببنى إسرائيل ـ كما يقول جوستاف لوبون [2] ـ عدد من المصريين الساخطين، ومن الأسارى، ومن العبيد المتمردين.

ولما جاوز بنو إسرائيل «بحر القلزم»[3] بدوا عشيرة ـ أى جماعة ـ مصرة على الظهور بأنها نسل رجل واحد، وإن فتحت صفوفها فى الحقيقة لجميع الفرار، المستعدين لانتحال اسمها ومعبوداتها، ويذهب «سيجموند فرويد» (١٨٥٦–١٩٣٩م) ـ وهو يهودى[4] ـ نفس الرأى، فيهدم العقيدة

(١) عدد ١/١٢–١٥.

(٢) جوستاف لوبون، اليهود فى تاريخ الحضارات الأولى، ترجمة عادل زعيتر، القاهرة ١٩٦٧، ص٢٣.

(٣) بحر القلزم: هو البحر الأحمر، وقد أطلق عليه المصريون القدامى «واج ـ ور» (الأخضر العظيم) وسماه العبرانيون: البحر، وبحر مصر، وبحر سوف، وأطلق اليونانيون اسم «البحر الأحمر» على هذا البحر والخليج العربى، وجاء اسم البحر الأحمر من المرجان الأحمر النامى فيه، وسماه العرب بحر الحجاز، وطول البحر الأحمر ٢٠٠٠ كيلا، ويتراوح عرضه فيما بين ٤٠٠، ٢٠٠ كيلا. (انظر: عبد المنعم عبد الحليم، البحر الأحمر وظهيره فى العصور القديمة، ص ٢–١٣؛ قاموس الكتاب المقدس، ١/١٦٣–١٦٤)

(٤) انظر: صبرى جرجس، التراث اليهودى الصهيونى والفكر الفرويدى، القاهرة ١٩٧٠، ص٢١٩–٢٤١.

العنصرية اليهودية من أساس، ويؤكد أن موسى كان مصريا[١]، وأن الذين خرجوا معه كانوا شيئًا آخر، غير العشيرة التى جاءت من قبل مع يعقوب عليه السلام، رغم أنهم سموا بنى إسرائيل، وهم إنما رضوا بالخروج من أرض مصر مع موسى، لأنهم لا يملكون شيئًا فى مصر، وكانوا يعيشون فيها أجراء، أكثرهم يعمل بلقمة عيشه فحسب

هذا. ولم يكن مع موسى من المصريين، غير السبعين رجلا الذين اختارهم، وجعل لهم الرياسة والقيادة لهذه الثورة التى فجّرها ضد الوثنية، وضد الطغيان الفرعونى، وهم الذين سمتهم التوراة اسم «سبط اللاويين»، وهو نفس السبط الذى نسب إليه موسى وهارون[٢].

وهكذا يجمع المؤرخون وعلماء اللاهوت، أن هناك الكثير من غير بنى إسرائيل، ممن اعتنق اليهودية منذ بدء دعوة موسى عليه السلام، وعلى رأس هؤلاء جميعًا : السحرة المصريون، والذين تكاد تجمع الكتب المقدسة من قبل - والمؤرخون من بعد - على أنهم هم الذين آمنوا بدعوة موسى عليه السلام، عن عقيدة وإيمان.

ولعمرى، إن الذين هددهم فرعون ﴿فلأقطّعنّ أيديكم وأرجلَكُم مِنْ خلافٍ، ولأصلّبنّكم فى جذوعِ النخل﴾[٣] فكان ردهم الحاسم القاطع ﴿لَن نؤثِرَكَ على ما جاءنا مِنَ البيِّنات، والّذى فطرنا، فاقضْ ما أنتَ قاضٍ، إنما تقضى هذه الحياة الدُّنيا، إنَّا آمنا بربِّنا ليَغفرَ لنا خطايانا، وما أكرهتنا عليه من السحر واللهُ خيرٌ وأبقى﴾[٤].

لا ريب أن هؤلاء لأشد إيمانًا بموسى ودعوته، من بنى إسرائيل أنفسهم، الذين ما أن رأوا فرعون وجنوده، حتى تملكهم الذعر والخوف،

(١) محمد بيومى مهران، إسرائيل، ١/٢٩٧ -٣٠٨، (ط ١٩٧٨)

(٢) حسن ظاظا، العنصرية كأساس فى قيام دولة إسرائيل، ص ٦

(٣) سورة طه، آية ٧١

(٤) سورة طه، آية ٧٢ ٧٣

وصاحوا بموسى ﴿أوذينا من قبل أن تأتينا ومن بعد ما جئتنا﴾[١]، أو كما تقول توراتهم «ماذا صنعت بنا حتى أخرجتنا من مصر، أليس هذا هو الكلام الذى كلمناك به فى مصر قائلين: كف عنا فنخدم المصريين، لأنه خير لنا أن نخدم المصريين من أن نموت فى البرية»[٢].

ومن هنا فإن العلماء - ومنهم نصارى كالسير ليونارد وولى[٣]، ويهود كالحاخام الدكتور أبشتين[٤]، والدكتور سيسل روث[٥] - يكادون يجمعون على أن أتباع موسى الخارجين فى ركابه من مصر، لم يكونوا كلهم من بنى إسرائيل، وإنما كانوا خليطًا من بنى إسرائيل، ومن غير بنى إسرائيل، كانوا ينتمون إلى فكرة وعقيدة واحدة، وليس إلى جنس وعنصر بعينه، بل إن التوراة نفسها إنما تصرح فى وضوح، لا لبس فيه ولا غموض، حيث تقول: «وصعد معهم لفيف كثير أيضًا»[٦] يتكونون - فيما يرى جوستاف لوبون[٧] - من المصريين الساخطين، ومن العبيد المتمردين، فضلا عن السحرة المصريين، الذين آمنوا بدعوة موسى عليه السلام، عن عقيدة وإيمان.

٣ - فى فلسطين:

وإذا ما انتقلنا إلى أوائل عهدهم بفلسطين - عد خروجهم أو طردهم من مصر[٨] - فلعل من الأهمية بمكان الإشارة إلى قصة شمشون الإسرائيلى ودليلة الفلسطينية التى ترجع إلى «عصر القضاة» - رغم ما فيها

(١) سورة الأعراف، آية: ١٢٩. وانظر: تفسير الطبرى، ١٣/٤٣-٤٤؛ تفسير القرطبى، ص ٢٦٩٩؛ تفسير ابن كثير ٢/٤٥٦-٤٥٧؛ تفسير المنار، ٩/٦٩-٧٢.

(٢) خروج ١٤/٨-١٢.

(٣) L. Wooley, The Beginnings of Civilization, N.Y., 1965, p. 496.

(٤) I.Epstien, Judaism, 1970, p. 16.

(٥) C. Roth, A Short History of The Jewish People, London, 1969, p. 6.

(٦) خروج ١٢/٣٨.

(٧) جوستاف لوبون، المرجع السابق، ص ٣٣.

(٨) خروج ٦/١، ١١/١.

من أساطير خرافية - إنما تدحض، دونما ريب «أسطورة نقاوة اليهود الجنسية»[١]

وفى الواقع أن عصر القضاة إنما يمثل الاختلاط الجنسى بوضوح، فهناك «جدعون» - قاضى إسرائيل، يتزوج من امرأة كنعانية من «شكيم» أنجبت له ولده «أبيمالك» (قضاة ٣١/٨) - الذى خلف أباه على قضاة إسرائيل - ثم هناك القاضى «يفتاح الجلعادى».

بل إن التوراة لتشير إلى أن الزواج من غير بنات إسرائيل لم يقتصر فى عصر القضاة على قضاة إسرائيل الكبار، وإنما بدا الأمر، وكأن بنى إسرائيل أصبحوا لا يتزوجون، إلا من خارج إسرائيل، تقول التوراة فى سفر القضاة (٣/٥-٦) «وسكن بنو إسرائيل وسط الكنعانيين والحيثيين والأموريين والفرزيين والحويين واليبوسيين،واتخذوا بناتهم لأنفسهم نساءً، وأعطوا بناتهم لبنيهم، وعبدوا آلهتهم».

وإذا ما وصلنا إلى «عهد الملكية»، وبنظرة سريعة إلى أعظم ملوك إسرائيل - داود وسليمان عليهما السلام - لرأينا أن التاريخ الدينى بعامة - والإسرائيلى بخاصة - رغم أنه حدثنا كثيراً وبالتفصيل عن شخصية داود عليه السلام، غير أنه لم يعرض لنا بإيضاح نقاط هامة تتعلق بشخصيته، فضلا عن ذاته التاريخية، وعلاقته العضوية ببنى إسرائيل، ذلك لأن التوراة لا تلقى أضواء كافية على نسب داود، وولده سليمان من بعده.

بل قد لا يعلم الكثيرون أن داود وسليمان - أعظم ملوك إسرائيل قاطبة - لم يكونا إسرائيليين خالصين، فقد كان داود، نصف إسرائيلى، نصف مؤابى، وكان سليمان نصف إسرائيلى، نصف حيثى، ذلك لأن «سفر

---

(١) قضاة ٢/١٣-٣١/١٦؛ محمد بيومى مهران، إسرائيل، ٦٤٧/٢-٦٥٢؛ جيمس فريزر، الفولكلور فى العهد القديم، ترجمة نبيلة إبراهيم، ١٣/٢ - ٢٠، (القاهرة ١٩٧٤)

راعوث»[١] ـ وهو السفر الثامن من التوراة ـ إنما يحدثنا في إصحاحاته الأربع، عن مجاعة حلّت بالبلاد على عهد القضاة «فذهب رجل من بيت لحم[٢] يهوذا، ليتغرب في بلاد موآب هو وامرأته وابناه، واسم الرجل إليمالك، واسم امرأته نعمى، واسما ابنيه محلون وكليون، وأن الولدين قد أخذا لهما امرأتين موآبيتين ـ عرفة وراعوث ـ ثم مات كليون تاركًا «راعوث» في أرض موآب.

وما أن يزول الجوع عن أرض كنعان، حتى تعود «راعوث» وكنتها «نعمى» إلى أرض يهوذا، وهناك تتزوج راعوث المؤابية من «بوعز» اليهوذى، وتنجب له «عبيد»، و«عبيد ولد يسى» ويسمى «ولد داود»[٣]

وأما سليمان فأمه حيثية هي «بتشبع بنت إليعام»، امرأة «أوريا الحثى»[٤]، بل إننا إذا ما عدنا إلى جد داود الكبير «فارص» لوجدناه ـ في رأى التوراة ـ ثمرة اتصال غير شرعى بين «يهوذا بن يعقوب» وكنته «ثامارا» كما كانت زوجة يهوذا نفسه كنعانية[٥]، بل إن «شاؤل ـ سلف داود المباشر

(١) انظر عن سفر راعوث: (محمد بيومى مهران، إسرائيل، ٣/٧٥-٧٨، ط ١٩٧٨).

(٢) بيت لحم: وتقع على مبعدة ٨ كيلا جنوبى القدس، وكانت مدفن راحيل ـ أم يوسف عليه السلام ـ وهى مسقط رأس داود عليه السلام، ومدفن آل يوآب، وفيها ولد المسيح عليه السلام، لأن أمه السيدة مريم العذراء ـ والمولودة فى الناصرة ـ كانت فى بيت لحم للاكتتاب فحان هناك وقت وضعها لمولودها المبارك، وقد بنت «هيلانة» ـ أم الإمبراطور قسطنطين (٣٠٦-٣٣٧م) كنيسة هناك عام ٣٣٠م، فوق المغارة التى يُظن أن المسيح ولد فيها ـ وهى أقدم كنيسة فى العالم ـ كما ذهب إلى ذلك كثير من الباحثين النصارى ـ من أمثال المؤرخ أوسيوس والقديس جيروم (٣٤٥-٤٢٠م)، غير أن القصة ـ كما جاءت فى إنجيل لوقا (٢/٧) إنما تشير صراحة إلى أنه ولد فى «المزود» . وأما القرآن الكريم فيشير إلى أن المسيح قد ولد عند جذع نخلة (سورة مريم، آية : ٢٣)، ومن ثم فالصحيح أن المسيح عليه السلام قد ولد عند جذع نخلة ، ربما عند بيت لحم، وليس فى مغارة. (محمد بيومى مهران، دراسات تاريخية من القرآن الكريم، ٣/٢٨٥-٣٦٠٦، بيروت ١٩٨٨)

(٣) راعوث ١/١-٤/٢٢. (٤) صموئيل ثان ٣/١١.

(٥) تكوين ٣٨/٦-٣٠؛ نجيب ميخائيل، سورية، ص ٣٢٩.

- إنما كان ثمرة مزاج من اليهود ونساء «يابيش جلعاد» أو الراقصات من بنات شيلوه[١].

ولعل نظرة واحدة إلى أبناء داود - كما أوردتهم التوراة - إنما ترينا إلى أى مدى كانت النقاوة الجنسية المزعومة غير موجودة بين بنى إسرائيل، فهذا «أمنون» - بكر داود - أمه «أخينوعم» من يزرعيل، وثانيه «كيلاب» أمه «أبيجابل» امرأة «نابال» الكرملى، والثالث «أبشالوم» أمه «معكة» بنت «تلماى» ملك جشور، والرابع «أدونيا «أمه حجيت» والخامس «شفطيا» أمه «أبيطال»، والسادس «يشرعام» من عجلة امرأة داود[٢]، هذا فضلا عن أن داود «أخذ سرارى ونساء من أورشليم (يبوس) بعد مجيئه من حبرون، فولد لداود أيضاً بنون وبنات»[٣].

وأما سليمان - عليه السلام - فيكفى أن نقدم عن زوجاته رواية التوراة نفسها، حيث تقول : «وأحب الملك سليمان نساء غريبة كثيرة - مع بنت فرعون - موآبيات وعمونيات وأدوميات وصيدونيات وحثيات من الأمم الذين قال عنهم الربُّ لبنى إسرائيل: لا تدخلون إليهم، وهم لا يدخلون إليكم، لأنهم يميلون قلوبكم وراء آلهتهم، فالتصق سليمان بهؤلاء بالمحبة، وكانت له سبع مئة من النساء والسيدات، وثلاث مئة من السرارى فأمالت نساؤه قلبه»[٤]، هذا فضلا عن أنه نفسه أمه حيثية، وليست إسرائيلية[٥].

ولعل من الأهمية بمكان الإشارة هنا إلى قصة «إيزابيل» الصورية - وهى من أشهر القصص فى التاريخ الإسرائيلى - والتى تدحض مزاعم يهود فى النقاوة الجنسية، ذلك أن ملك إسرائيل «أخاب بن عمرى» (٨٦٩-٨٥٠ق.م) قد تزوج من «إيزابيل» الفينيقية، ابنة «إيشبعل» ملك صور

(١) قضاة ٢١/١-٢٤؛ نجيب ميخائيل، سورية ، ص ٣٢٩.
(٢) صموئيل ثان ٢/٣-٥.
(٣) صموئيل ثان ١٣/٥.
(٤) ملوك أول ١/١١-٢.
(٥) صموئيل ثان ٣/١١.

وصيدا، وكانت ذات شخصية قوية متسلطة، فسيطرت على زوجها، بل وحاولت فرض عبادة «بعل صور» على إسرائيل، ونجحت فى ذلك إلى حد بعيد، حتى أنها أقامت له الهياكل فى «السامرة» ـ عاصمة إسرائيل ـ مما أدى فى نهاية الأمر إلى نزاع طويل ومرير، للسيادة على حياة إسرائيل الدينية، بين عبادة بعل ـ رب صور ـ وعبادة «يهوه» ـ رب إسرائيل[١].

وإلى هنا، فالأمر قد يراه بعض المتحذلقين والمخدوعين، أمر أفراد، وليس أمر جماعة، ولكننا نستطيع الرد عليهم من أن الناس على طريق ـ أو دين ـ ملوكهم، كما يقولون، فإذا لم يكفهم ذلك، فلدينا الكثير من نصوص التوراة التى تدحض، دونما ريب، أسطورة «النقاوة الجنسية» عند اليهود ـ كما أشرنا من قبل إلى نصوص سفر القضاة (٣/٥-٦).

على أننا إذا أردنا مثالا أوضح من ذلك، فيكفى هنا أن نذكر بعض آيات من «سفر عزرا»[٢] ـ وهو يمثل أخريات أيام اليهود فى فلسطين، كما يمثل سفر القضاة (الذى اقتبسنا بعض آياته) أوائل أيامهم ـ وكان «عزرا» قد عاد من السبى البابلى (٥٨٧-٥٣٩ق.م)، حوالى عام ٣٩٨ق.م[٣]، وكانت مشكلته الرئيسية ـ بعد إعلان الشريعة التى أحضرها من «بابل»[٤] ـ وتقع على مبعدة ٩٠ كيلا جنوبى بغداد ـ هى «الزواج المختلط» بين بنى إسرائيل وجيرانهم، والتى أصبحت ـ كما تشير التوراة مشكلة خطيرة، تقول التوراة ـ على لسان عزرا ـ «لم ينفصل شعب إسرائيل والكهنة واللاويون من شعوب الأرض، حسب رجاساتهم، من الكنعانيين والحيثيين والفرزيين،

---

(١) ملوك أول ٣١/١٦-٣٣؛ محمد بيومى مهران، إسرائيل ، ٩١٠/٢-٩١١، (ط ١٩٧٨).

(٢) انظر عن «سفرى القضاة وعزرا»: محمد بيومى مهران، إسرائيل، ٣٦/٣-٣٧، ٨٥-٨٦.

(٣) هذا يعنى أنه بقى فى بابل بعد العودة من السبى فترة ولم يعد مع المسبيين عام ٥٣٩ق.م.

(٤) انظر عن بابل: محمد بيومى مهران، مصر والشرق الأدنى القديم، الجزء العاشر، العراق القديم، الإسكندرية ١٩٩٠، ص ٢١٥-٢١٨.

واليبوسيين والعمونين والموآبيين والمصريين والآموريين لأنهم اتخذوا من بناتهم لأنفسهم ولبنيهم، واختلط الزرع المقدس بشعوب الأرض، وكانت يد الرؤساء والولاة فى هذه الخيانة أولاً»[١].

ويستمر «عزرا» فى روايته، معلنًا أحزانه وآلامه - من هذه الخيانة لربِّ إسرائيل، فيقول: «إلهى إنِّي أخجل وأخزى من أن أرفع - يا إلهى - وجهى نحوك، لأن ذنوبنا قد كثرت فوق رؤسنا، وآثامنا تعاظمت إلى السماء، منذ أيام آبائنا نحن فى إثم عظيم إلى هذا اليوم»[٢]، ذلك لأن ربَّهم «يهوه» إنما قد حذَّرهم من مصاهرة الأمم الأخرى، ولكنهم كانوا - دائمًا وأبداً - يصاهرون هذه الأمم[٣].

ويجتمع «عزرا» برؤساء بيوت بنى إسرائيل، لعمل إحصاء لكل من صاهر قومًا من غير بنى إسرائيل فوجد من بين الكهنة الكثير، ممن اتخذوا نساء غريبة، والأمر كذلك بالنسبة إلى اللاويين والمنفيين فى بابل «كل هؤلاء قد اتخذوا نساء غريبة، ومنهن نساء قد وضعن بنين»[٤].

وهذا يعنى أن معظم - أو على الأقل كثيراً من بنى إسرائيل - سواء أكانوا من رجال الدين أو من اللاويين، وسواء أكانوا من المقيمين فى فلسطين أو المنفيين فى بابل - قد مارسوا «الزواج المختلط»، وبعدوا تماماً عن النقاوة الجنسية.

ويذهب بعض الباحثين إلى أن عزرا، إنما قد استصدر أمراً من ملك الفرس، أسبغ به على تشريعه صفة الإلزام، ومن هنا فقد استخدم القوة فى هدم الزيجات المختلطة، القائمة وقت ذاك، وشتت الأسر بالعنف والقوة، وشرَّد الأطفال الأبرياء، وتم كل ذلك باسم الدين، لاستئصال الرجس من بنى إسرائيل.

---

(١) عزرا ٩/٦-٧.

(٢) عزرا ٩/٦-٧.

(٣) عزرا ٩/١٤.

(٤) عزرا ١٠/١-٤٤.

وفى هذا ترى «عـزرا» يفـوق «نحـمـيـا» (٤٤٥-٤٣٢ق.م)، الذى اكتفى بلعن هؤلاء الأزواج، وجلدهم، ونزع شعورهم، ثم استحلفهم بالله قـائلا: لا تعطوا بناتكم لبنيـهم، ولا تأخـذوا من بناتهم لبنيكم، ولا لأنفسكم»[١].

ولعل من الأهمية بمكان الإشارة إلى أنه قبل أن نترك التوراة، وآياتها البينات، على عدم النقاوة الجنسية عند اليهود، أن نشير إلى سفرين معروفين فى التوراة، وهما سفرا راعوث وأستير[٢].

أما سفر راعوث: فقد خصصته التوراة لقصة «راعوث المؤابية» ـ جدة داود عليه السلام ـ وأما سفر أستير فقد خصصته التوراة لقصة «أستير»، تلك الفتاة اليهودية، التى تزوجت من ملك الفرس.

ولست أجد دليـلا أقوى على دحض «أسطورة النقـاوة الجنسيـة عند اليهود» من أن تخصص التوراة نفسها سفرين: الواحد «يبجل امرأة موآبية، تزوجت من يهودى، فكان من سلالتها داود عليه السلام ـ ملك اليهود القدير، وموحد أسباطهم، ومقيم دولتهم ـ والآخر يبجل امرأة يهودية تزوجت مشركًا فارسيًا، فكان ذلك سببًا فى أن تخصص لها التوراة سفرًا خاصًا، وربما كان السبب ـ فيما يرى الدكتور حسن ظاظا ـ أن تلك النبية «أستير» فى القصة الوحيدة التى نعرفها عنها : تنادم ملك الفرس، وتعاقر معه الخمر، فى كامل جمالها وهندامها وزينتها، حتى تحصل منه ـ مع مطلع الفجر ـ على وعد برجوع اليهود إلى فلسطين، مثل وعد بلفور، بعد ذلك بنحو ألفين وخمسمائة عام[٣].

---

(١) عزرا ١٠/١٠-١٢؛ نحميا ١٣/٢٣-٢٨؛ ثروت الأسيوطى، نظام الأسرة بين الاقتصاد والدين ـ الجماعات البدائية، بنو إسرائيل، ص ١٨١.

(٢) انظر عن سفر أستير: محمد بيومى مهران، إسرائيل، ٣/٨٠-٨٢.

(٣) حسن ظاظا، المرجع السابق، ص ٩١.

وهكذا يبدو بوضوح أن «يهود عصر التوراة» في فلسطين، قد اختلطوا مع الجماعات الأخرى - السابقة لهم في فلسطين واللاحقة بهم - من كنعانيين وأموريين ومؤابيين وعمونيين وفلسطينيين وحيثيين وفرزيين - كما اختلطوا كذلك بغيرهم في خارج فلسطين، وكان نتيجة ذلك أن تمثلوا كثيراً من دمائهم، وابتلعوا أعداداً منهم، حتى أصبحوا هم أنفسهم مجموعة مركبة عبرية بعامة، مما يدل بوضوح على أن «النقاوة الجنسية» غير موجودة، حتى في عهد «يهود التوراة» ذلك العهد الذى كثرت فيه تحذيرات ربُّ إسرائيل لشعب إسرائيل، بعدم الاختلاط بدماء غير عبرية أو إسرائيية، عن طريق الزواج بغير الإسرائيليات.

ولعل من الجدير بالإشارة هنا، أن المؤرخ الأمريكي الكبير «جيمس هنرى برستد» (١٨٦٥-١٩٣٥) إنما يشير إلى أن «الأنف المعقوف» الذى يسخر منه أعداء اليهود، ويعتبرونه علامة مميزة لجنسهم، ليس في الواقع من العلامات الجنسية المميزة في شيء، وإنما اتصف به بعض اليهود لشدة امتزاجهم بالتزواج مع الحيثيين - وهم من الشعوب الآرية القديمة -

هذا فضلا عن أن اليهود أنفسهم يقولون: أنه منذ فجر التاريخ ومجتمعاتهم تتعرض للاضطهاد ويصورون شكلا من أهم أشكال هذا الاضطهاد في انتهاك الأعراض، فالفراعنة يقتلون أبناءهم، ويستحيون نساءهم، ونبيّ الله سليمان عليه السلام - وخلفاؤه من بعده - يكثرون من التزوج بالأجنبيات، ويجعلون ذلك عادة متفشية بين عامة اليهود، والآشوريون - والبابليون من بعدهم - يأخذون نساء اليهود سبايا، ورجالهم عبيداً[١].

وعلى أية حال، فإن التوراة إنما تمتلئ بالنصوص التى تتحدث عن

---

(١) نفس المرجع السابق، ص ١٨.

تهويد أناس من غير بنى إسرائيل ـ كما فى أسفار الخروج والقضاة وراعوث وصموئيل الثانى وأخبار الأيام الأول وغيرها[١].

هذا وتقدم لنا التوراة اليهود فى عصر القضاة ـ وعلى أيام «دبورة»[٢] النبية القاضية ـ بالذات، على أنهم أربعون ألفًا من المحاربين[٣]، ثم هم بعد ذلك على أيام داود عليه السلام (وبعد حوالى نصف قرن من الزمان) على أنهم مليون وثلاثمائة ألف[٤]، مما يدل على أنهم كانوا على أيام الملكية، خليطًا من الإسرائيليين والكنعانيين، وإن كانت الأرقام ـ رغم ما فيها من مبالغة تميزت بها التوراة[٥] ـ تدل على أن الغالبية العظمى، إنما كانت من الكنعانيين[٦].

ولعل من الجدير بالإشارة هنا أن «السبى الاشورى» (فى عام ٧٢٣ق.م) ثم «السبى البابلى» (٥٨٧-٥٣٩ق.م) إنما كانا ـ دونما ريب ـ سببًا فى تهجير آلاف اليهود إلى العراق، واستبدالهم بآخرين، فضلا عما حدث أثناء ذلك من اختلاط جنسى بين الغزاة الآشوريين والبابليين، وبين نساء بنى إسرائيل ـ راضيات كن أم كارهات حتى أن سفر «عزرا» ـ والذى كتب أثناء السبى البابلى ـ لا يتحدث ـ كما أشرنا من قبل ـ إلا عن هذا الاختلاط فى معظمه[٧].

---

(١) خروج ٣٨/١٢؛ قضاة ١٦/١، ٤١/١١؛ راعوث ١/١-٤، ١٢/٤-١٣؛ صموئيل ثان ٢/١١-٢٤؛ أخبار أيام أول ٩/٢، ١٨-٢٠، ٢٥-٢٧، ٣٣، ٤٢، ٣٢/١١، ٣٠/٢٧؛ وكذا:
A. Lods, Israel From Its Beginnings to The Middle Of The Eighth Century, London, 1962, p. 391.

(٢) انظر عن «دبورة»: قضاة ٤/٤-٥/٣٠؛ محمد بيومى مهران، إسرائيل، ٦٣١/٢-٦٣٤.

(٣) قضاة ٨/٥.

(٤) صموئيل ثان ٩/٢٤.

(٥) انظر: محمد بيومى مهران، إسرائيل، ٣٠١/٣-٣٢٣، ط ١٩٧٨.

(٦) A. Lods, op.cit., p. 333.

(٧) عزرا ١/٩-١٠، ٤٤؛ وانظر: لروت الأسيوطى، المرجع السابق، ص ١٨٠.

ولعل من الأهمية بمكان الإشارة الإشارة هنا إلى أنه فى «العصر المكابى» (١٦٦ق.م-١٣٥م) أجبر «يوحنا هيركانوس» (١٣٥-١٠٥ق.م) الآدوميين ـ أبناء عيسو ـ حوالى عام ١٢٦ق.م، على الختان، واعتناق اليهودية، رغبة منه فى إزالة الفوارق الدينية بين اليهود والآدوميين، فضلا عن نشر اليهودية بين الآدوميين، ومن ثم فقد انضم أبناء عيسو إلى بنى إسرائيل، ثم أصبحوا جميعًا يهودًا(١).

٤ ـ فى أوروبا:

ويستمر الامتزاج ـ طوعًا أو كرهًا ـ باليونان والرومان، حتى إذا ما حدث الشتات، وتفرق اليهود فى الأرض بددًا، اختلطوا بغيرهم، ولعل من الأمثلة الهامة على هذا الاختلاط: النساء اليهوديات اللائى تم بيعهن كإماء وأخذن إلى مقاطعة «الراين» كزوجات لجنود الرومان، غير أن بعض هؤلاء الجنود هجروا هؤلاء النسوة اليهوديات، عند نقلهم إلى مواقع أخرى، فشب أبناؤهم كيهود ـ وهم فى الأصل من جنس رومانى.

وعلى أية حال، فالثابت أن التحول والاختلاط كانا من المظاهر المتفشية قبل العصر المسيحى مباشرة وفى قرونه الأولى كذلك، ذلك أن اليهود عندما تشتتوا فى العالم المتوسطى، وجدوا أنفسهم إزاء اختيارين:

الأول: أن يرتدوا إلى الوثنية ـ كجيرانهم الجدد، والثانى: أن يحتفظوا بديانتهم اليهودية. وهناك ـ كما يقول «بيرجل»(٢) ـ أصبح الكثيرون ـ ربما الأغلبية وثنيين، وذلك لأن من بين القبائل الاثنى عشر، عشرة قبائل مفقودة، كما تحدثنا الروايات.

---

(١) سفر المكابيين الأول ٤/٢٩، ٥/٦٥؛ إسرائيل ولفنسون، تاريخ اليهود فى بلاد العرب، القاهرة ١٩٢٧، ص٧٢؛ تاريخ اللغات السامية، القاهرة ١٩٢٩، ص ١٠٥؛ فيليب حتى، تاريخ سورية ولبنان وفلسطين، ١/٢٦٩، (بيروت ١٩٥٨)؛ وكذا:

Jasphus, Antiquities of The Jews, XIII, p. 7.

(٢) E. E. Bergel, Urban Sociology, McGraw-Hill, 1955.

وفي حالة التحول: كان اليهود يفقدون كيانهم الجنسي، جنبًا إلى جنب، مع كيانهم الديني، ويصبحون جزءاً لا يتجزأ من الأمة التي أقاموا بينها.

وأما إذا ظلوا على يهوديتهم، فإنها إذن «العزلة الاجتماعية»، ومن ثم فلا تزواج، إلا إذا تحول الوثنيون إلى اليهودية، وهذا بالدقة ما حدث مراراً وتكراراً، لأن اليهود ـ على عكس ما هو مشاع ـ قاموا بكثير من التبشير بنجاح عظيم، عبر قرون طويلة، وهذا ما يفسر جزئيًا تنوعهم وتباينهم الجنسي[1].

غير أن هذا الموقف سرعان ما تغير بعد أن أصبحت المسيحية الديانة الرسمية للإمبراطورية الرومانية ومن ثم فقد أصبح التحول إلى اليهودية صعباً، ولكن التزواج والعلاقات غير الشرعية لم تتوقف.

وأما في العصور الوسطى، حيث أصدرت المجالس الكنسية قرارات صارمة بمنع زواج المسيحيين باليهود ـ كما فعل مجلسا توليدو في عامي ٥٣٨، ٥٨٩م، ومجلس روما في عام ٧٤٣م ـ فإن أغلب الكتّاب يفسرها على أنها دليل على خطورة المدى الذي كان الزواج المختلط قد وصل إليه بالفعل.

وهناك ما يشير إلى أن الملك «ريكاردو» كان يكره اليهود ـ وخاصة بعد اعتناقه للنصرانية ـ ومن ثم فقد كان من وراء قرارات «المجمع الكنسي» الذي انعقد في عام ٥٨٩م في طليطلة، والتي من أهمها:

١ ـ منع استخدام اليهود للمسيحيين في أي نوع من الأعمال.

٢ ـ فصل كل اليهود الذين في خدمة الحكومة، ومراعاة عدم تعيينهم مستقبلا.

---

(١) انظر: محمد بيومي مهران، الحضارة العربية القديمة، ص ٤٠٣-٤٣٢.

٣ - ضرورة عتق أى عبد مسيحى مملوك ليهودى.

٤ - منع زواج المسيحيات باليهود.

٥ - منع الختان الذى كان يفرضه اليهود على عبيدهم، وخدمهم، ومعاقبة أى يهودى يفرض الختان على خدمه وعبيده بمصادرة أملاكه.

٦ - ضرورة تعليق اليهودى شارة مميزة فى مكان ظاهر، حتى يعرفه الجميع.

وقد أصبحت هذه الاقتراحات قانوناً فى الدولة، ولكن تنفيذها لم يكن صارماً - شأن أى قانون فى العصور الوسطى، فاستمر بعض النصارى عبيداً لليهود، ولم يمتنع اليهود عن مخالطة النساء النصرانيات.

بل إن اليهود إنما بدأوا يستهزئون بالمسيحية ومعتنقيها، وكان استهزاؤهم بشكل واضح إنما يظهر فى عيد «البوريم»[١] الذى كانوا يحرقون فيه صليباً[٢].

وفى عام ٦٣٣م حدّد المجلس الكنسى - فى دورته الرابعة - قراراته السابقة (قرارات عام ٥٨٩م) ثم أضاف إليها ما يأتى:

١ - يتحتم على كل يهودى أن يسلم أبناءه عند بلوغهم السابعة للكنيسة لتعميدهم وتربيتهم تربية مسيحية.

٢ - يسلم كل يهودى ارتد عن المسيحية لأحد النصارى لاتخاذه عبداً.

غير أن هذه القرارات كسابقتها، لم ينفذ منها إلا القليل[٣].

وعلى أية حال، فإن الأمر قد تغير تماماً فى ظلال الخلافة الإسلامية فى الأندلس، فمنح اليهود حق التنقل فى أنحاء البلاد، والتجارة والوظائف العامة، وأعيدت لهم حقوقهم التى صادرتها الحكومة السابقة، وأعادت لهم

(١) انظر عن عيد البوريم أو المسخرة : محمد بيومى مهران، إسرائيل، ١٧٩/٤-١٨١.

(٢) انظر : Graetz, History of The Jews, II, p. 648.

(٣) محمد بحر عبد المجيد، اليهود فى الأندلس، القاهرة ١٩٧٠، ص ١٣-١٧.

الكنيسة أبناءهم، الأمر الذى أدى إلى هجرة كثير من يهود أوروبا إلى الأندلس[١]. وكان اليهود يتجمعون فى مدن معينة، كقرطبة والملقا وطليطلة وإشبيلية وسراقسطة، وإلبيرة والبيسانة التى يقول الإدريسى (١١٠٠-١١٦٦م) : إن سكانها كانوا من اليهود فقط، ولا يداخلهم فيها مسلم[١].

وفى ظلال هذا التسامح الإسلامى، أتيحت الفرصة لكثير من أبناء يهود فى أن يظهروا فى المجتمع الأندلسى كشخصيات عامة ومرموقة، من أمثال : صموئيل اللاوى بن يوسف بن نغرية، والمشهور عند العرب باسم «إسماعيل بن يوسف بن نغرية»، والذى وصل إلى منصب الوزير عند «باديس» فى غرناطة، بل إنه كان يقود الجيش ضد أعداء باديس.

وسرعان ما لازمته الخسة اليهودية، فتنكر للإسلام والمسلمين، بل وتطاول على الإسلام، وكتابه وقرآنه، واستهزأ بالمسلمين، وألّف كتابًا يطعن فيه على الإسلام والقرآن العظيم[٢]، وقد رد عليه الإمام ابن حزم (٣٨٤-٤٥٦هـ/٩٩٤-١٠٦٤م) بكتاب سمّاه «الرد على ابن نغريه» اليهودى[٣]

ولعل من الأهمية بمكان أن هناك ثمة أدلة أخرى على الاختلاط والتحول على نطاقات إقليمية:

فالسفارديم Saphardim قبل خروجهم من إسبانيا، إنما كانوا قد استوعبوا دماء إيبيرية وغربية وبربرية» كثيرة فى عروقهم، والأمر كذلك بالنسبة إلى دخول الإسلام مباشرة.

وأما فى أوروبا، فالأدلة التاريخية تشير بكل قوة إلى أجداد «الأشكنازيم»

---

(١) نفس المرجع السابق، ص ٢٠-٢١؛ الإدريسى، المغرب وأرض السودان ومصر والأندلس، ص٢٠٥.

(٢) محمد بحر عبد المجيد، المرجع السابق، ص ٣٩-٤٩.

(٣) صدر الكتاب فى القاهرة ١٩٦٠، بتحقيق إحسان عباس

Ashkenazim اختلطوا مع أبناء غرب أوروبا إلى ما قبل «الحروب الصليبية» اختلاطاً أقوى من اختلاط أجدادهم من أبناء البلاد السلافية فى شرق أوروبا.

هذا ـ ورغم الاضطهاد الطويل الذى عاناه اليهود على أيدى النصارى ـ فإن ذلك لم يحل بين اليهود، وبين امتصاص عناصر نصرانية جديدة، بطريق الزواج، وفى ذلك يقول «ربلى» : من المرجح أن كثيراً من الدم المسيحى قد امتصه اليهود بواسطة «الزواج» الخفى» أو «المخالف للقانون» ولقد سنت قوانين كثيرة فى العصور الوسطى تحرّم على اليهود أن يتخذوا خادمات من النصارى.

غير أن هذه القوانين إنما كانت قليلة الغناء، لأننا نجد أحد الأساقفة من «المجر» عام ١٢٢٩م، يقرر أن هناك يهوداً عديدين يعيشون عيشة غير شرعية، مع زوجات من النصارى، هذا فضلا عن أن المتحولين إلى الديانة اليهودية يعدون بالآلاف.

ثم يقول : إن هذا التحريم إنما كان مقصوراً على الحرائر، أما الإماء فلم يكن هناك تشريع يحميهن.

ومن ثم، فلم يكن هناك حائل، بين إمكانية التهود والزواج من اليهود. وفى إسبانيا والبرتغال، حدث العكس ـ بعد الاسترداد ـ إذ أجبر مئات من الألوف من اليهود على اعتناق النصرانية بالقوة والتحول إلى المسيحية، حيث ذابوا بعدها فى السكان المسيحيين[(١)].

٥ ـ فى آسيا:

يحدثنا المؤرخون أن للتتار دوراً هامًا فى التاريخ اليهودى، فقد قامت

---

(١) محمد عوض، المرجع السابق، ص ١٥٣ ؛ وانظر:

W.Z. Ripley, The Races of Europe, London, 1900.

دولة فى القرن السابع الميلادى، هى دولة «الخزر التترية»، التى تحولت بالجملة إلى اليهودية فى القرن الثامن ـ على أيام شرلمان (٧٤٢-٨١٤م)، بينما بالمقابل تحول اليهود المهاجرون إلى لغة الخزر التركية، المسماه «جاجتاى» Jagatai، وبهذا أصبح فى المنطقة نوعان من اليهود: يهود أصليون مهاجرون، وآخرون متحولون من السكان المحليين[١].

وهكذا رأينا فى القرن الثامن الميلادى شعبًا بأسره يعتنق اليهودية ـ وليس له ببنى إسرائيل أية صلة جنسية ـ وذلك حين اعتنق بولان «ملك قبائل «الخزر المنغولية» الديانة اليهودية فى عام ٧٤٠م، ثم اتخذها دينًا رسميًا للخزر.

ويذهب البعض إلى أن هذه القبائل المنغولية إنما قد طبعتها طبائع القسوة المتعطشة إلى الدماء التى كانت تتميز بها تلك القبائل المنغولية، وقد رغب مسلمو الشرق فى أن يرشدوا هؤلاء الخزر إلى الإسلام وسماحته، وفى نفس الوقت رغب مسيحيو الغرب فى أن ينشروا السلام فى هذه المملكة المنغولية الدموية.

وكان ذلك كله: دافعًا لحاكم هذه القبائل على الاطلاع على الدين اليهودى ـ كما تقدمه توراة يهود ـ فصادف هذا الدين فى نفس «بولان» هوى، فقد وجدفيه ـ بما يحتويه من طقوس دموية، وبما يشتمل عليه من شرائع تبيح كل أنواع القسوة ـ تفسيرًا لأصول دينه الوثنى، فاعتنق اليهودية دينًا فى عام ٧٤٠م، ثم تبعته حاشيته، فشعبه، ثم أعلنه دينًا رسميًا لقبائل الخزر المنغولية[٢].

---

(١) جمال حمدان، المرجع السابق، ص ١٨.

(٢) محمد بحر عبد المجيد، المرجع السابق، ص ٧٤-٧٨؛ وأبكار السقاف، إسرائيل وعقيدة الأرض الموعودة، القاهرة ١٩٦٧، ص ٤٩؛ وانظر: يهوذا بن صموئيل اللاوى، الحجج والدليل فى نصرة الدين الذليل.

وعلى أية حال، فقد كان للخزر مركزان : الواحد: على سواحل بحر قزوين (بحر الخزر) عند مصب الفولجا، والآخر فى القرم، وقد ألغى المركز القزوينى فى القرن العاشر الميلادى، ولكن مركز القرم ظل حتى القرن الحادى عشر، إلى أن تحطم على يد دولة «كييف السلافية» الجديدة، والتى تمثل طلائع الدولة الروسية الحديثة.

وعندما انتشر كثير من الخزر ـ من يهود ومتهودين ـ فى أجزاء كثيرة فى جنوب روسيا، بالإضافة إلى ما عسى أن يكون قد دخلها من قبل من «يهود البلقان المهاجرين»، حيث يمكن أن نتتبع ظهورهم ـ على الطريق ـ فى «روثنيا» فى القرنين (١٠، ١١)، وفى بولندا فى القرنين (١٢، ١٤).

وفى عام ١١١٠م، منعت روسيا نهائيًا دخول أى يهود جدد بها، وحددت للموجودين منهم مناطق معينة لا يقيمون خارجها، وهى التى ستؤلف النطاق الذى سيعرف تاريخيًا باسم «حظيرة اليهود» Jewish Pale[1].

٦ ـ فى بلاد العرب:

لا ريب فى أن هناك دليلا على أن اليهودية بدأت تأخذ طريقها إلى بلاد العرب منذ القرن العاشر قبل الميلاد، وعلى أيام سليمان عليه السلام (٩٦٠-٩٢٢ق.م)، حيث يروى القرآن الكريم ـ فى سورة النمل ـ قصة ملكة سبأ مع سليمان عليه السلام، وكيف بدأت بدعوة النبىّ الكريم ملكة سبأ إلى الإسلام (على أساس دعوة موسى ومن بعده من أنبياء بنى إسرائيل، وحتى قبل المسيح عليه السلام).

هذا، وقد انتهت القصة ـ بعد أن تأكدت ملكة سبأ أن نبىّ الله سليمان عليه السلام إنما يبغى لها ولقومها الهداية إلى سواء السبيل ـ بأن

---

(١) جمال حمدان، المرجع السابق، ص ١٨.

قالت الملكة ﴿ربِّ إنّى ظلمتُ نفسى، وأسلمتُ مع سليمانَ لله ربِّ العالمين﴾(١)

وهكذا يكذّب القرآنُ الكريم أسطورة النقاوة الجنسية عند اليهود، وأن كل يهود العالم من نسل يهود التوراة، ذلك لأن ملكة سبأ ليست وحدها هى التى أسلمت، وإنما أسلم معها الملأ من قومها - على الأقل - إن لم يكن بعض شعبها، على عادة تقليد الملوك وكبار القوم.

هذا وهناك من المؤرخين من يذهب إلى أن «بنى النضير» و«بنى قينقاع» - وهما فرعان من قبيلة جذام العربية - قد تهوّدوا، وسمّوا بالمكان الذى نزلوا فيه(٢)، وطبعًا لرواية الإخباريين فإن «جبل بن جوال» من «بنى ثعلبة بن سعد بن ذبيان» قد تهوّد هو وقومه، وعاش مع بنى قريظة، حتى ظهور الإسلام، ثم هداه الله إلى الدين الحق، فأسلم وحسن إسلامه(٣).

وهناك «كعب بن الأشرف» - اليهودى المشهور - وكان من «بنى طيء» ثم أحد «بنى نبهان»، ولكن أمه من يهود بنى النضير، وقد قتله المسلمون بسبب تشبيبه بنساء المسلمين الطاهرات، وبسبب شعره فى التحريض على مولانا وسيدنا وجدنا محمد رسول الله ﷺ، فضلا عن تحريض قريش على محاربة المسلمين فى المدينة والثأر لقتلاها فى بدر(٤).

---

(١) انظر: سورة النمل، آية : ٢٠-٤٤؛ وانظر: تفسير الطبرى، ١٤٣/١٩-١٧٠؛ تفسير الطبرسى ٢٠٨/١٩-٢٣٠؛ تفسير ابن كثير ٥٧٦-٥٨٦؛ تفسير أبى السعود ١٢٧/٤-١٣٤؛ فى ظلال القرآن ٢٦٣١/٥-٢٦٤٣؛ تفسير البيضاوى ١٧٣/٢-١٧٨؛ تفسير الكشاف ١٤٢/٣-١٥١؛ تفسير روح المعانى ١٨٢/١٩-٢١٠؛ تفسير القرطبى ١٧٦/١٣-٢١٣؛ حاشية زاده على البيضاوى ٤٩٣/٣؛ صفوة التفاسير ٤٠٧/٢-٤١٠؛ تفسر النسفى ٢٠٧/٣-٢١٥.

(٢) تاريخ اليعقوبى ٣٦/٢-٣٩ (بيروت ١٩٦٠).

(٣) ابن حجر العسقلانى، الإصابة فى تمييز الصحابة، ٢٢٣/١، القاهرة ١٩٣٩؛ ابن عبد البر، الاستيعاب فى معرفة الأصحاب، ٣٢٢/١.

(٤) ابن هشام، سيرة النبىّ ﷺ، ٥١/٢-٥٢، (القاهرة ١٩٥٥)؛ ابن كثير، السيرة النبوية، ٩/٣-١٥؛ صحيح البخارى، ٧٩/٢-٨٠؛ ابن حزم، جوامع السيرة، ص ١٥٤-١٥٦؛ ابن

وهناك الكثير من العرب المتهودة ـ ولاسيما القبائل المسماة بأسماء عربية أصيلة ـ لها صلة بالوثنية، مما يدل على أنها كانت وثنية قبل أن تتهود، ومن ثم فهناك الكثير من البطون العربية التي تهودت(١).

والتاريخ يحدثنا أن قوماً من الأوس والخزرج قد تهوَّدوا ـ بعد خروجهم من اليمن، ومجاورتهم ليهود خيبر وقريظة والنضير، كما تهود قوم من «بني الحارث بن كعب» وقوم من غسان، وقوم من «بلي»(٢).

هذا وهناك ما يشير إلى أن «المرأة المقلات» في الجاهلية، إنما كانت تنذر: إن عاش لها ولد أن تهوده، ومن ثم فقد تهوَّد بعض منهم، فلما جاء الإسلام أراد بعض الأنصار إكراه أبنائهم عليه، فنهاهم الله تعالى عن ذلك(٣)، حيث يقول سبحانه وتعالى: ﴿لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾(٤).

سعد، الطبقات الكبرى، ٢١/١-٢٣؛ تاريخ الطبري، ٤٨٧/٢-٤٩١؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ ١٤٣/٢-١٤٤؛ محمد بيومي مهران، السيرة النبوية الشريفة، ٢٧٠/٢-٢٧٥ (بيروت ١٩٩٠)؛ زاد المعاد، ١٩١/٣-١٩٢؛ القاضي عياض، الشفا، تعريف حقوق المصطفى، ٢٢١/٢؛ محمدأبو زهرة، خاتم النبيين، ٦٨٦/٢-٦٩١.

(١) D.S. Margoliouth, The Relations Between Arabs and Israelites Prior to The Rise of Islam, London, 1924, p. 60; D. Noldeke, in EB, 24, 1911.

(٢) تاريخ اليعقوبي، ٢٥٧/١؛ جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ٥٢٥/٦ وكذا: H.Graetz, History of The Jews, II, Philadelphia, 1956, p. 408; Islamic Culture, III, 2, p. 177.

(٣) البيهقي، السنن الكبرى، ١٨٦/٩؛ سنن أبي داود ٧٨/٣-٧٩؛ إسرائيل ولفنسون، تاريخ اليهود في بلاد العرب، ص ٧٨٨.

(٤) سورة البقرة، آية : ٢٥٦؛ وانظر : تفسير المنار ٣٥/٣-٤٠؛ تفسير الطبري، ٤٠٧/٥-٤٢٤؛ تفسير الطبرسي، ٣٠٤/٣-٣٠٧؛ تفسير أبي السعود ١٨٩/١-١٩٠؛ الدر المنثور في التفسير بالمأثور للسيوطي ٣٢٩/١-٣٣١؛ تفسير الكشاف ٣٨٧/١؛ تفسير ابن كثير ٤٥٩/١-٤٦٢؛ تفسير القرطبي، ٢٩٣/٣-٢٩٦؛ تفسير روح المعاني ١٣/٣-١٥؛ مسند الإمام أحمد ١٨١/٣؛ ٤٦/٥، ٤٥٢، ١٦٠/٧.

هذا ـ وكما أشرنا من قبل ـ فإن اليهودية بدأت تأخذ طريقها إلى اليمن منذ القرن العاشر قبل الميلاد ـ على أيام سليمان وملكة سبأ ـ ثم زاد انتشارها بعد تدمير «بيت المقدس» على يد القائد الرومانى «تيتوس» فى عام ٧٠م، ومن ثم فإن أصحاب هذا الاتجاه الأخير، إنما يرون أننا لو تفحصنا أسماء اليهود المقيمين فى بلاد العرب، لرأينا أن معظمهم آراميون، وعرب متهودون، وليسوا من بنى إسرائيل ـ من ولد إسحاق من إبراهيم عليهما السلام[١].

وهناك من يرى أن الملك الحميرى «أب كرب أسعد» (حوالى ٤٠٠-٤١٥م) إنما قد تهوّد ثم فرض اليهودية على الحميريين ـ فيما تروى المصادر العربية[٢].

وفى عهد «ذى نواس» (٥١٥-٥٢٥م) زاد انتشار اليهودية، بسبب تهوده، ورغبة منه فى أن يقاوم ديناً سماوياً بدين سماوى آخر (مقاومة النصرانية باليهودية)، ومن ثم فهو يمثل الروح القومية فى اليمن، وذلك حين رأى فى النصارى من مواطنيه ما يذكره بحكم الأحباش المسيحيين البغيض [٣]، بخاصة وأن النصرانية قد أصبحت وقت ذاك إنما تستند إلى قوة الإمبراطورية الرومانية الشرقية الطامعة فى غزو اليمن[٤].

على أن هناك من يرى أن «ذا نواس» إنما كان فى الأصل ـ طبقاً لرواية ابن العبرى ـ من أهل الحيرة، وأن أمه اليهودية من «نصيبين» وقعت

---

(١) P. K. Hitti, History of the Arabs, London, 1960, p. 61.

(٢) انظر : تاريخ الطبرى ١٠٧/٢-١١١؛ تاريخ اليعقوبى ١٩٨/١؛ ابن كثير، البداية والنهاية ١٦٤/٢-١٦٧؛ الأزرقى، أخبار مكة ٢٤٩/١؛ تاريخ ابن خلدون ٥٣/٢-٥٤؛ تفسير الطبرى، ١٥٤/٢٧؛ تفسير الخازن ١١٥/٤ .

(٣) P.K. Hitti, op.cit., p. 62.

(٤) عبد المجيد عابدين، بين الحبشة والعرب، القاهرة ١٩٤٧، ص ٤٥.

في الأسر، فتزوجها والد يوسف (ذو نواس) فأولده منها، ومن ثم فهو يهودي وفد إلى اليمن من الحيرة[١].

وعلى أية حال فإن كثيراً من المؤرخين إنما يذهبون إلى أن يهود بلاد العرب، إنما هم عرب قد تهودوا، وإن لم يكونوا مزودين بمعلومات كافية عن التوحيد، ولم يكونوا خاضعين لقانون التلمود كله، حتى أن بعضاً من يهود دمشق وحلب ـ في القرن الثالث الميلادي ـ أنكروا عليهم يهوديتهم، وإن كانوا ـ مع ذلك ـ شديدي التمسك بدينهم[٢].

وهكذا يبدو بوضوح أن اعتناق اليهودية لم يكن أبداً مقصوراً على بني إسرائيل فحسب، وإنما اعتنقها أقوام آخرون، من غير بني إسرائيل، وأن هؤلاء اليهود من غير بني إسرائيل ـ أو هؤلاء المتهودين من غير أبناء يعقوب (إسرائيل) ـ إنما كان اعتناقهم لليهودية ـ أو تهودهم ـ لأسباب مختلفة.

فهناك من اعتنق اليهودية إيماناً بها، وبنبيها موسى عليه السلام، على أنها دين سماوي، كما أشار القرآن الكريم إلى السحرة المصريين على أيام موسى عليه السلام[٣]، وإلى ملكة سبأ على أيام سليمان عليه السلام[٤]، ـ ومن سار في ركابهما، كما فعل العبيد والأسارى الذين لحقوا بموكب الخروج من مصر ـ في القرن الثالث عشر ق.م[٥] ـ كما تشير التوراة إلى ذلك[٦].

على أن هناك فريقاً من المتهودين إنما قد فرضت عليهم اليهودية،

(١) جواد علي، المرجع السابق، ٥٩٣/٢؛ ثم قارن. الهمداني، الإكليل، ٦٣/٢.

(٢) انظر: سورة طه، آية: ٥٧-٧٩.

(٣) انظر: سورة النمل، آية: ٢٠-٤٤.

(٤) محمد بيومي مهران، إسرائيل، ٤٤٣/١-٤٥٥.

(٥) خروج ٣٨/١٢.

بقوة الدولة وسلطانها، على أيام دولة إسرائيل فى فلسطين ـ كما حدث بالنسبة إلى الكنعانيين على أيام الملكية الإسرائيلية.

وهناك من فرضت عليهم اليهودية بحد السيف ـ كما حدث بالنسبة إلى الآدوميين فى القرن الثانى قبل الميلاد.

وهناك من ولدوا من أمهات يهوديات تزوجن من جنود الرومان، بعد فشل ثورة «باركوخيا» فى أغسطس عام ١٣٥م، وتدمير بيت المقدس، والقيام بمذبحة مروعة، ختمت حياة اليهود فى فلسطين ـ كدولة وكقومية ـ وتشريد البقية الباقية من يهود فى جميع أنحاء الإمبراطورية الرومانية، ثم زواج كثير من بنات يهود من جنود الروم، الذين سرعان ما تركوهم ـ بعد حين من الدهر ـ فشب أبناؤهم يهوداً كأمهاتهم.

وهناك من اعتنق اليهودية، لأن طقوسها الدموية تتفق وطباعهم المتعطشة إلى الدماء، كقبائل الخرز المنغولية.

وهناك من اعتنقوا اليهودية لأسباب قومية كالحميريين، وهناك من اعتنقوا اليهودية تبشيراً بها من يهود، ومن اعتنقوها لأنهم كانوا مطالبين بثأر، فهجروا مواطنهم إلى مواطن أخرى تسكنها يهود، أبت عليهم مجاورتها، إلا أن يتهودوا، كما حدث مع «بنى حسنة بن عكارمة» وهم بطن من قبيلة «بلى».

وليس هناك من ريب فى أن كل هذا، إنما يمنع أى شك فى أن اعتناق اليهودية لم يكن أبداً، مقصوراً على بنى إسرائيل وحدهم، بل هناك شعوباً أخرى ـ غير بنى إسرائيل ـ قد اعتنقت اليهودية، ولا تنتمى إلى بنى إسرائيل التوراة بأية صلة قرابة ـ من قريب أو من بعيد.

٧ - وأما فى العصر الحديث:

فتتوافر الأدلة فى أمريكا الوسطى والجنوبية على تحول كثير من «الهنود الحمر» إلى اليهودية، ولا علاقة لهم - جنسيًا ودمويًا - باليهود أصلا.

ولعل هذا يدفعنا إلى القول : بأنه من الواجب على كل منكر أن يفرق بين انتشار بنى إسرائيل وبين انتشار دينهم، بل من الواجب أن نذكر أن انتشار الدين اليهودى قد قضى على بنى إسرائيل، كسلالة جنسية متميزة، ذلك لأن انتشار الدين اليهودى إنما قد خلق أجيالا وطوائف من اليهود، لا تمت إلى بنى إسرائيل بأية صلة، سوى صلة العقيدة، ذلك أننا لو فرضنا جدلا أن الذين حملوا الدين اليهودى إلى الأقطار المختلفة، كانوا من أصل فلسطين، فإنهم لم يكونوا سوى قطرة فى بحر من الشعوب، وسلالات لا تربطها ببنى إسرائيل رابطة جنسية أو سلالية. وفى هذا يقول الأستاذ «أوجين تار» - أستاذ علم الأنثروبولوجيا بجامعة جنيف - «إن جميع اليهود بعيدون عن الانتماء إلى الجنس اليهودى»، ثم يقول: «إن اليهود يؤلفون جماعة دينية اجتماعية قوية من غير شك، شديدة التماسك، ولكن العناصر التى تتألف منها متنوعة تنوعًا عظيمًا»[1]، حتى بات جسم اليهود فى آخر المطاف - شيئًا مختلفًا أنثروبولوجيا عن يهود التوراة، إن لم يكن لا علاقة لهم بهم تقريبًا، أو فى الأغلب الأعم، أو على الأقل - كما يقول «ربلى» إن تسعة أعشار اليهود فى العالم يختلفون عن سلالة أجدادهم اختلافًا واسعًا، ليس له نظير، وأن الزعم بأن اليهود جنس نقى حديث خرافة، ولقد أصاب الأستاذ «رينان» فى تأكيده بأن كلمة «يهودى» ليس لها أى معنى أنثروبولوجى - لا فى أوروبا، ولا فى حوض نهر الطونة على الأقل، وصدق الأستاذ «المبروز» فى ملاحظته، بأن اليهود الحديثين، هم أدنى إلى الجنس الآرى، منهم إلى الجنس السامى[2].

---

(١) محمد عوض محمد، المرجع السابق، ص ١٤٧.

(٢) جمال حمدان، المرجع السابق، ص ١٥٥.

ومن الأدلة القاطعة ـ بل والمثيرة ـ على اختلاط اليهود فى العصور الحديثة والوسيطة فى أوروبا، ما كشفت عنه تجربة النازية فى ألمانيا، فقد كان على المرء الذى يبغى إثبات الدم الآرى فيه، أن يقدم نسبًا يخلو لعدة أجيال من العناصر غير الآرية ـ يعنى اليهودية هنا بالتحديد ـ ولكن المفاجأة أن التجربة كشفت أن عددًا ضخمًا من الحالات من المواطنين الألمان «إلى أقصى حد»، ثبت أن أجدادهم ـ وأجداد أجدادهم ـ تجرى فى عروقهم الدماء اليهودية ـ تمامًا كماتردد عن «بشار فاجنر ـ .

والخلاصة الموضوعية: أن يهود العالم اليهود مختلطون في جملتهم، اختلاطًا بعُدَ بهم عن أى أصول ـ إسرائيلية فلسطينية قديمة ـ حتى لم تعد هذه تمثل فى تكوينهم، إلا قطرة فى محيط، وإذا كان هناك تحفظ ما، فهو أن هناك مراحل ودرجات من هذا التخليط، فبعض المجتمعات اليهودية ـ كيهود التركستان ـ أقل تهجنًا وتخلطًا، والبعض أكثر «كالإشكنازيم»، غير أن الحقيقة الحاسمة والفاصلة هى أن الأقل تخليطًا، إنما يمثلون عدديًا، نسبة بالغة الضآلة من مجموع اليهود فى العالم، بينما أن المخلطين تمامًا ـ والذين ابتعدوا جدًا أو كلية عن الأصول الأولى ـ يشكلون الأغلبية الساحقة منهم.

ومن هنا، فلا جناح علينا، إذا قررنا فى النهاية أن اليهود ليسوا من بنى إسرائيل، وأن هؤلاء وأولئك شىء آخر أنثروبولوجيا، وليست هناك رابطة بين الطرفين إلا الدين، والدين فقط[(١)].

وانطلاقًا من كل هذا، وما ذكرناه من نصوص التوراة التى تثبت مصاهرة بنى إسرائيل لجيرانهم فى عصر التوراة، والاختلاط الذى حدث بينهم، وبين المصريين قبل الخروج، وبين الآشوريين والبابليين فى فترات

---

(١) حسن ظاظا، المرجع السابق، ص ١٩-٢٠.

السبى، واستمرار الامتزاج ـ طوعًا أو كرهًا ـ باليونان والرومان، ثم الأتراك والعرب، والأوروبيين فى العصور القديمة والوسيطة والحديثة، وتهوّد مجموعات جنسية كالخرز والحميريين والآدوميين من قبل.

من كل هذا تبدو أسطورة النقاوة الجنسية لدى أى مفكر، وكأنها سراب، بخاصة، وأن «الجيتو» فى أوروبا، كان طوال العصور الوسطى هدفًا لكل منتهكى الأعراض أثناء حملات الحقد التى يتحدث عنها اليهود أنفسهم، لإثبات تهمة مناهضة اليهود، أو «عداء السامية»، على الأمم الأخرى، فهذه المجموعات الصغيرة من الناس التى وقفت آلاف السنين فى مهب جميع الرياح، وامتزجت بكل الدماء ـ حلالا وحرامًا ـ هى آخر من يستطيع اليوم أن يتكلم عن العنصر أو النسب أو الدم، ولكنها الخرافة التى تسوق الجهال من الناس والتى نجحت نجاحًا محدودًا فى وقت ما، فإنها لا تفتأ تجر أبشع الكوارث على من يؤمنون بها، من اليهود أو من غيرهم.

ومن ثم، فلا مكان لتلك الخرافة التى تزعم أن جميع اليهود فى جميع أنحاء العالم من نسل بنى إسرائيل، ذلك لأن الصهيونية يوم أن قامت، لم تكن تجمع اليهود سحنة واحدة، ولا تربطهم عادات وتقاليد متفقة، ولا لهم لغة واحدة،. ولا يشملهم اقتصاد واحد، فعملوا على مدى قرن من الزمان مرتزقة للاستعمار، ثم خدعوا أبناء دينهم بهذه الجعجعة العنصرية الخرافية «النقاوة الجنسية عند اليهود» ولما كان اليهود البسطاء حديثى عهد بالجهل والبؤس، والخضوع بدون مناقشة فى «حارات اليهود» التى عاشوا فيها عشرات القرون، فقد صدقوا هذه الأسطورة، حتى وصلت بهم درجة الاستعداد للموت فى سبيلها، وهى أقصى درجة من درجات التعصب[1].

---

(١) حسن ظاظا، المرجع السابق، ص ١٩-٢٠.

والنتيجة النهائية لكل هذا: أن اليهود اليوم - أو المتهودين على الأصح - جاءوا من جميع الآفاق، واختلطت بهم كل الدماء، ومن هنا، فمن المستحيل أن نتصور أن اليهود ذوى الشعر الأشقر أو الكستنائى، والعيون الصافية اللون، الذين نلقاهم كثيراً فى أوروبا الوسطى يمتون بصلة القرابة - قرابة الدم - إلى أولئك الإسرائيليين القدامى الذين كانوا يعيشون بجوار نهر الأردن، فضلا عن أن يكونوا أقرباء لليهود السود أو اليهود من الهنود الحمر أو الزنوج.

وتخريجًا من هذا، وترتيبًا عليه، فإن يهود أوروبا - عماد الصهيونية ودعاتها - هم من أصل أوروبى، هم أقارب الأوربيين والأمريكيين، بل هم - فى الغالب الأعم - بعض وجزء منهم وشريحة لحمًا ودمًا، وإن اختلفت دياناتهم ومن هنا فإن اليهود فى أوروبا وأمريكا ليسوا - كما يدعون - غرباء أو أجانب دخلاء، يعيشون فى المنفى، وتحت رحمة أصحاب البيوت، وإنما هم من صميم أصحاب البيت، نسلا وسلالة - لا يفرقهم عنهم سوى الدين.

وأما أين يمكن أن يكون اليهود غرباء فى منفى، ودخلاء بلا جذور، فذاك فى «بيت العرب» وحده، فى فلسطين، حيث لا يمكن وجودهم، إلا أن يكون استعماراً أو اغتصاباً، بالقهر والابتزاز، وغير هذا قلب بشع لحقائق التاريخ، أنثروبولوجيا، وغير أنثروبولوچى.

وانطلاقًا من هذا، يسقط أى ادعاء سياسى للصهيونية فى «أرض الميعاد» فبغض النظر، أن القانون الدولى يتكفل بشجب وتفجير ادعاءاتهم على أى أساس تاريخى ودينى، فإن الأنثروبولوجيا تبدد أى أساس جنسى، قد يزعمونه فى هذا الصدد، فمن ناحية، ليس اليهود قومية، ولا هم شعب وأمة، بل هم مجرد طائفة دينية، تتألف من أخلاط من كل الشعوب والقوميات والأمم والأجناس، ومن ناحية أخرى، فلا علاقة لهم جنسيًا - أو

أنثروبولوجيا ـ بفلسطين[1]، وهم أجانب غرباء عنهم، دخلها عليها، مثلما يعد الأوربيون أو الأمريكيون بالنسبة إليها، وهم حين يغتصبونها ليخلقوا منها «إسرائيل» الصهيونية، فليست هذه عودة الابن القديم، بعد رحلة طالت ـ عبر الزمان والمكان ـ وإنما هى غزو الأجنبى الغريب بالإثم والعدوان.

بقيت كلمة أخيرة: تتصل بدعوى قرابة الدم بين العرب واليهود:

وتلك دعوى كثيراً ما ترددت فى الخارج، بل بين العرب أنفسهم، ولا جدال أن لهذه الدعوى نتائجها وتخريجاتها السياسية، التى يمكن أن تترتب عليها، وهى ـ فيما نرى ـ كانت حقيقية فى الماضى، أريد بها باطل فى العصر الحديث.

وإذا ما عدنا إلى الكتب المقدسة ـ التوراة والقرآن العظيم ـ فضلا عن التاريخ القديم، فالقرآن الكريم، يحدثنا فى قول الله تعالى ـ على لسان إبراهيم عليه السلام ـ ﴿الحمد لله الذى وهب لى على الكبر إسماعيل وإسحاق، إن ربى لسميع الدعاء﴾[2]، وتقول التوراة: فولدت هاجر لإبرام ابناً، ودعا إبرام (إبراهيم) اسم ابنه الذى ولدته هاجر إسماعيل، وكان إبرام ابن ست وثمانين سنة، لما ولدت هاجر إسماعيل لأبرام»[3].

وتقول «فقال الله، بل سارة امرأتك تلد لك ابناً، وتدعو اسمه إسحاق»[4]. وهكذا يكون إبراهيم الخليل ـ عليه السلام – جد العرب ـ عن طريق أبيهم إسماعيل عليه السلام ـ وجد بنى إسرائيل ـ وليس اليهود ـ عن طريق أبيهم إسحاق عليه السلام ـ ذلك لأن إسماعيل وإسحاق ـ كما رأينا

(١) جمال حمدان، المرجع السابق، ص ٩٢-٩٣.

(٢) سورة إبراهيم، آية : ٣٩.

(٣) تكوين ١٥/١٦.

(٤) تكوين ١٨/١٧-١٩؛ وانظر: محمد بيومى مهران، إسرائيل، ١٣٢/١.

- أخوان، من أب واحد، وإن اختلفت الأمهات، فأم إسماعيل هي «هاجر» المصرية، وأم إسحاق هي «سارة» العراقية.

غير أن هذه القرابة إنما كانت في الماضي البعيد، ومن ثم فهي تسقط الآن - بعد تشرد اليهود في كل أنحاء العالم، منذ أن طردهم الإمبراطور «هادريان» في عام ١٣٥م، وحتى عادوا إلى فلسطين في عام ١٩٤٨، وقد اختلطوا أثناء ذلك بكل شعوب الأرض.

ومن ثم، فقد يكون يهود التوراة والعرب، أبناء عمومة، وإنما تاريخيًا فحسب، حين بدأ الكل قبائل مختلفة من الساميين الشماليين، وحين كانت العبرية لغة تشتق من الأصول العليا التي تفرعت عنها العربية.

وقد يكون من الصحيح - بل إنه لصحيح حقًا - أن إسماعيل أبا العرب، وإسحاق أبا بني إسرائيل، أخوة غير أشقاء، وكلا «ابن إبراهيم»، ولكن في البداية فقط تصدق هذه الأخوة، على تسليمها.

أما بعد ذلك، فقد ذاب نسل إسحاق في دماء غريبة، ووصل الذوبان إلى حد الإحلال، حتى أصبحنا إزاء قوم غرباء، لا علاقة لهم البتة بإسحاق، فضلا عن إسماعيل.

وهكذا لا يمكن - بعد أن اختفى يهود التوراة كشبح - أن يكون يهود أوروبا والعالم الجديد، أقارب العرب جنسيًا، أكثر من قرابة الأمريكيين والأوروبيين، للعرب، وغير هذا ، ليس إلا من قبيل أوهام العوام، ذلك لأن يهود اليوم - كما رأينا - إنما هم أقارب الأوروبيين والأمريكيين - بل هم جزء منهم وشريحة ، لحمًا ودمًا، وإن اختلف الدين[1].

---

(١) جمال حمدان، اليهود أنثروبولوجيا، ص ٩١-٩٢، (القاهرة ١٩٦٧).

المراجع المختارة

أولا ـ المراجع العربية:

١ ـ القرآن الكريم.

٢ ـ صحيح البخارى.

٣ ـ صحيح مسلم.

٤ ـ مسند الإمام أحمد بن حنبل.

٥ ـ تفسير ابن كثير : تفسير القرآن العظيم.

٦ ـ تفسير أبى السعود: إرشاد العقل السليم.

٧ ـ تفسير الألوسى: روح المعانى فى تفسير القرآن العظيم والسبع المثانى.

٨ ـ تفسير البيضاوى: أنوار التنزيل وأسرار التأويل.

٩ ـ تفسير السيوطى: الدر المنثور فى التفسير بالمأثور.

١٠ ـ تفسير الطبرسى: مجمع البيان.

١١ ـ تفسير الفخر الرازى: التفسير الكبير.

١٢ ـ تفسير القاسمى: محاسن التأويل.

١٣ ـ تفسير المنار: تفسير القرآن الحكيم.

١٤ ـ تفسير سيد قطب: فى ظلال القرآن.

١٥ ـ تفسير القرطبى: الجامع لأحكام القرآن.

١٦ ـ تفسير الزمخشرى: الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل فى وجوه التأويل.

١٧ ـ تفسير الطبرى: جامع البيان عن تأويل آى القرآن.

١٨ ـ التوراة : (العهد القديم) .

١٩ ـ الإنجيل: (العهد الجديد) .

٢٠ ـ إبراهيم خليل أحمد: محمد فى التوراة والإنجيل والقرآن، القاهرة ١٩٦٤ .

٢١ ـ الإمام ابن تيمية(تقى الدين أبو العباس أحمد) : النبوات ، القاهرة، ١٣٤٦هـ.

٢٢ ـ ابن حزم: الفصل فى الملل والأهواء والنحل، القاهرة، ١٩٦٤ .

٢٣ ـ ابن كثير (أبو الفداء إسماعيل عماد الدين) : قصص الأنبياء، جزءان، القاهرة ١٩٦٨م.

٢٤ ـ ابن هشام (أبو محمد عبد الملك) : سيرة النبىّ ﷺ، القاهرة ١٩٥٥ .

٢٥ ـ أبو الحسن على الماوردى: أعلام النبوة، القاهرة ١٩٧١ .

٢٦ ـ أبو الحسن على الندوى: النبوة والأنبياء فى ضوء القرآن ، القاهرة ١٩٦٥ .
٢٧ ـ حبيب سعيد:الأنبياء الأقدمون يتكلمون، القاهرة.
٢٨ ـ الدكتور حسن ظاظا: الساميون ولغاتهم ، الإسكندرية ١٩٧٠ .
٢٩ ـ الدكتور حسن ظاظا: الفكر الدينى الإسرائيلى، القاهرة ١٩٧١ .
٣٠ ـ حسين ذو الفقار صبرى: توراة اليهود ـ المجلة، العدد ١٥٧، القاهرة ١٩٧٠ .
٣١ ـ حسين ذو الفقار: إله موسى فى توراة اليهود، المجلة، العدد ١٩٦٣، القاهرة ١٩٧٠ .
٣٢ ـ الدكتور رشيد الناضورى: المدخل فى التطور التاريخى للفكر الدينى، بيروت ١٩٧٠ .
٣٣ ـ عباس محمود العقاد: حياة المسيح، القاهرة ١٩٥٧ .
٣٤ ـ عباس محمود العقاد: إبراهيم أبو الأنبياء، دار الهلال، القاهرة.
٣٥ ـ عباس محمود العقاد: الثقافة العربية أسبق من ثقافة اليونان والرومان، القاهرة ١٩٦٠ .
٣٦ ـ عباس محمود العقاد: مطلع النور، القاهرة ١٩٦٨ .
٣٧ ـ عبد الوهاب النجار: قصص الأنبياء، القاهرة ١٩٦٦ .
٣٨ ـ الدكتور محمد بيومى مهران: إسرائيل ، القاهرة ١٩٧٣ .
٣٩ ـ محمد رشيد رضا: الوحى المحمدى: القاهرة ١٩٥٥ .
٤٠ ـ الدكتور محمد عبد الله دراز: الدين ـ بحوث ممهدة لدراسة تاريخ الأديان، القاهرة ١٩٦٩ .
٤١ ـ محمد على الصابونى: النبوة والأنبياء، بيروت ١٩٧٠ .
٤٢ ـ محمود الشرقاوى: الأنبياء فى القرآن الكريم، القاهرة ١٩٧٠ .
٤٣ ـ الدكتور مراد كامل: إسرائيل فى التوراة والإنجيل، القاهرة ١٩٦٧ .
٤٤ ـ الدكتور نجيب ميخائيل: مصر والشرق الأدنى القديم، الجزء الثالث، الإسكندرية ١٩٦٦ .
٤٥ ـ قاموس الكتاب المقدس، الجزء الأول، بيروت ١٩٦٤ .
٤٦ ـ قاموس الكتاب المقدس، الجزء الثانى، بيروت ١٩٦٧ .
٤٧ ـ مجموعة فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، الرياض، ٨١-١٩٨٣ .

ثانياً ـ المراجع المترجمة إلى اللغة العربية:

٤٨ ـ تيودور روبنسون: تاريخ العالم، إسرائيل فى ضوء التاريخ، ترجمة: عبد الحميد يونس، القاهرة.

٤٩ ـ ج. كنتو: الحضارة الفينيقية، ترجمة: الدكتور محمد عبد الهادى شعيرة، القاهرة.

٥٠ ـ باروخ سبينوزا: رسالة فى اللاهوت والسياسة، ترجمة: الدكتور حسن حنفى، القاهرة ١٩٧١.

٥١ ـ سبينو موسكاتى: الحضارات السامية القديمة، ترجمة: الدكتور السيد يعقوب بكر، القاهرة ١٩٦٨.

٥٢ ـ عاموس عبد المسيح: دراسة فى عاموس ، ترجمة: حارث فريصة، القاهرة ١٩٦٦.

٥٣ ـ ف.ب. ماير: حياة إيليا، ترجمة: القس مرقس داود، القاهرة ١٩٦٦.

٥٤ ـ فيليب حتى: تاريخ سورية ولبنان وفلسطين، ترجمة: جورج حداد، عبد الكريم رافق، الجزء الأول، بيروت ١٩٥٨.

٥٥ ـ م.ص. سيجال: حول تاريخ الأنبياء عند بنى إسرائيل، ترجمة: الدكتور حسن ظاظا، بيروت ١٩٦٧.

٥٦ ـ و.ح. دى بورج: تراث العالم القديم، ترجمة: زكى سوسن، القاهرة، ١٩٦٥.

٥٧ ـ ول ديورانت: قصة الحضارة ، الجزء الثانى، ترجمة: محمد بدران، القاهرة ١٩٦١.

٥٨ ـ دائرة المعارف الإسلامية، دار الشعب، القاهرة ١٩٦٩.

ثالثاً ــ المراجع الأجنبية:

59. Albright (W.F.), Archaeology and the Religion of Israel, Baltimore, 1953.

60. Anderson (G.W.), The History and Religion of Israel, Oxford, 1966.

61. Baron (S.W.), A Social and Religions History of the Jews , N.Y., 1957.

62. Bewer (J.A.), The Literature of the Old Testament in its Historical Development, N.Y., 1926.

63. Cook (S.A.), The Prophets in The Ancient History, Cambridge, 3, 1965.

64. Eissfeldt (O.), The Prophetic Literature , Oxford , 1950.

65. Finegan (J.), Light from the Ancient Past, The Archaeological Background of Judaism and Christianity, Princeton, I, 1969.

66. Epstein (I.), Judaism (Penguin Books), 1970.

67. Gautier (L.), Introduction a l'Ancien Testament, Payot Suisse, 1939.

68. Gray (J.), Israel in Near Eastern Mythology, N.Y., 1969.

69. Hall (H.R.), The Ancient History of the Near East, London, 1963.

70. Hastings (J.), A Dictionary of the Bible, Edinburgh, 1936.

71. Heaton (E.W.), The Old Testament Prophets, (Penguin Books), 1969.

72. Johnson (A.R.) Sacred Kingship in Ancient Israel, Cardiff, 1955.

73. Keller (W.) The Bible as History, (Hodder and Stoughton), 1967.

74. Knight (H.), The Hebrew Prophetic Consiousness, Lutterworth, 1947.

75. Kuhl (C.), The Prophecy in Israel, Oliver and Boyd, 1960.

76. Lindblom (J.), Prophecy in Ancient Israel, Blackwell, 1962.

77. Lods (A.) , Israel From its Beginnings to the Middle of the Eighth Century, London, 1962.

78. Malamat (A.), The Last Wars of the Kingdom of Judah, JNES, 9, 1959.

79. Margoliouth (D.S.) , The Relations between Arabs and Israelites Prior in the Rise of Islam, London, 1924.

80. Montgomery (J.A.), Arabia and the Bible, Philedelphia, 1934.

81. Noth (M.), The History of Israel, London, 1965.

82. Robinson (H.W.), Inspireation and Revelation in the Old Testament, Oxfrod, 1946.

83. Robinson (T.H.), Prophecy and the Prophets in Ancient Israel, 1953.

84. Roth (C.G.), A Short History of the Jewish People, London, 1969.

85. Rowley (H.H.), The Servant of the Lord, Lutterworth, 1965.

86. Rowley (H.H.), The Faith of Israel, London, 1956.

87. Rowley (H.H.), Studies in the Old Testament Prophecy, Clark, 1950.

88. Sauerbrei (C.), The Holy Man in Israel, A Study in the Development of the Prophecy, JNES, 6, 1947.

89. Scott (R.B.), The Relevance of Prophets, Macmillan, 1944.

90. Smith (W.R.), The Prophets of Israel, 1882.

91. Unger (M.F.), Unger's Bible Dicitionary, Chicago, 1970.

92. Welch (A.C.), Kings and Prophets of Israel, London, 1953.

93. Wooley (L.), The Beginnings of Civilization, N.Y., 1965.

94. The Jewish Encyclopedia, N.Y., 1903.

95. The Oxford Hebrew Lexicon, Oxfrod, 1906.